أجاثا كريستى Agatha Christie

"رائعة أجاثا كريستى"
سبكتاتور

واختفى كل شيء

أفضل القصص البوليسية مبيعًا على مستوى العالم

أجاثا كريستى Agatha Christie

واختفى كل شىء

الرواية التى بيع منها ١٠٠ مليون نسخة



«عشرة»...

عشرة غرباء وقعوا فى شرك الذهاب إلى أحد القصور الواقعة فى جزيرة على ساحل ديفون. وبينما كانوا يتناولون وجبة العشاء، وجه صوت مجهول اتهاماً لكل منهم بإخفاء سر يدينهم، وفى نهاية الليلة كان أحدهم قد واقته المنية.

«تسعة»...

لم يظهر لهم الشخص الذى استضافهم، وبينما كان الطقس متقلباً ومتغيراً، فقد أصبح المكان كئيباً، ومخيفاً، ومهجوراً.

«ثمانية»...

من خلال تكرار ترديدهم لأنشودة الأطفال، أدركو جميعاً أن القاتل ليس فقط أحدهم، ولكنه أيضاً يستعد لتكرار جريمته.

«سبعة»...

ازداد التوتر للغاية، بينما يحاول الباقون على قيد الحياة أن يحتفظوا بالمسافة التى تبعدهم خطوة عن المطارد الحاذق الذى يحاول أن يصل إلى محطته الأخيرة.

«واختفى كل شىء»

«واحدة من أكثر روايات أجاثا كريستى إثارة وإمتاعاً» — «الأوبزرفر»

«أكثر الروايات غموضاً، ونجاحاً، وعبقرية، وإبهاراً، بعد رواية «مقتل روجر أكرويد»». — ديلى هيرالد

«ليس فى الرواية خداع، فقط يظل القارئ متحيراً من البداية وحتى النهاية ... إنها بحق تمثل أعظم إنجاز يكلل مشوار حافل بالنجاحات». — نيو ستيتسمان

«واحدة من أكثر الروايات إثارة على الإطلاق». — تايم مجازين

«الأمر برمته مستحيل تماماً، ومبهر بالفعل، إنها حقاً أكثر رواية غامضة، ومحيرة كتبتها أجاثا كريستى على الإطلاق». — نيويورك تايمز

Agatha Christie™

AND THEN THERE WERE NONE

'Agatha Christie's masterpiece.'

Spectator

الفصل ١

١

فـى زاويـة إحـدى عربـات الدرجـة الأولى الخاصـة بالمدخنين ، أخذ السيد جاستيس وارجريف ، الذى تقاعد مؤخرا مـن سـلك القـضاء ، ينفـث دخـان سيجاره ويمر بعينيـه بنظـرة سـريعة مهتمـة خـلال الأخبـار الـسياسية المكتوبة فى جريدة التايمز .

وضع الجريدة ، ثم نظر من النافذة ، كـان القطـار يمر الآن خلال بلدة سومرست . ألقى نظرة على سـاعته ، فـلا تزال هناك ساعتان أخريان . أخذ يفكر فى كل ما ذُكر فى الصحف عن الجزيرة الهندية .

لقد ذكر أن من اشتراها فى الأصل هو مليـونير أمريكـى كان مولعًا بالإبحار بـاليخوت ، ثـم كانـت هنـاك حكايـة أخرى عـن المنزل العـصرى الفخـم الـذى بنـاه علـى هـذه الجزيرة الصغيرة على ساحل ديفون . ولكن تلك الحقيقة المريـرة التـى تكمـن فـى كـون الزوجـة الثالثـة الجديـدة للمليونير الأمريكى لم تكن تجيد الإبحـار أدت إلى مـا تـلا

ذلك من عرض المنزل والجزيرة للبيع . وظهرت العديد من الإعلانات البراقة لهذا البيع فى الصحف ، ثم ظهر ذلك التقرير الصريح بأنهما قد بيعا لشخص اسمه السيد أوين ، ومن بعدها بدأت شائعات الكتاب الثرثارين ، لقد تم شراء الجزيرة الهندية بالفعل من قبل الآنسة جابرييل تيرل ، نجمة أفلام هوليوود ! لقد رغبت فى قضاء بضعة أشهر هناك بعيدًا عن الدعاية ! وأشارت بيزى بى برقة إلى أنها ستصبح مقرًا للملكية ؟؟ ! ، واعتقد السيد ميرى ويزر أنها صالحة لقضاء شهر عسل فى حين كان جوناس يعلم تمام العلم أنه قد تم شراؤها من قبل البحرية الملكية تطلعًا لإجراء بعض التجارب السرية !

لقد كانت الجزيرة الهندية مادة ثرية للأخبار بالفعل!

استل السيد جاستيس وارجريف خطابًا من جيبه . لم يكن الخط واضحًا تمامًا ، ولكن الكلمات هنا وهناك برزت بوضوح غير متوقع : *عزيزى لورنس ... لقد مرت سنون لم أسمع فيها شيئًا عنك ... لابد أن تأتى إلى الجزيرة الهندية ... أكثر الأماكن سحرًا ... فهناك الكثير لنتحدث عنه ... الأيام الخوالي ... العودة إلى أحضان الطبيعة ... أخذ حمام شمسي ... قطار ١٢,٤٠ من بادينجتون ... ألقاك فى محطة أوكبريدج ...* ووقعت مراسلته مودعة باسم : المخلصة للأبد كونستانس كالمينجتون .

أخذ السيد جاستيس وارجريف يقلب فى ذاكرته ليتذكر متى التقى آخر مرة بالضبط بالسيدة كونستانس كالمينجتون . لا بد أن ذلك حدث قبل سبع . . لا ثمانى سنوات . لقد كانت ذاهبة إلى إيطاليا لأخذ حمام شمسى والتوحد مع الطبيعة ، وسمع فيما بعد أنها أكملت مسيرتها إلى سوريا حيث أمعنت فى أخذ حمام شمسى أقوى والتوحد مع الطبيعة والبدو ، تأمل فى نفسه ، وتذكر أن كونستانس كالمينجتون كانت من ذلك النوع من النساء الذى يمكن أن يشترى جزيرة ويحيط نفسه بالغموض ! أومأ السيد جاستيس وارجريف برأسه برفق فى موافقة على منطقه ، وسمح لرأسه بعد الإيماء بالنوم. . .

٢

وهذه فيرا كلايثورن ، الجالسة فى عربة الدرجة الثالثة بصحبة خمسة مسافرين آخرين ، قد أسندت رأسها إلى الخلف ، وأغلقت عينيها . كم كان الجو حاراً للسفر بالقطار اليوم ! سيكون الوصول إلى البحر أمراً لطيفاً ! حقا لقد كان من قبيل الحظ أن تحظى بهذه الوظيفة ، فعندما ترغب فى شغل وظيفة فى وقت الإجازة ، كان ذلك يعنى فى الغالب الاعتناء بعدد كبير من الأطفال . لقد صار العمل كسكرتيرة فى أوقات الإجازة

أمراً يصعب الحصول عليه ، وحتى الوكالة لم تكن تعلق أملاً كبيرًا على ذلك .

ثم ظهر هذا الخطاب :

"لقد تلقيت اسمك من وكالة النساء الماهرات بالإضافة إلى توصية بك ، وأفهم من ذلك أنهم يعرفونك شخصيًا . سيكون مدعاة للسرور بالنسبة لى أن أدفع لك الراتب الذى تطلبينه ، وأتوقع منك أن تتولى مهامك فى الثامن من شهر أغسطس ، عليك أن تستقلى قطار الساعة ١٢،٤٠ من بادينجتون وسوف نلتقى فى محطة أوكبريدج . مرفق مع خطابى خمسة جنيهات للنفقات.

المخلصة ،

أونا نانسى أوين

وفى أعلى الخطاب كان هناك العنوان المطبوع للجزيرة الهندية ، ستيكل هافن ، ديفون . . .

الجزيرة الهندية ! لماذا ، فلم تكن ثمة أخبار جديدة عنها فى الصحف مؤخرا ! لقد حامت حولها جميع أنواع التلميحات والشائعات المثيرة على الرغم من أنه يحتمل . . . أن ذلك لم يكن صحيحًا ، لكن من المؤكد أن المنزل قد بنى بالفعل من قبل مليونير وقيل إنه على جانب هائل من الفخامة .

بعد أن أرهقها فصل دراسى شاق فى المدرسة مؤخرًا ، فكرت فيرا كلايثورن قائلة لنفسها : " إن عملى كمدرسة

للألعاب البدنية فى مدرسة درجة ثالثة ليس بالوظيفة المغرية . إلا إذا كان ذلك فى مدرسة راقية ! " .

ثم شعرت ببرودة تغمر قلبها مفكرة : " ولكننى محظوظة لنيل هذه الوظيفة أيضا ، فعلى كل حال ، لم يحب الناس فكرة استجواب المحقق لى حتى على الرغم من تبرئته لساحتى من أى لوم ! " .

بل لقد مدحها ـ حسبما تذكر ـ على حضور بديهتها وشجاعتها ، فلم يكن الاستجواب سيسير بشكل أفضل ، وكانت السيدة هاميلتون بالغة العطف على حبيبها هوجو (ولكنها لم تكن تفكر فى هوجو !)

فجأة ، وعلى الرغم من الحرارة التى تغمر العربة انتابتها رجفة وتمنت ألا تذهب للبحر ، وبدت أمام مخيلتها بوضوح صورة قفزت من ذهنها ؛ رأس سيريل وهو يقفز إلى أعلى وأسفل ويسبح نحو الصخرة . . . إلى أعلى وأسفل ، إلى أعلى وأسفل . . . ورأت نفسها أيضاً تسبح بطريقة متمرسة فى الماء خلفه . تشق عباب الماء ، ولكنها كانت تعلم تمام العلم أنها لم تكن لتلحق به فى الوقت المناسب . . .

وانقضت صباحيات البحر الدافق الأزرق العميق وهو ملقى على رمال الشاطئ . إنه هوجو . . هوجو الذى قال إنه يحبها .

ولكن لا يجب أن تفكر فى هوجو . . .

فتحت عينيها وقطبت جبينها فى وجه الرجل الجالس قبالتها ، كان رجلاً طويلاً ذا وجه أسمر وعينين فاتحتى اللون اقتربتا من بعضهما البعض ، وفم قاس متعجرف .

فكرت فى نفسها قائلة :

" أراهن أنه قد ذهب إلى الكثير من الأماكن المثيرة فى العالم ورأى الكثير من الأمور المهمة... "

لو أتمكن فقط من الحصول على وظيفة براتب محترم .

٣

كان فيليب لومبارد يكوِّن فكرة مختصرة عن الفتاة الجالسة قبالته مع مروره سريعًا بعينيه عليها ، وفكر فى نفسه قائلاً :

" جذابة إلى حد ما ، ربما تكون معلمة " .

سوف يتصور نفسه عميلاً رائعًا وشخصاً يمكنه أن يتولى أمرها فى الحب أو الحرب ، إنه يفضل حتى أن يأخذها فى . . .

قطب جبينه . لا ، إنه توقف عن كل هذا التفكير فى تلك الأمور ، إنه الآن فى عمل ، وعليه أن يركز عقله على هذا العمل .

تعجب متسائلاً : ما الذى كان يحدث بالضبط ؟ لقد كان هذا الشاب الصغير غامضًا تمامًا .

" اقبل الأمر أو اتركه يا كابتن لومبارد " .

ثم قال مفكرًا بعمق :

" مائة جنيه ، أليس كذلك ؟ " .

قالها بطريقة غير عادية على الرغم من أن مائة جنيه لم تكن شيئاً بالنسبة له ، لقد كان ينفقها على وجبة واحدة . وعلى الرغم من ذلك ، فقد تخيل أن الشاب الصغير لم ينخدع بالأمر .

قال بالنبرة غير المعتادة نفسها :

" ليس بإمكانك أن تعطينى المزيد من المعلومات أليس كذلك ؟ " .

هز السيد إسحاق موريس رأسه الصغير الخالى من الشعر بالإيجاب .

" لا يا كابتن لومبارد ، إن الأمر يتوقف هنا . لقد فهمت من عميلى أنك تتمتع بسمعة طيبة فى مكان جيد ، وأنا مفوض بمنحك مائة جنيه مقابل سفرك إلى ستيكل هافن ، ديفون ، وستكون أقرب محطة هى أوكبريدج ، وهناك ستلتقى بشخص ما يقلك بالسيارة إلى ستيكل هافن حيث ستوصلك سيارة أخرى إلى الجزيرة الهندية ، وهناك سوف تضع نفسك تحت إمرة عميلى " .

قال لومبارد بغتة :

" حتى متى ؟ " .

" لمدة لا تزيد على أسبوع فى الغالب " .

عبث الكابتن لومبارد بأصابعه فى شاربه قائلاً :

" أنت تفهم أننى لا أستطيع القيام بأى عمل غير قانونى ؟ " .

رمقه بنظرة حادة مع وقع آخر كلماته ، وظهرت ابتسامة فاترة على شفتى السيد موريس الغليظتين بينما يجيب فى هيبة :

" إذا ما عرض عليك القيام بأى عمل غير قانونى ، فلديك بالطبع الحرية الكاملة فى الرفض " .

ابتسم مفكرًا ؛ اللعنة على هذا القاسى الصغير الداهية ! لقد بدا الأمر كما لو كان يعلم حقًا أنه فى أفعال السيد لومبارد الماضية لم تكن الشرعية القانونية تشكل أمرًا أساسيًا دائمًا . فرج لومبارد شفتيه مكشرًا .

بالله ، لقد أبحر بالقرب من الرياح مرة أو مرتين ! ولكنه كان ينجو دائما ! لم يكن هناك ما يرفضه بالفعل . . .

لا لم يكن هناك ما يرفضه ، وتخيل أنه سيمتع نفسه فى الجزيرة الهندية . . .

٤

جلست الآنسة إميلى برنت فى عربة غير المدخنين معتدلة القامة كما كانت عادتها . لقد كانت تبلغ الخامسة

والستين من العمر ولكنها لم تكن تحب التراخى ، فقد كان والدها ، العقيد السابق فى البحرية ، صارمًا بشأن السلوك .

يعد الجيل الحالى متراخيًا بشكل مخجل فى الطريقة التى يتحركون بها وفى أمور أخرى .

جلست الآنسة برنت تحيط بها هالة من الاستقامة والمبادئ الصارمة فى عربة الدرجة الثالثة المزدحمة ، وتغلبت على شعورها بعدم الراحة والحرارة . كل فرد تثور ثائرته بشأن كل شىء هذه الايام ! إنهم يريدون حُقَنًا مخدرة قبل خلع أسنانهم ، وهم يتناولون العقاقير إذا لم يتمكنوا من النوم ، ويريدون الحصول على مقاعد مريحة ذات وسائد ، بينما تسمح الفتيات لأنفسهن بالاختيال فى مشيتهن والاستلقاء نصف عاريات على الشواطئ فى الصيف .

زمت الآنسة برنت شفتيها حين تذكرت إجازة صيف العام الماضى ، ومع ذلك فهذا العام سيكون مختلفًا إلى حد ما . . . الجزيرة الهندية . . .

أعادت فى ذهنها قراءة الخطاب الذى قرأته مرارًا وتكرارًا :

" آنستى العزيزة برنت

آمل أن تتذكريني؟ لقد كنا سويًا فى دار ضيافة بيلهافن فى شهر أغسطس منذ بضعة أعوام ، وبدا أن هناك أمورًا كثيرة مشتركة بيننا.

إننى أشرع فى إنشاء دار ضيافة خاصة بى فى جزيرة على ساحل ديفون ، وأعتقد أن هناك مكاناً مفتوحاً يصلح لممارسة الطهو الجيد البسيط ، وشخصاً لطيفاً ذا طراز قديم حيث لا توجد أى من هذه المناظر العارية أو أصوات الموسيقى المزعجة المنبعثة ليلاً . سأكون مسرورًا جدًا إذا تدبرت قضاء عطلة الصيف فى الجزيرة الهندية - شبه المجانية - كضيفة لى . هل يناسبك أوائل أغسطس؟ ربما يوم الثامن" .

المخلص

يو إن أو .

ماذا كان الاسم ؟ إن التوقيع يصعب قراءته . فكرت إميلى بنفاد صبر : " هناك العديد من الناس إذن يكتبون توقيعهم بطريقة تصعب قراءتها " .

سمحت لذهنها بالمرور على هؤلاء الأشخاص فى بيل هافن ، فقد قضت هناك عطلتى صيف . كانت هناك تلك السيدة اللطيفة متوسطة العمر؛ السيدة ... السيدة ... ماذا كان اسمها ؟ كان اسم والدها هو كانون ، وكانت هناك الآنسة أولتن أورمن - لا ، إنها أوليفر حتما ! نعم أوليفر .

الجزيرة الهندية ! لقد كتب الكثير فى الجرائد عن الجزيرة الهندية - حيث ذكرت الصحف شيئاً عن نجمة سينمائية أم هل كانت مليونيرة أمريكية ؟

بالطبع ، فإن تلك الأماكن تباع بأسعار زهيدة جدًا ، فالجزر لا تناسب جميع الناس . لقد اعتقدوا أن تلك الفكرة رومانسية ، ولكن عندما ذهبوا ليقيموا هناك ، أدركوا المساوئ وكانوا مسرورين جدا بالبيع .

فكرت إميلى فى نفسها : " على الأقل سأحظى بعطلة مجانية " . فمع تقلص دخلها بشكل كبير ، وعدم سداد الكثير من الرواتب ، كان ذلك حقا أمراً جديراً بالاهتمام . لو أنها استطاعت فقط تذكر القليل عن السيدة – أم هى الآنسة - أوليفر !

٥

نظر الجنرال مكارثر من نافذة العربة . كان القطار على وشك الوصول إلى إكسيتر حيث يجب أن يبدل القطار . اللعنة على خط القطارات البطىء المتعرج هذا ! لم يكن ذلك المكان ، الجزيرة الهندية ، ليصبح مشكلة على الإطلاق من حيث المسافة لو كان على خط مستقيم . لم يستطع أن يتذكر من كان ذلك المدعو أوين ، لا بد أنه صديق سبوف ليجارد وجونى دايرز .

واحد أو اثنان من رفاقك القدامى سيأتيان ، ويودان التحدث معك عن الأيام الخوالي .

حسنًا ! سوف يستمتع بالحديث عن الأيام الخوالى ، فقد كان لديه تصور مؤخرا أن رفاقه خجلون منه إلى حد ما ، وكل ذلك نتيجة لتلك الشائعة البغيضة ! يا إلهى ! لقد مضى عليها ما يقرب من ثلاثين عامًا الآن ! لقد تحدث عنها أرميتاج على ما يفترض..ذلك الشاب المغرور ! ما الذى كان يعلمه عن ذلك؟ آه ، حسنا لا فائدة من التأمل فى هذه الأمور ! إن المرء يتصور أشياء ـ تصور أن شخصاً ينظر إليك على نحو غريب . والآن هذه الجزيرة الهندية ، سوف يكون مهتمًا برؤيتها ، فهناك الكثير من الحديث حولها ، ويبدو كما لو كان من ضمن تلك الشائعات أن البحرية أو وزارة الحرب أو القوات الجوية قد استولت على الجزيرة . . .

لقد بنى الشاب إلمر روبسون ، المليونير الأمريكى ، ذلك المكان بالفعل ، وأنفق الآلاف عليه كما قيل . وهناك جميع أنواع الرفاهيات الحياتية . . .

إكسيتر ! كان عليه الانتظار لمدة ساعة أخرى ! ولكنه لم يرد الانتظار ، بل أراد المواصلة .

٦

كان دكتور أرمسترونج يدفع موريس إلى ساحة ساليبورى ، وكان مرهقاً بشدة ... كان للنجاح أعباؤه . فى وقت من الأوقات كان يجلس هناك فى غرفة الاستشارة الخاصة به فى شارع هارلى ، وهو يرتدى ثيابًا أنيقة ، وقد أحاطت به أغلب الأجهزة العصرية وأفخم الأثاث وقد انتظر وانتظر خلال تلك الأيام الخالية نجاح أو فشل مغامرته . . .

حسنا ! لقد نجحت ! لقد كان محظوظاً ! محظوظاً وماهرًا بالطبع ، فقد كان جيدًا فى عمله ، ولكن هذا لم يكن كافيا لتحقيق النجاح ، فلابد أن تتمتع بالحظ أيضا ، وقد تمتع به ! تشخيص دقيق ، واثنتان من النساء المريضات المتنات لعمله ـ النساء ذوات المال والمنصب ـ ثم صار حديث الناس . " لابد أن تجرب يا أرمسترونج ، إن بام ذلك الشاب الصغير ، والبارع جدا ، قد تعامل مع جميع أنواع الناس لسنوات وكان يضع يده على المشكلة فى حينها ! " .

وبدأت العجلة تدور .

والآن ، فقد وصل دكتور أرمسترونج إلى مأربه بالتأكيد ، وكانت أيامه مزدحمة ، ولم يكن لديه سوى القليل من الوقت للرفاهية ، وبالتالى ، ففى صباح ذلك اليوم فى شهر أغسطس ، كان سعيدا بمغادرته إلى لندن وأنه سيمكث عدة أيام فى جزيرة على ساحل ديفون . لم تكن عطلة بالضبط ، فقد كان الخطاب الذى تسلمه يكتنف الغموض كلماته نوعًا ما ، ولكن الشيك المصاحب له لم يكن به أى غموض . إنه أجر هائل . لا بد وأن آل

أوين هؤلاء يسبحون فى بحر من المال . يبدو أن هناك مشكلة ما ؛ فثمة زوج قَلِق على صحة زوجته ، ويريد إعداد تقرير عنها دون إزعاجها ، فهى لا تطيق رؤية طبيب ، فأعصابها . .

أعصابها ! رفع الطبيب حاجبيه . يالهؤلاء النساء وأعصابهن ! حسنا ! لقد كان هذا أمرًا جيدًا من ناحية العمل على أية حال ؛ فنصف النساء اللاتى يستشرنه لم يكن يعتريهن شىء سوى الملل ، ولكنهن لن يشكرنك لمجرد أن تقول لهن ذلك ! ويمكن للطبيب أن يجد عذرا آخر فى المعتاد .

" إنها حالة نادرة إلى حد ما وليس هناك شىء خطر على الإطلاق ولكن يلزم العلاج ، علاج بسيط " .

حسنا ! كان الدواء فى الغالب علاجًا روحانيًا ، وقد كان يتمتع بطريقة جيدة فى بث الأمل والإيمان .

من حسن الحظ أنه قد نجح فى تجميع شتات نفسه فى الوقت المناسب بعد ذلك العمل منذ عشرة ، بل خمسة عشر عامًا ، لقد كان أمرًا وشيك الحدوث ! وكاد ينهار ، وقد أدت الصدمة إلى تعافيه وإقلاعه عن الشراب نهائيًا . ومع ذلك ، فهو يكاد يقسم أنه كان أمرًا وشيك الحدوث . . .

فجأة مرت أمامه سيارة رياضية فارهة من طراز دالمان بسرعة ٨٠ ميلاً فى الساعة محدثة صوت فرقعة هائلة تكاد تصم الآذان . تراجع دكتور أرمسترونج تقريبا ليندمج

مع المشاهدين . إنه أحد هؤلاء الشباب الطائشين الذين يقطعون البلاد فى سرعة جنونية ، كان يكرههم ، وقد مرت السيارة بالقرب منه جدا بالفعل . اللعنة على هذا الشاب الأحمق !

٧

فكر أنتونى مارستون ، الذى كان يصيح قائلاً :

" إن عدد السيارات التى تزحف على الطرق هائل ، وهناك دائما ما يعوق طريقك ، وهم دائما يقودون فى منتصف الطريق ! إن القيادة فى انجلترا أمر يبعث على اليأس على أية حال . . . ليس كما هى فى فرنسا حيث يمكنك بالفعل أن تطلق . . . . "

هل يجب أن يتوقف لتناول شراب أم يستمر فى طريقه ؟ هناك الكثير من الوقت ! ولم يبق سوى مائة ميل أخرى للوصول . كان يرغب فى الحصول على شراب وخبز الزنجبيل . يا له من يوم شديد الحرارة ! يجب أن تكون هذه الجزيرة أكثر متعة إذا استمر الطقس على هذه الحال .

تساءل متعجبًا ، من هم آل أوين هؤلاء ؟ إنهم على الأرجح أثرياء للغاية . كان بادجر بارعًا فى اكتشاف

الأشخاص من هذا النوع ؛ وكان عليه أن يفعل ذلك بالطبع ، لكونه رجلاً عجوزاً فقيراً لا يملك المال .

آمل أن يقدموا خدمة جيدة فى المشروبات . لا يمكن للمرء أن يعلم فى حالة هذا النوع من الأشخاص مَنْ منهم اكتسب ماله ومَنْ ورثه . للأسف فإن تلك القصة عن شراء جابرييل تيرل للجزيرة الهندية ليست صحيحة ، لكم كان يتمنى أن يتواجد هناك مع ذلك الحشد المعجب بالنجمة السينمائية . آه ، حسناً ! لقد افترض أنه ستكون هناك بضع فتيات أيضًا .

بعد أن خرج من الفندق ، تثاءب وهو ينظر إلى أعلى إلى السماء الزرقاء ، ثم استقل السيارة الدالمان .

كانت بعض الشابات ينظرن إليه بإعجاب ، مع تمتعه بتلك البنية الجسدية القوية بطول ست أقدام ، وشعره المجعد ووجهه البرنزى وعينيه شديدتى الزرقة .

انطلق بالسيارة محدثاً دوياً هائلاً وقفز خارج الشارع الضيق ، بينما قفز الرجال من كبار السن والصبية حرصًا على سلامتهم ، وتابع الصبية السيارة بإعجاب ، فى حين استمر أنتونى مارستون فى التقدم بانتصار .

٨

كان السيد بلور يستقل القطار البطىء المتجه إلى بلاموث ، ولم يكن هناك سوى شخص آخر فى العربة ،

وهو سيد كبير فى السن ممن يسافرون بحرًا ضعيف البصر ، وكان قد أخذته سِنَة من النوم فى الوقت الحالى .

كان السيد بلور يكتب بحرص فى دفتره الصغير .

تمتم لنفسه قائلاً : " هؤلاء هم المجموعة : إميلى برنت ، فيرا كلايثورن ، دكتور أرمسترونج ، أنتونى مارستون ، العجوز جاستيس وارجريف ، فيليب لومبارد ، الجنرال مكارثر ، والسيد والسيدة روجرز الخادم وزوجته " . أغلق دفتره ووضعه فى جيبه ثانية ، وألقى نظرة سريعة على الشخص القادم وعلى الآخر النائم .

استطرد السيد بلور قائلاً : " لدىّ ما يزيد على ثمانية أشخاص" . فحص الأمر فى عقله بدقة وضمير .

تدبر قائلاً : " يجب أن يسير العمل بشكل سريع ؛ فلا أرى أننى قد أتعثر فيه . آمل أن أبدو على ما يرام " .

نهض وتفحص نفسه بقلق فى المرآة . كان وجهه يعكس لمحة شبه عسكرية مع وجود الشارب ، ولم يكن يظهر أى تعبير ، وكانت عيناه رماديتى اللون تقتربان من بعضهما البعض إلى حد ما . قال السيد بلور : " ربما يمكن أن أكون رائدًا .. لا لقد نسيت أن هناك رجلاً عسكرياً قديماً وقد يكشفنى على الفور" ، ثم أردف : " جنوب أفريقيا ، هذا هو الخط الخاص بى ! فليس لأى

من هؤلاء الناس علاقة بجنوب أفريقيا ، وقد كنت أقرأ مجلد السفر ذاك ، لذا يمكننى التحدث جيدًا عنها " .

لحسن الحظ أن هناك جميع أنواعٍ وأشكال المستعمرات ، وباعتبار السيد بلور رجلاً ثرياً من جنوب أفريقيا ، فقد شعر أن بإمكانه دخول أى مجتمع بثبات . الجزيرة الهندية .. تذكر الجزيرة الهندية وقتما كان صبيًا .

هناك حيث الصخور ذات الرائحة المميزة تنتشر فوقها النوارس على بعد ميل من الشاطئ ، وقد حصلت على اسمها من تشابهها مع رأس إنسان ذى شكل أمريكى هندى . إنها لفكرة مضحكة أن يذهب شخص لبناء منزل هناك ! إنها بشعة إذا ما ساء الطقس ! لكن الأثرياء لهم نزواتهم !

استيقظ الرجل العجوز القابع فى القمرة قائلاً :

" لا يمكنك التنبؤ بالبحر أبدا ! " .

قال السيد بلور بهدوء : " صحيح ! لا يمكنك ذلك " .

سعل الرجل العجوز مرتين وهو يقول متبرمًا :

" هناك عاصفة قادمة " .

قال السيد بلور :

" لا . لا يا رفيقى ، إنه يوم لطيف " .

أردف الرجل العجوز غاضبًا :

" هناك عاصفة فى طريقها . يمكننى اشتمام رائحتها " .

قال السيد بلور محاولاً التهدئة من روعه : "ربما تكون على حق " .

توقف القطار فى المحطة ونهض الرجل العجوز باضطراب وهو يتحسس النافذة قائلاً : " يجب أن أترجل هنا " ، وساعده السيد بلور . وقف العجوز فى الممر ورفع يده فى قدسية مغمضا عينيه وفاتحًا إياها بحركات متعاقبة .

ثم قال : "راقب وابتهل إلى الله . راقب وابتهل فإن يوم الحساب قريب" وانبرى مندفعًا من الممر إلى الرصيف ، ثم استلقى فى وضع الاسترخاء ورفع بصره إلى السيد بلور قائلاً فى مهابة بالغة :

" إننى أتحدث إليك أيها الشاب ، إن يوم الحساب قريب جدًا " .

غاص السيد بلور فى مقعده وفكر لنفسه قائلاً :

" إن يوم الحساب أقرب إليه منى ! " .

ولكن . . كما تصادف فقد كان مخطئاً . . .

الفصل ٢

١

خـارج محطـة أوكبريـدج وقفـت مجموعـة صغيرة مـن الأشـخاص وهـم يعتليهم الـشك ، بينمـا وقـف خلفهـم الحمـالون بالحقائـب ، ونـادى أحـدهم قـائلاً : " جيم ! " ، فتقدم منهم أحد سائقى السيارات الأجرة .

سأل فى صوت ديفوني رقيق : " سوف تقصد الجزيـرة الهندية على الأرجح ؟ " أجابت أربعـة أصوات بالموافقـة فى وقت واحد ، ثم نظر بعد ذلـك كـل مـنهم للآخر فـى تشكك .

قـال السائق ، موجهـا خطابـه إلى الـسيد جاسـتيس وارجريف كأكبر أعضاء المجموعة :

" هناك سيارتا أجرة هنا يا سيدى ، ولا بـد أن ينتظر أحدهم هنا حتى يصل القطار البطىء من إكسيتر ـ وهو أمر يستغرق خمس دقائق ـ فهناك سيد قادم فى هـذا القطـار . ربما لن يمانع أحدكم فـى الانتظـار ، سـيكون الأمـر أكثـر راحة بالنسبة لكم على هذا النحو " .

تحدثت فيرا كلايثورن على الفور ، متدبرة وضعها كسكرتيرة ، قائلة : " سوف أنتظر . يمكنكم أنتم الذهاب ؟ ونظرت إلى ثلاثتهم ، وقد بدت نظرتها وصوتها أكثر ميلاً لإعطاء أمر صادر من شخص فى موقع سلطة .

قالت الآنسة برنت بتشدد : " شكرا لك " ، ثم حنت رأسها ودلفت إلى إحدى سيارتى الأجرة الذى كان السائق قد فتح بابه منتظرا .

تبعها السيد جاستيس وارجريف .

قال الكابتن لومبارد :

" سوف أنتظر مع الآنسة . . " .

قالت فيرا : " كلايثورن " .

" اسمى لومبارد . فيليب لومبارد" .

كان الحمالون يضعون الأمتعة على سيارة الأجرة ، بينما كان السيد جاستيس وارجريف يقول بحرص متوقع :

" إن لدينا طقسًا جميلاً " .

قالت الآنسة برنت :

" نعم بالفعل " .

فكرت أنه رجل عجوز متميز جدًا ومختلف إلى حد ما عن أنواع الرجال المعتادين فى دور الضيافة الواقعة على البحر . يبدو أن السيدة أو الآنسة أوليفر لديها معارف كثيرون . . .

قال السيد جاستيس وارجريف مستفسرًا :

" هل تعرفين هذا المكان جيدًا ؟ " .

" لقد زرت كورنوال وتوركواى ، ولكنها أول زيارة لى إلى هذا الموقع من ديفون " .

قال القاضى :

" إننى على علم أيضا بهذا الجزء من العالم " .

انطلقت سيارة الأجرة فى طريقها .

قال سائق سيارة الأجرة الثانية :

" هل تحبين أن تجلسى فى الداخل بينما تنتظرين ؟ " .

قالت فيرا بحزم :

" لا ، على الإطلاق " .

ابتسم الكابتن لومبارد قائلاً :

" يبدو الجدار المشمس أكثر جاذبية ، إلا إذا كنت تودين الدخول إلى المحطة ؟ " .

" لا ، حقا . إنه لمن المبهج الخروج من ذلك القطار المزدحم " .

أجابها قائلاً :

" نعم ، إن السفر بالقطار مجهد فى ذلك الطقس " .

قالت فيرا باقتناع :

" إن هذا الطقس لا يدوم على حال ، فأوقات الصيف الإنجليزية غادرة جدًا " . سأل لومبارد قائلاً :

" هل تعرفين هذا الجزء من العالم جيدًا ؟ " .

" لا ، فلم أذهب إلى هناك من قبل" ، ثم أردفت سريعًا وقد عزمت على جعل وضعها واضحًا

على الفور : " إننى حتى لم أر صاحب عملى حتى الآن " .

" صاحب عملك ؟ " .

" نعم ، إننى سكرتيرة السيدة أوين " .

قال وقد تغيرت طريقته على نحو مفاجئ : " آه فهمت" . فقد صارت نبرة صوته أكثر طمأنينة ، ثم قال : " أليس ذلك غير معتاد إلى حد ما ؟ " .

ضحكت فيرا قائلة :

" آه لا ، لا أعتقد ذلك ، فقد مرضت سكرتيرته فجأة ، وقد أبرقت إلى الوكالة المتخصصة لتبحث لها عن بديلة ، والتى أرسلتنى بدورها " .

"هكذا صار الأمر إذن ، ولكن افترضى أنك لم تحبى المنصب عندما تصلين إلى هناك ، فماذا سيحدث ؟ " .

ضحكت فيرا ثانية ، وقالت :

" آه ، إنه منصب مؤقت فى وقت العطلة ، فلدىّ عمل دائم فى مدرسة فتيات . وفى الحقيقة فإننى أشعر بالإثارة لاحتمال رؤيتى للجزيرة الهندية ؛ فقد دار الكثير من الحديث حولها فى الصحف ، إنها بالفعل ساحرة جدًا ، أليس كذلك ؟ " .

قال لومبارد :

" لا أعرف ، فلم أرها " .

" حقا ؟ إن آل أوين شغوفون بها جدًا على ما أفترض ، كيف يبدون ؟ أخبرنى " .

فكر لومبارد وقد شعر بالحرج ، وسأل نفسه : هل يفترض بى أن أكون قد التقيت بهم أم لا ؟ ثم أردف سريعًا :

" هناك زنبور يزحف على ذراعك . لا ، ابقى هادئة كما كنت " ، ثم قفز بحركة واثقة قائلاً : " ها قد ذهب ! " .

" آه شكرا لك . هناك الكثير من الزنابير هنا فى الصيف " .

" نعم ، أفترض أن ذلك بسبب الحر . من هو الشخص الذى ننتظره ؟ هل تعلمين ؟ " .

" ليست لدىّ أدنى فكرة " .

سمع صوت صرير عجلات القطار المقترب ، وقال لومبارد :

" لا بد أن يكون القطار قد وصل الآن " .

كان رجل عجوز ذو مظهر عسكرى قد ظهر على رصيف القطار ، وكان شعره الأشيب قد تم تصفيفه بدقة ، وقد بدا شاربه الأبيض مهندماً على نحو أنيق . أشار حامل حقائبه إلى فيرا ولومبارد بينما ترنح قليلاً تحت ثقل الحقيبة الجلدية الكبيرة .

تقدمت فيرا إلى الأمام بطريقة واثقة قائلة :

" أنا سكرتيرة السيد أوين وهناك سيارة تنتظر هنا " ، ثم أردفت قائلة : " هذا هو السيد لومبارد " .

ألقى الشخص ذو العينين الزرقاوين الباهتتين ، واللتين تبدو فيهما نظرة خبيثة رغم سنه ، نظرة على لومبارد ، وبدا فى عينيه حكمه عليه لدقيقة ـ ولكن هل كان هناك من أحد ليستقرئ ذلك الحكم ؟

(شخص وسيم ، ولكن هناك خطأ ما فيه ...)

استقل ثلاثتهم سيارة الأجرة المنتظرة ، وقاد بهم السائق خلال الشوارع الهادئة لمدينة أوكبريدج الصغيرة واستمروا فى السير لمسافة ميل على طريق بلايموث الرئيسى . ثم غاصوا داخل مجموعة من حارات البلدة الضيقة الخضراء .

قال الجنرال مكارثر :

" لا أعرف هذا الجزء من ديفون على الإطلاق ، فمكانى الصغير هو شرق ديفون ، هناك على ساحل دورست " .

قالت فيرا :

" إن المكان لطيف هناك حقًا ، حيث التلال والتربة الحمراء وكل شىء يبدو أخضر بهيج الطلة " .

قال فيليب لومبارد منتقدًا :

"إنها منعزلة إلى حد ما...أنا نفسى أحب البلدات المفتوحة حيث يمكنك رؤية ما يحدث..."

قال له الجنرال مكارثر :

" لقد تجولت فى مناطق كثيرة من العالم على ما أفترض ؟ " .

هز لومبارد كتفيه فى لا مبالاة .

" لقد سافرت هنا وهناك يا سيدى " .

فكر فى نفسه قائلاً : " والآن سوف يسألنى إذا ما كنت كبيرًا بما يكفى لأكون قد خضت الحرب ، فهؤلاء الرجال فى هذه السن دائما ما يفعلون ذلك " .

لكن جنرال مكارثر لم يأت على ذكر الحرب .

٢

ارتفعت السيارة فوق تلة حادة ، ثم هبطت طريقاً متعرجاً فى مسيرتها إلى ستيكل هافن ، وهى عبارة عن مجموعة من الأكواخ مع قارب أو قاربى صيد راسيين على الشاطئ .

وعلى ضوء الشمس الغاربة ألقيا بعينيهما أول نظرة على الجزيرة الهندية البارزة فوق البحر من جهة الجنوب.

قالت فيرا مندهشة :

" إنه لطريق طويل للوصول " .

كانت قد تصورتها بشكل مختلف ، قريبة من الشاطئ ومتوجة بمنزل أبيض جميل ، بيد أنه لم يكن ثمة منزل فى الأفق ، وإنما صخور حادة بيضاء ذات تشابه بسيط

مع رأس هندى ضخم . كان هناك ما يثير الشؤم منها . ارتجفت رجفة خفيفة .

خارج فندق صغير ، يطلق عليه السبعة نجوم ، كان هناك ثلاثة أشخاص يجلسون ، وقد بدا هناك جسد القاضى العجوز الأحدب ، وذلك الجسد المعتدل للآنسة برنت ، وشخص ثالث ، هو رجل عريض الجبهة كان قد تقدم منهم مقدمًا نفسه .

قال : " اسمح لى بأن أقدم نفسى إليك . اسمى دافيس ناتال ، وجنوب إفريقيا هى محل ميلادى ها ها ! " وضحك مبتهجًا .

نظر إليه السيد جاستيس وارجريف بضغينة واضحة ، وبدا كما لو كان يتمنى أن يأمر بإخلاء الساحة ، بينما لم تكن الآنسة برنت على يقين مما إذا كانت تحب أبناء المستعمرات أم لا .

سأل السيد دافيس بسخاء : " هل يرغب أحدكم فى احتساء شراب قبل أن نرسو ؟ " . لم يتلق السيد دافيس أية موافقة على عرضه ، لذا التفت ورفع إصبعه قائلاً :

" لا يجب أن نتأخر إذن ؛ فلابد أن مضيفنا ومضيفتنا فى انتظارنا " . وربما لاحظ ما بدا على باقى أعضاء المجموعة من الضيوف من حرج يشوبه الفضول ، فقد بدا كما لو أن ذكر مضيفهم ومضيفتهم يجعلهم يسكنون عن الحركة بشكل مثير للفضول .

فى استجابة لدعوة إصبع ديفيس ، ابتعد أحد الرجال عن الجدار المجاور الذى كان يستند إليه ، وقدم إليهم ، وكانت مشيته الملتفة تعلن أنه من رجال البحر له وجه بدت عليه آثار الطقس وعينان داكنتان ذواتا تعبير مراوغ قليلاً . تحدث بصوت أهل ديفون الرقيق قائلاً :

"هل أنتم على استعداد للبدء فى التوجه إلى الجزيرة سيداتى وسادتي ؟ إن القارب ينتظر ، وهناك رجلان سيأتيان بالسيارة ، لكن السيد أوين لم يأمر بانتظارهما ؛ حيث إنهما قد يصلان فى أى وقت " .

نهضت المجموعة ، وقادهم مرشدهم بمحاذاة إفريز صخرى صغير ، حيث كان يقبع زورق بخارى .

قالت إميلى برنت :

" إنه قارب صغير جدًا " .

قال مالك القارب محاولاً إقناعهم :

" إنه قارب رائع يا سيدتى . يمكنك الذهاب به إلى بلاى موث فى غمضة عين " .

قال السيد جاستيس وارجريف بحدة :

" إن عددنا كبير " .

" بإمكان القارب أن يحمل ضعف عددكم يا سيدى " .

قال فيليب لومبارد بصوته الهادئ المبهج :

" لا بأس ، إن الجو رائع ولا توجد عواصف " .

سمحت الآنسة برنت لنفسها بالتقدم إلى داخل القارب مع ما ينتابها من شك ، وتبعها الآخرون . ولم تكن هناك

علاقة ودية تجمع بين أعضاء المجموعة حتى الآن ، وبدا كما لو أن كل عضو فيها كان متحيرًا فى أمر الآخرين .

كانوا على وشك التحرك بالقارب عندما توقف مرشدهم وفى يده مرسى القارب . وهناك أسفل الطريق الحاد المؤدى إلى القرية كانت هناك سيارة قادمة ، سيارة بالغة القوة ، فخمة المظهر تبدو وكأنها من وحى الخيال ، وعلى عجلة القيادة جلس شاب جذبت الرياح شعره إلى الخلف ، وبدا فى وهج الشفق وكأنه بطل صغير قد خرج من إحدى أساطير ساجا الشمالية .

وما إن لمس بوق السيارة حتى انطلق منها صوت زئير رددت صداه صخور الخليج . لقد كانت لحظة خيالية بدا فيها أنتونى مارستون وكأنه بطل خالد ، وتذكر العديد من الحاضرين تلك اللحظة بعد ذلك .

٣

جلس فريد ناركوت بجوار المحرك يفكر فى غرابة تلك المجموعة . إنها تختلف تماما عن فكرته عن ضيوف السيد أوين ؛ فقد توقع أناسًا أكثر رقيًا .. سيدات وسادة يرتدون ملابس ركوب الزوارق وكلهم أثرياء وتبدو عليهم مظاهر الأهمية ، وليسوا على الإطلاق مثل حفلات السيد إلمر روبسون . علا شفتى فريد ناركوت شبح ابتسامة

عندما تذكر ضيوف المليونير ، فقد كانت تلك حفلة إذا ما جاز لنا أن نطلق عليها كذلك ـ وقد احتسوا الشراب خلالها !

لا ريب أن السيد أوين هذا نوع مختلف من الرجال . فكر فريد أنه لمن الضحك أنه لم تقع عيناه حتى الآن على أوين أو زوجته ، فحيث إنه لم يأت إلى هنا حتى الآن فهو لم يره ، وقد كان كل شىء يتم طلبه وسداد ثمنه من قبل السيد موريس ، وكانت التعليمات دائما واضحة جدًا والدفع فوريًا ، على أن الأمر كان غريبًا أيضا . فالصحف قالت إن ثمة لغزًا حول السيد أوين وقد اتفق السيد ناركوت معهم فى ذلك .

ربما تكون الآنسة جابرييل تيرل هى التى اشترت الجزيرة على كل حال . بيد أنه عدل عن هذا الرأى عندما تفحص المسافرين ؛ فلم يبد أن لأى منهم علاقة بنجوم السينما . قام بإيجاز شخصياتهم بشكل منصف .

هناك آنسة عجوز من ذلك النوع الكئيب الذى يعرفه جيدًا ، ويراهن أنها ماكرة ، وهناك رجل عسكرى عجوز ـ يبدو عليه مظاهر أبناء الجيش الحقيقيين ، وهناك شابة تبدو لطيفة ولكنها من النوع العادى وليس النوع المبهر ذا اللمسة الهوليوودية . وهناك ذلك السيد المبتهج عريض الجبهة الذى لم يكن سيدًا حقيقياً ، بل تاجر متقاعد ، تلك هى حقيقته كما فكر فريد ناركوت ، أما السيد الآخر ، ذلك السيد النحيل ذو النظرة المتشوقة

والعينين السريعتين ، فقد كان غريبًا . ربما يكون له علاقة بالأفلام .

لا ، كان هناك مسافر واحد فقط لا يثير هذه المشاعر على متن القارب .. إنه ذلك السيد الأخير الذى وصل فى السيارة (ويالها من سيارة ! سيارة كما لم ير أحد مثلها من قبل فى ستيكل هافن ، ولابد أن سيارة كهذه تكلف الكثير) . كان ذلك النوع المناسب الذى ولد ليملك المال . لو كانت كل المجموعة مثله ! لكان فهم أنها . .

إنها لمهمة غريبة إذا فكرت فى الأمر برمته . أمر غريب . . غريب جدًا .

٤

اهتز القارب بشدة وهو يشق طريقه حول الصخور . والآن أخيرًا ظهر المنزل فى حيز الرؤية . كان الجانب الجنوبى من الجزيرة مختلفًا تمامًا ، فقد كان يميل برفق نحو البحر ، وكان المنزل هناك يواجه الجنوب . كان منخفضًا مربع الشكل عصريًا ذا إضاءة . كان منزلًا رائعًا . . منزلاً يرقى إلى التوقعات !

أطفأ فريد ناركوت المحرك ، وتقدموا فى طريقهم بحرص داخل الخليج الطبيعى الصغير الكائن بين الصخور .

قال فيليب لومبارد بحدة :

" لابد أنه كان من العسير أن نرسو هنا فى وجود طقس سيئ " .

قال فريد ناركوت مبتهجًا :

"لا يمكن أن نرسو على الجزيرة الهندية فى وجود عاصفة من ناحية الجنوب ، وأحيانا تنعزل الجزيرة لمدة أسبوع أو أكثر " .

فكرت فيرا كلايثورن قائلة :

" لابد أن التموين يكون عسيرًا جدًا ، وتلك مشكلة أى جزيرة ، إذ تكون المشكلات المحلية مقلقة جدًا " .

احتك القارب بالصخور ، وقفز فريد ناركوت وقام هو ولومبارد بمساعدة الآخرين على الترجل ، ثم ربط القارب فى حلقة فى الصخر ، وقادهم خلال درجات محفورة فى الصخر .

قال الجنرال مكارثر :

" يا لها من بقعة مبهجة ! " .

ولكنه لم يشعر بالراحة . إنه نوع غريب من الأماكن .

بينما كانت المجموعة ترتقى الدرجات ويصلون إلى الشرفة أعلاه انتعشت أرواحهم ؛ ففى الممر المفتوح للمنزل كان هناك خادم ينتظرهم ، وكانت تبدو عليه مظاهر المهابة التى بثت الطمأنينة فى قلوبهم . ثم إن المنزل نفسه كان جذابًا فعلاً وكان المنظر من الشرفة رائعًا . .

تقدم منهم الخادم وانحنى قليلاً . كان رجلاً طويلاً نحيلاً أشيب الشعر وشديد الاحترام ، قال لهم :

" هلا أتيتم من هذا الطريق من فضلكم ؟ " .

كانت المشروبات معدة فى القاعة الواسعة ، حيث ظهرت صفوف من الزجاجات ، فتهللت أسارير أنتونى مارستون ، فقد كان يفكر لتوه أن ذلك نوع من الاستعراض السخيف . لكن لم يكن ذلك شيئاً يعرفه ! كيف كان بادجر العجوز سيفكر إذا ما سنحت له الفرصة للدخول واحتساء الشراب هنا ؟ ومع ذلك ، فقد كانت المشروبات لا بأس بها ، وكان هناك كم وفير من الثلج أيضًا .

ما الذى كان يقوله ذلك الخادم ؟

لن يتمكن السيد أوين بسبب تأخره للأسف من الوصول إلى هنا إلا فى الغد .

يجب اتباع التعليمات ــ كل ما يريدونه ـ إذا ما كانوا يرغبون فى الذهاب إلى غرفهم . . . سيكون العشاء معدًا فى الساعة الثامنة . . .

٥

كانت فيرا قد تبعت السيدة روجرز إلى أعلى ، وفتحت المرأة بابًا لها فى نهاية الممر ، وسارت فيرا داخل غرفة بهيجة ذات نافذة كبيرة تنفتح على مشهد

البحر ونافذة أخرى تطل جهة الشرق ، وأطلقت صيحة بهجة سريعة .

كانت السيدة روجرز تقول :

" آمل أن يكون لديك كل ما ترغبين به يا آنسة " .

نظرت فيرا حولها . كانت أمتعتها قد أحضرت إلى أعلى وتم تفريغها .

فى إحدى جهات الغرفة كان هناك باب ينفتح على دورة مياه ذات قرميد أزرق باهت .

قالت سريعًا :

" نعم كل شىء يسير حسب ما أعتقد " .

" سوف تضغطين على الجرس إذا أردت شيئاً يا آنسة ؟ " .

كان صوت السيدة روجرز روتينياً . نظرت إليها فيرا بفضول . يا لها من سيدة بيضاء نحيلة وكأن الدم لا يسرى فى جسدها ! إنها تبدو مهيبة جدًا بذلك الشعر المجذوب خلف وجهها وردائها الأسود وعينيها الفاتحتين اللتين تتنقلان من مكان إلى مكان طوال الوقت .

فكرت فيرا :

" تبدو وكأنها مذعورة من شىء ما " .

نعم ، لقد كانت مذعورة !

تبدو وكأنها الخوف متجسدًا . . .

سرت رجفة بسيطة فى ظهر فيرا . مم تخاف السيدة ؟ قالت لها مبتهجة :

" أنا سكرتيرة السيدة أوين الجديدة، وأتوقع أنك تعلمين ذلك " .

" لا يا آنستى . أنا لا أعلم أى شىء ، أعلم فقط قائمة بالسيدات والسادة وغرفهم " .

" ألم تتذكرنى السيدة أوين ؟ " .

ارتجفت رموش السيدة روجرز قائلة :

" إننى لم أر السيدة أوين حتى الآن ، فقد جئنا إلى هنا منذ يومين فقط " .

فكرت فيرا فى أنهم أناس غريبون آل أوين هؤلاء ، وقالت بصوت مرتفع :

" من هم العاملون هنا ؟ " .

" فقط أنا وروجرز يا آنسة " . عبست كلتاهما . يوجد بالمنزل ثمانية أشخاص ، هم عشرة بالإضافة إلى أصحاب المنزل ـ ولا يوجد سوى زوجين فقط لخدمتهم .

قالت السيدة روجرز :

" إننى طاهية جيدة ويساعدنى روجرز فى شئون المنزل ، ولكننى لم أكن أعلم بالطبع أن هناك هذا العدد الكبير " .

قالت فيرا :

" ولكن هل بإمكانك تدبر الأمر ؟ " .

" بالطبع آنستى يمكننى تدبر الأمر ، وفى حالة وجود حفلات كبيرة بشكل معتاد ربما تحضر السيدة أوين المزيد من المساعدة للمنزل " .

قالت فيرا : " أتوقع ذلك " .

التفتت السيدة روجرز خارجة ، وتحركت قدماها دون ضجيج على الأرض ، وانسلت خارجة من الغرفة كأنها شبح .

ذهبت فيرا إلى النافذة وجلست إلى كرسى النافذة وكانت منزعجة قليلاً ؛ فقد بدا كل شىء غريباً إلى حد ما ، غياب آل أوين ، آل روجرز الباهتون كالأشباح ، والضيوف ! نعم الضيوف كانوا يتمتعون بالغرابة أيضا . لقد كانت مجموعة متنوعة شديدة الغرابة .

فكرت فيرا :

" أتمنى لو كنت قد رأيت آل أوين . . . أتمنى لو عرفت كيف يبدون " . ونهضت متوجهة بأرق نحو الغرفة .

كانت غرفة نوم رائعة مزينة أرجاؤها على الطراز الحديث ، مع وجود بسط بيضاء على الأرض الخشبية اللامعة ، والجدران ذات اللون الفاتح والمرآة الطويلة المحاطة بالأضواء . كان رف المدفأة خالياً من الزينة إلا من كتلة رخامية بيضاء هائلة على شكل دب ، وهى قطعة من النحت الحديث وضعت داخلها ساعة ، وداخل إطار كرومى لامع كانت هناك رقعة كبيرة مربعة . . . كانت قصيدة .

وقفت أمام المدفأة وقرأتها . كانت على وزن أغانى الأطفال القديمة التى تذكرتها منذ أيام طفولتها .

ذهب عشرة صبية هنود إلى الخارج للعشاء ،
خنق أحدهم نفسه ثم بقى تسعة .

سهر تسعة صبية هنود لوقت متأخر ،
نام أحدهم وبقى ثمانية .

كان ثمانية صبية هنود مسافرين فى ديفون ،
وقال أحدهم إنه سيبقى هناك ثم بقى سبعة.

كان سبعة صبية هنود يكسرون العصى ،
فشطر أحدهم نفسه إلى نصفين ثم بقى ستة.

كان ستة صبية هنود يلعبون بخلية نحل ،
فلسع زنبور أحدهم ثم بقى خمسة.

كان خمسة صبية هنود يمارسون القانون ،
قبض على أحدهم فى المحكمة ثم بقى أربعة.

ذهب أربعة صبية هنود إلى البحر ،
فابتلعت أحدهم سمكة حمراء ثم بقى ثلاثة.

ثلاثة صبية هنود كانوا يسيرون فى حديقة الحيوان ،
فاحتضن دب كبير أحدهم ثم بقى اثنان.

كان صبيان هنديان صغيران يجلسان فى الشمس ،
فاحترق أحدهم بالحرارة ثم بقى واحد.

بقى صبى هندى وحده ،
فذهب وشنق نفسه ثم لم يبق أحد.

ابتسمت فيرا . بالطبع ! كانت تلك جزيرة هندية ! ذهبت وجلست ثانية بجوار النافذة ونظرت إلى البحر .

كما كان البحر كبيرا ! فمن مكانها لم تكن ترى أى أرض فى الأفق فى أى مكان ، وإنما فقط مساحة شاسعة من المياه الزرقاء المائجة في شمس المساء .

كان البحر . . . هادئاً جدًا اليوم ـ وأحيانا يكون قاسيًا جدا . . . إنه البحر الذى يجرك إلى أعماقه . غَرِقَ . . . عُثِرَ عليه غريقًا . . . غريقًا . غرق فى البحر . . . غرق . . غرق . .

لا ، لن تتذكر . . . لن تفكر فى الأمر !

لقد انتهى كل هذا . . .

٦

قدم دكتور أرمسترونج إلى الجزيرة الهندية بينما كانت الشمس تغوص فى البحر ، وفى طريقه إلى هناك كان قد ثرثر مع صاحب القارب ، وهو رجل من سكان الجزيرة ؛ فقد كان شغوفًا بمعرفة أى شىء عن هؤلاء الناس الذين يملكون الجزيرة الهندية ، ولكن ذلك الرجل ناركوت بدا

كأنه ربما يعرف القليل من المعلومات ، فزاد فضوله ، أو ربما لم يكن على استعداد للحديث .

لذا ، فقد ثرثر الدكتور أرمسترونج بدلا من ذلك عن الطقس والصيد .

كان مرهقا بعد تلك القيادة الطويلة بالزورق وقد آلمته عيناه ، فعندما تقود نحو الغرب تقود فى مواجهة الشمس.

نعم ، كان متعبًا جدًا وكان البحر والهدوء التام هو ما يحتاجه . لقد كان يود بالفعل أن يحصل على إجازة طويلة ، ولكنه لم يكن يستطيع القيام بذلك . بالطبع يستطيع تحمل نفقاته ، ولكنه لا يمكن أن يتحمل أن يتم نسيانه ، فالمرء يغفل سريعًا هذه الأيام . لا ، والآن وقد وصل ، فلابد أن يعمل بحماسة .

فكر:

" لا اختلاف فى الأمر هذا المساء ، فسوف أتخيل أننى لن أعود إلى لندن وشارع هارلى وكل ذلك " .

كان هناك أمر ساحر بشأن الجزيرة ، فقد كانت الكلمة فى حد ذاتها توحى بالخيال . فأنت تفقد الاتصال بالعالم ، والجزيرة عالم فى حد ذاته..عالم ربما لن يمكنك العودة منه .

فكر :

" إننى أترك حياتى العادية خلفي " .

وابتسم لنفسه وهو يشرع فى وضع خطط . خطط خيالية للمستقبل ، وكان لا يزال مبتسمًا بينما كان يرتقى الدرجات الصخرية .

على مقعد فى الشرفة جلس سيد عجوز ، وقد بدا منظره مألوفاً بشكل غامض للدكتور أرمسترونج . أين رأى وجه الضفدع هذا ، ورقبة السلحفاة ، وتلك القامة الحدباء والعينين الباهتتين الماكرتين ؟ بالطبع . إنه وارجريف العجوز . لقد أدلى بشهادة أمامه ذات مرة ، وكان دائمًا ما يبدو وكأنه نصف نائم ، ولكنه يظهر مكراً عندما يتعلق الأمر بالقانون . لقد كانت له سلطة عظيمة مع هيئة المحلفين ؛ فقد قيل إن بإمكانه أن يغير آراءهم فى أى يوم من أيام الأسبوع ، إنه قاضى الشنق كما قال بعض الناس .

يا له من مكان غريب للقائه . . . هنا من بين جميع أماكن العالم !

٧

فكر القاضى جاستيس وارجريف :

" أرمسترونج ؟ أتذكره على منصة الشهود . لقد كان شديد الدقة والحرص . إن جميع الأطباء شديدو الحمق ، وأطباء شارع هارلى كانوا أسوأهم على الإطلاق " .

واسترجع ذهنه بمكر حوارًا دار مؤخرا مع شخصية لطيفة فى ذلك الشارع نفسه .

قال بصوت مرتفع مثير للاشمئزاز :

" الشراب فى القاعة " .

قال الدكتور أرمسترونج :

" لابد أن أذهب وأبدى احترامى لمضيفى ومضيفتى " .

أغلق السيد جاستيس وارجريف عينيه ثانية ، وبدا شكله أقرب للزواحف بشكل أكيد ، وقال :

" لا يمكنك فعل ذلك " .

قال دكتور أرمسترونج مندهشاً :

" ولِمَ لا ؟ " .

قال القاضى :

" لا يوجد مضيف أو مضيفة . إنها حالة مثيرة للفضول ، أنا لا أفهم هذا المكان " .

حدق فيه الدكتور أرمسترونج لوهلة ، وعندما ظن أن ذلك السيد العجوز قد غط فى النوم بالفعل ، قال وارجريف بغتة :

" هل تعرف كونستانس كالمينجتون ؟ " .

" لا ، أخشى أننى لا أعرفها " .

قال القاضى : " لا يهم ذلك . إنها امرأة شديدة الغموض ولديها توقيع لا يمكن قراءته عمليًا . لقد كنت أتساءل لتوى ما إذا كنت قد قدمت إلى المنزل الخطأ " .

هز الدكتور أرمسترونج رأسه ، وذهب إلى المنزل .

تأمل السيد جاستيس وراجريف أمر كونستانس كالمينجتون إنها امرأة لا يمكن الاعتماد عليها كدأب كل النساء .

استرسل عقله فى التفكير فى المرأتين الموجودتين فى المنزل ، الآنسة العجوز مذمومة الشفاه والفتاة . لم يكن يهتم لأمر الفتاة ، تلك الشابة الوقحة الجريئة . لا ، كانت هناك ثلاث من النسوة ، إذا ما أحصينا السيدة روجرز . يا لها من مخلوقة غريبة . لقد بدت مرتعبة بشدة . إنهما زوجان محترمان ويعلمان وظيفتهما جيدًا .

قدم روجرز إلى الشرفة فى هذه اللحظة فسأله القاضي : " هل من المنتظر وصول السيدة كونستانس كالمينجتون ؟ هل لديك علم ؟ " .

حدق فيه روجرز قائلا :

" لا يا سيدى ليس على حد علمى " .

ارتفع حاجبا القاضى ، ولكنه اكتفى بإصدار ذلك الصوت المعهود .

وفكر :

" الجزيرة الهندية ، أليس كذلك ؟ هناك أمر ما " .

٨

كان أنتونى مارستون يستحم ، وينعم بالمياه المتدفقة ، وقد شعر بتشنجات فى أطرافه عقب تلك القيادة الطويلة ، ومرت فى رأسه بضع أفكار . كان أنتونى مخلوقاً من الإحساس والحركة ، وفكر :

" يجب أن أخوض خلال هذا الأمر على ما أفترض " ، ثم طرد كل شيء من رأسه .

مياه دافئة متدفقة .. أطراف متعبة . . حلاقة فى الوقت الحالى . . حفلة عشاء . . ثم ماذا بعد ؟

٩

كان السيد بلور يعقد رابطة عنقه ، ولكنه لم يكن يجيد هذا النوع من الأشياء . هل يبدو على ما يرام؟ يفترض ذلك .

لم يكن أى من المجموعة على علاقة ودية معه ، بل اكتفى كل منهم بالنظر إلى الآخر ، كما لو كانوا يعلمون .

حسناً ، لقد كان الأمر خاصاً به .

لم يكن يقصد أن يفسد عمله .

رفع بصره إلى نشيد الأطفال الموضوع فى الإطار على رف المدفأة .

يالها من لمسة لطيفة أن يضعوا ذلك هنا !

فكر :

أتذكر هذه الجزيرة عندما كنت طفلاً . لم أعتقد أننى قد أقوم بهذا النوع من العمل فى منزل هنا . ربما يكون أمراً جيدًا أن أحداً لا يستطيع إبصار المستقبل .

. . . غريبة هى تلك الطريقة التى يفعلون بها . . .

١٠

جلس جنرال مكارثر مقطب الجبين .

اللعنة على ذلك كله ، إن الأمر برمته شديد الغرابة ! ليس على الإطلاق كما توقع . . .

كان ليخترع أى عذر للهروب من المكان . إن الأمر برمته . . .

ولكن الزورق البخارى قد عاد أدراجه إلى المدينة الرئيسية .

إن عليه أن يبقى .

والآن ذلك المدعو لومبارد كان شخصاً غريباً .

ليس مستقيمًا . . إنه ليقسم أنه ليس مستقيمًا .

١١

بينما كان الجرس يقرع ، خرج فيليب لومبارد من غرفته وسار إلى الدرج . كان يتحرك برشاقة وهدوء كالنمر . كان هناك شيء من صفات النمر فيه تمامًا ؛ إنه مفترس ولكنه مبهج للعين . كان يبتسم لنفسه مفكرًا : أسبوع .. أليس كذلك ؟

سوف يستمتع بذلك الأسبوع .

١٢

كانت إميلى برنت فى غرفة نومها وقد ارتدت زيًا من الحرير الأسود استعدادا لتناول العشاء وكانت قد جلست تقرأ .

زمت شفتيها بإحكام ، وأغلقت الكتاب فى يدها ، ونهضت وشبكت فى عنق الزى دبوساً من الكوارتز ، ثم ذهبت إلى العشاء .

الفصل ٣

١

قارب العشاء على الانتهاء .

كان الطعام جيدًا والشراب رائعًا ، وقد قام الزوجان روجرز بخدمة جيدة .

كان كل فرد قد تحسنت حالته النفسية ، وبدأوا يتحدثون مع بعضهم البعض على نحو أكثر حرية وود .

صار السيد جاستيس وارجريف شخصاً أكثر لطفًا ، ومسليا بشكل ساحر ، وكان الدكتور أرمسترونج وأنتونى مارستون ينصتان إليه . وكانت الآنسة برنت تتحدث إلى الجنرال مكارثر ، وقد اكتشفا بعض الأصدقاء المشتركين لهما ، بينما كانت فيرا كلايثورن تطرح على السيد دافيس بعض الأسئلة الذكية عن جنوب إفريقيا والذى كان طليق اللسان إلى حد ما فيما يتعلق بهذا الأمر . أنصت لومبارد إلى المحادثة ، ورفع بصره مرة أو مرتين سريعًا ، وضاقت عيناه اللتان كانتا تدوران حول المنضدة ما بين الفينة والأخرى لتدرس الآخرين .

قال أنتونى مارستون فجأة :

" غريبة تلك الأشياء أليس كذلك ؟ " .

فى منتصف المائدة المستديرة وعلى حامل زجاجى دائرى كانت هناك بعض الأشكال الفخارية الصغيرة .

قال تونى : " الهنود . . الجزيرة الهندية . أفترض أن هذه هى الفكرة " .

مالت فيرا إلى الأمام .

" أتساءل كم هو عددهم ؟ عشرة ؟ " .

" نعم هناك عشرة " .

صاحت فيرا :

" يا للغرابة ! إنهم العشرة صبية الهنود الذين تتحدث عنهم أنشودة الأطفال على ما أفترض ، إن الأنشودة موضوعة فى إطار فى غرفتى ومعلقة فوق رف المدفأة " .

قال لومبارد :

" وفى غرفتى كذلك " .

" وكذلك غرفتى " .

" وغرفتى " .

اشترك الجميع فى نفس الحديث ، وقالت فيرا :

" إنها لفكرة مسلية أليس كذلك " .

قال السيد جاستيس وارجريف بصوته الغليظ المعتاد :

" إنه أمر طفولى بشكل ملحوظ " ، ثم صب لنفسه الشراب .

تبادلت كل من إميلى برنت وفيرا كلايثورن النظرات ثم نهضت كلتا المرأتين

فى غرفة الضيوف كانت النوافذ الفرنسية تطل على الشرفة وقد سمع صوت هدير البحر على الصخور .

قالت إميلى برنت : " إنه صوت مبهج " .

أردفت فيرا بحدة : " إننى أكرهه " .

نظرت الآنسة برنت إليها فى دهشة ، فتضرج وجه فيرا بحمرة الخجل ثم قالت على نحو أكثر هدوءاً :

" لا أعتقد أن ذلك المكان سيكون جميلاً فى وجود العواصف " .

وافقتها إميلى برنت ، وقالت :

" لا أشك أن هذا المنزل يغلق فى الشتاء ، فلن تجدى أبدا من الخدم من يقبل بالمكوث هنا لأى سبب " .

غمغمت فيرا :

" لا بد أنه من العسير الحصول على خدم على أية حال " .

قالت إميلى برنت :

" لقد كانت السيدة أوليفر محظوظة للحصول على هذين الاثنين ، إن المرأة طاهية ماهرة " .

فكرت فيرا :

" أمر غريب أن الأشخاص المتقدمين فى السن دائما ما يخطئون فى الأسماء " ، ثم قالت :

" نعم أظن أن السيدة أوين كانت محظوظة بالفعل " .

أخرجت إميلى برنت قطعة صغيرة من النسيج المشغول بالإبرة من حقيبتها ، والآن وقد كانت على وشك البدء فى وضع الخيط فى إبرتها توقفت ، ثم قالت بحدة :

" أوين ؟ هل قلت أوين ؟ " .

" نعم " .

قالت إميلى برنت بحدة :

" لم ألتق فى حياتى شخصية تدعى أوين " .

حدقت فيرا فى دهشة :

" ولكن يقينا . " .

لم تكمل جملتها ، فقد انفتح الباب وانضم إليهما الرجال ، وتبعهم روجرز إلى الغرفة ومعه صينية القهوة .

أتى القاضى وجلس إلى جوار إميلى برنت ، بينما جلس أرمسترونج إلى جوار فيرا ، ومشى تونى مارستون مختالا باتجاه النافذة المفتوحة . تمعن بلور بدهشة ساذجة فى ذلك التمثال النحاسى - متسائلا عما إذا كانت تلك الملامح الجريئة الحادة يفترض حقا أن تكوِّن شكلاً أنثويًا . وقف جنرال مكارثر وقد أسند ظهره إلى رف المدفأة ، وعبث بشاربه الأبيض الصغير . لقد كان هذا عشاءً جيدًا بحق ! كانت حالته المعنوية تتحسن ، قلب لومبارد فى صفحات جريدة بنش القابعة مع غيرها من الجرائد على المنضدة بجوار الجدار .

دار روجرز بصينية القهوة التى كانت شديدة السواد وساخنة جدًا .

كانت المجموعة كلها قد تناولت العشاء بشكل جيد ، وكانوا راضين عن أنفسهم وعن الحياة . أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة وعشرين دقيقة ، وساد صمت . . صمت مطبق باعث على الراحة .

وفجأة شق ذلك الصمت صوت قاس محذر قوى . . .

" سيداتى وسادتى ! صمتاً من فضلكم . " .

سيطر الذهول على الجميع ، ونظروا إلى بعضهم البعض وإلى الجدران . من المتحدث ؟

استمر الصوت بنبرة واضحة مرتفعة .

إنكم متهمون بالجرائم التالية :

إدوارد جورج أرمسترونج ! أنت متهم بأنك تسببت فى الرابع عشر من شهر مارس عام ١٩٢٥ فى مقتل لويزا مارى كليس .

إميلى كارولين برنت ! أنت متهمة بأنك فى يوم الخامس من نوفمبر عام ١٩٣١ كنت مسئولة عن وفاة بياتريسر تيلور .

ويليام هنرى بلور ! أنت متهم بأنك تسببت فى وفاة جيمس ستيفن لاندور فى العاشر من أكتوبر عام ١٩٢٨ .

فيرا إليزابيث كلايثورن ! أنت متهمة بقتل سيريل أوجليفى هاميلتون فى الحادى عشر من أغسطس عام ١٩٣٥ .

فيليب لومبارد ! أنت مذنب بجريمة قتل أحد وعشرين رجلاً هم أعضاء القبيلة الإفريقية الشرقية فى يوم من أيام فبراير عام ١٩٣٢ .

جون جوردون مكارثر ! إنك قد تسببت عمدا فى مقتل عشيق زوجتك أرثر ريتشموند فى الرابع من يناير عام ١٩١٧ .

أنتونى جيمس مارستون ! إنك فى يوم الرابع عشر من نوفمبر الماضى كنت مذنبا بقتل جون ولوسى كومبس .

توماس روجرز وايثيل روجرز ! أنتما متهمان بالتسبب فى مقتل جينفر برادى فى السادس من مايو عام ١٩٢٦ .

جاستيس وارجريف ! إنك فى يوم العاشر من شهر يونيو عام ١٩٣٠ كنت مذنبا بقتل إدوارد سيتون .

أيها المساجين خلف القضبان ! هل لديكم ما تقولونه دفاعا عن أنفسكم ؟

٢

توقف الصوت تمامًا .

كانت هناك لحظة من الصمت المخيف ثم دوى صوت تحطم ! أسقط روجرز صينية القهوة !

فى اللحظة نفسها ، ومن مكان ما خارج الغرفة سمع صوت صرخة ثم صوت شهقة .

كان لومبارد أول من تحرك ، حيث قفز إلى الباب وفتحه ، وبالخارج كانت السيدة روجرز ملقاة ككتلة هائلة .

صاح لومبارد :

" مارستون " .

قفز أنتونى لمساعدته ، وقاما برفع السيدة وحملاها إلى غرفة الضيوف .

قدم الدكتور أرمسترونج سريعًا ، وساعدهما على رفعها على الأريكة ثم انحنى فوقها ، وقال سريعا :

" لا شىء ، إنها مغشى عليها هذا ما فى الأمر . سوف تفيق فى أية لحظة " .

قال لومبارد محدثا روجرز :

" اذهب وأحضر شراباً لها " .

غمغم روجرز الذى شحب وجهه وكانت يداه ترتجفان :

" نعم سيدى " ثم تسلل سريعا إلى خارج الغرفة .

صاحت فيرا :

" من كان هذا الذى يتحدث ؟ وأين كان ؟ لقد بدا . . لقد بدا . . "

انبرى جنرال مكارثر متحدثا فى ارتباك :

" ما الذى يحدث هنا ؟ أى نوع من الدعابات السمجة هذا ؟ " .

كانت يداه ترتجفان ، وقد تهدل كتفاه وبدا فجأة كما لو كان قد كبر عشر سنوات ، بينما كان بلور يمسح وجهه بمنديل .

لم يكن هناك من حافظ على هدوئه النسبى سوى السيد جاستيس وارجريف والآنسة برنت .

كانت إميلى برنت تجلس معتدلة القامة ، مرفوعة الهامة ، وقد تجمد الدم فى وجنتيها ، أما القاضى فقد جلس جلسته المعتادة وقد غاص رأسه بين كتفيه ، وكان يحك أذنه بإحدى يديه ، لكن عينيه كانتا نشطتين ، تجولان فى أنحاء الغرفة ، فى ذهول وتنبه وذكاء .

ومن جديد كان لومبارد هو من يبدأ التصرف ، فمع انشغال أرمسترونج بالسيدة المنهارة ، كان لومبارد قد فرغ من جديد لاتخاذ أى فعل من جانبه ، فقال :

" هذا الصوت ؟ لقد بدا كما لو كان فى الغرفة " .

صاحت فيرا :

" من كان هذا ؟ من ؟ لم يكن أحدنا " .

جالت عينا لومبارد ، مثل القاضى ، ببطء فى أنحاء الغرفة ، واستقرتا للحظة على النافذة المفتوحة ، ثم هز رأسه بشكل حاسم ، فجأة لمعت عيناه وتحرك إلى الأمام بسرعة إلى الباب المجاور للمدفأة الذى كان يؤدى إلى غرفة مجاورة .

وبحركة سريعة أمسك بالمقبض وفتح الباب بقوة وما إن ولج إلى الداخل حتى أطلق صيحة رضا ، قائلاً :

" تعالوا إلى هنا جميعًا " .

تجمهر الباقون خلفه باستثناء الآنسة برنت التى ظلت جالسة وحدها معتدلة القامة على مقعدها .

بداخل الغرفة الثانية كانت هناك منضدة أحضرت بالقرب من الجدار المجاور لغرفة الضيوف ، وقد وضع عليها جهاز فونوغراف عتيق الطراز مثبت به بوق كبير . كانت فوهة البوق قبالة الجدار ، ومع قيام لومبارد بدفعه جانبا ، تبين وجود ثقبين أو ثلاثة فى الجدار بشكل غير ملحوظ .

عدل الفونوغراف ووضع الإبرة على المسجل ثانية وسرعان ما سمعوا ثانية : " أنتم متهمون بالتهم التالية " ، صاحت فيرا :

" أغلقه ! إن ذلك فظيع ! " .

أطاعها لومبارد .

قال دكتور أرمسترونج مطلقا تنهيدة ارتياح :

" أفترض أنها دعابة سمجة قاسية مشينة " .

غمغم السيد جاستيس وارجريف بصوت واضح صغير :

" إذن أنتم تعتقدون أنها مزحة أليس كذلك ؟ " .

حدق فيه الطبيب الشاحب قائلاً :

" ما . . ماذا . . أنا . . سوف . . أنا . . لو " .

امتدت يد القاضى لتلمس شفته العلوية برفق . فقال :

" لست مستعدا الآن لإبداء رأى " .

انفجر أنتونى مارستون قائلاً :

" اسمعوا جميعا ! هناك شيء أغفلناه . من عساه أشعل ذلك الشىء وعمد إلى تشغيله ؟ " .

غمغم وارجريف :

" نعم أعتقد أننا يجب أن نستفسر عن ذلك " .

ثم توجه عائدًا إلى غرفة الضيوف وتبعه الآخرون .

كان روجرز قد عاد لتوه بالشراب ، وكانت الآنسة برنت منحنية فوق السيدة روجرز المتألمة .

تسلل الرجل بين المرأتين بمهارة .

" اسمحى لى يا سيدتى سوف أتحدث إليها . إيثل . . إيثل . . لا بأس كل شىء على ما يرام . هل تسمعيننى ؟ تماسكى " .

تلاحقت أنفاسها سريعًا ، وحملقت متجولة بأعين مرتعبة هنا وهناك فى حلقة الوجوه المحيطة بها . كان هناك تعجل فى نبرة صوت روجرز وهو يقول :

" تماسكى يا إيثل ! " .

تحدث إليها دكتور أرمسترونج مهدئاً :

" سوف تكونين على ما يرام الآن يا سيدة روجرز ، لقد كانت مجرد إخافة فظيعة " .

قالت :

" هل أغشى علىّ يا سيدى ؟ " .

" نعم . لقد كان ذلك الصوت الرهيب . . ذلك الصوت الذى يشبه صوت القاضى " .

أوجست خيفة ثانية ، وأخفقت بجفنيها .

قال دكتور أرمسترونج بحدة :

" أين ذلك الشراب ؟ " .

كان روجرز قد وضعه على المنضدة ، وسلمه أحدهم إلى الطبيب ، ثم انحنى به على المرأة المبهورة الأنفاس .

" اشربى ذلك يا سيدة روجرز " .

شربت واختنقت قليلاً وتلاحقت أنفاسها ، وقد أفادها الشراب حيث عاد إلى وجهها لونه الطبيعى ، فقالت :

" أنا بخير الآن . لقد أخافنى هذا فقط " .

قال روجرز سريعًا :

" بالطبع أخافنا . لقد أخافنى أنا أيضا ، وجعلنى أسقط تلك الصينية . يا لها من أكاذيب خبيثة ! نعم إنها كذلك . إننى أود أن أعرف . . " .

تمت مقاطعته بسعلة . لقد كانت مجرد سعلة واحدة ، لكن كان من شأنها إيقافه تماما . حدق فى السيد جاستيس وارجريف وسعل الأخير مجددا ، ثم استلقى قائلاً : " من الذى وضع ذلك التسجيل على الفونوغراف ؟ أكان ذلك أنت ؟ " صاح روجرز :

" لم أكن أعلم ما به . أقسم بأننى لم أكن أعلم ما به يا سيدى . إن كنت أعلم ما كنت لأضعه " .

قال القاضى بقسوة :

" ربما كان ذلك صحيحًا ، لكننى أعتقد أنه من الأفضل أن تفسر ذلك يا روجرز " .

مسح الساقى وجهه بالمنديل وقال بحماس :

" لقد كنت أطيع الأوامر فقط يا سيدى ، هذا كل شىء " .

" أوامر مَنْ ؟ " .

" أوامر السيد أوين " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" دعنى أستوضح ذلك الأمر ، ماذا كانت أوامر السيد أوين على وجه التحديد ؟ " .

قال روجرز :

" كان علىّ أن أضع التسجيل فى الفونوغراف ، وسوف أجد التسجيل فى الدرج وكان على زوجتى أن تشغل الفونوغراف عندما أذهب إلى غرفة الضيوف بصينية القهوة " .

غمغم القاضى :

" إنها قصة رائعة " .

صاح روجرز :

" إنها الحقيقة يا سيدى أقسم أنها الحقيقة . لم أكن أعلم أى شىء ، ولو للحظة واحدة . إن عليه اسم وقد اعتقدت أنه مجرد مقطوعة موسيقية " .

نظر وارجريف إلى لومبارد متسائلاً :

" هل كان هناك اسم عليه ؟ " .

أومأ لومبارد بالإيجاب وابتسم ابتسامة كشفت عن أسنانه البيضاء المدببة وهو يقول :

" صحيح تمامًا يا سيدى . كان يحمل عنوان أغنية البجعة . . . " .

٣

انبرى الجنرال مكارثر صائحًا فجأة :

" إن الأمر برمته أخرق . . أخرق ! إلقاء تهم على الجميع كهذا ! لا بد من فعل شىء حيال ذلك . إن ذلك

الشخص المدعو أوين أيا كان فإنه . . " . قاطعته إميلى برنت بحدة قائلة :

" هذا هو . ماذا كان اسمه ؟ " .

تدخل القاضى متحدثاً بالسلطة التى منحها إياه العمل طوال حياته بالمحاكم قائلاً :

" ذلك بالضبط ما يجب أن نخوض فيه بدقة . أقترح أن تضع زوجتك فى فراشها أولا يا روجرز ثم تعود إلى هنا " .

" نعم سيدى " .

قال دكتور أرمسترونج :

" سوف أساعدك يا روجرز " .

استندت السيدة روجرز على الرجلين وسارت مترنحة إلى خارج الغرفة وعندما ذهبوا قال تونى مارستون :

" لا أعلم ماذا ستتناول يا سيدى ولكننى أستطيع تناول شراب " .

قال لومبارد :

" أوافق " .

قال تونى :

" سوف أذهب للبحث عنه " .

خرج من الغرفة ثم عاد بعد ثانية أو اثنتين قائلاً :

" لقد وجدت كل شىء معداً على الصينية بالخارج فى انتظار إحضاره " . وضع حمله بحذر ، ومرت الدقيقة التالية فى تناول الشراب . فقد شعر الجميع بالحاجة إلى

محفز ، لكن إميلى برنت هى الوحيدة التى طلبت وحصلت على كوب من الماء . ولج الدكتور أرمسترونج إلى الغرفة من جديد وقال :

" إنها بخير ، لقد أعطيتها مهدئاً . ما هذا ؟ شراب ؟ يمكننى تناول واحد " .

أعاد عدد من الرجال ملء أكوابهم وبعد مرور دقيقة أو دقيقتين عاد روجرز إلى الغرفة .

تولى السيد جاستيس وارجريف مهمة إجراءات القضية وصارت الغرفة فى الحال قاعة محكمة .

قال القاضى :

" والآن يا روجرز يجب أن نصل إلى أصل كل هذا . من هو هذا السيد أوين " . حملق روجرز فى دهشة قائلاً :

" إنه من يملك هذا المكان يا سيدى " .

" إننى على علم بهذه الحقيقة ، ما أريد أن تخبرنى به هو ما تعلمه أنت نفسك عن هذا الرجل " .

هز روجرز رأسه قائلاً :

" لا يمكننى أن أقول يا سيدى . فأنت تفهم أننى لم أره فى حياتى " .

كانت هناك حركة بسيطة فى الغرفة .

قال جنرال مكارثر :

" لم تره فى حياتك قط ؟ ماذا تعنى ؟ " .

" لقد كنا هنا فقط لما يقل عن أسبوع يا سيدى أنا وزوجتى . وقد تم توظيفنا من خلال خطاب عن طريق وكالة ريجينا فى بلايموث " .

أومأ بلور بالإيجاب وتطوع قائلاً :

" إنها شركة عريقة " .

قال وارجريف :

" هل لديك ذلك الخطاب ؟ " .

" خطاب توظيفنا ؟ لا يا سيدى لم أحتفظ به " .

" أكمل قصتك ، تم توظيفك كما تقول من خلال خطاب " .

" نعم يا سيدى . كان علينا أن نصل فى يوم محدد وقد فعلنا . وكان كل شيء مرتبًا هنا وكانت هناك كمية كبيرة من الطعام فى المخزن وكان كل شيء لطيفاً جدًا . كنا فقط نحتاج إلى تنظيف الغبار وما إلى ذلك " .

" وماذا بعد ؟ " .

" لا شيء يا سيدى . تلقينا أوامر من خلال خطاب آخر بتحضير الغرف لضيوف المنزل ثم تلقيت خطابًا بالبريد بعد الظهيرة من السيد أوين ذكر فيه أنه والسيدة أوين لن يستطيعا الحضور وأن علينا أن نبذل أقصى ما بوسعنا وأعطانا تعليمات بشأن العشاء والقهوة ووضع التسجيل فى الفونوغراف " .

قال القاضى بحدة :

" بالطبع لديك هذا الخطاب ؟ " .

" نعم يا سيدى إنه لدىّ هنا " .

أخرجه من جيبه وتناوله القاضى .

ثم قال : " همم ! لقد توجه إلى فندق ريتز وكتبه بالآلة الكاتبة " .

سرعان ما قفز بلور إلى جواره ثم قال :

" اسمح لى بأن ألقى نظرة عليه " .

ثم انتزعه بغتة من يد الآخر ومر بعينيه سريعًا عليه ثم غمغم قائلاً : " آلة ملكية حديثة لا عيوب فيها ، وورق مطبوع عليه شعار ـ من أكثر الأنواع انتشارا . لن تكتشف أى شىء من خلال هذا . ربما فقط بصمات الأصابع ، لكننى أشك فى ذلك " ، حدق به وارجريف بانتباه مفاجئ .

كان أنتونى مارستون يقف إلى جوار بلور وقد نظر إلى الخطاب ثم قال : " هناك بعض الأسماء المختلقة ، أليس كذلك ؟ أوليك نورمان أوين ، يا له من اسم فخم ". قال القاضى العجوز بدهشة بسيطة :

" أنا ممتن لك يا سيد مارستون ، فقد جذبت انتباهى إلى نقطة مهمة مثيرة للفضول " .

ثم نظر حوله إلى الآخرين ومد عنقه إلى الأمام كسلحفاة غاضبة قائلاً :

" أعتقد أن الوقت قد حان كى نجمع معلوماتنا جميعا ، فسيكون من الأفضل ، كما أعتقد ، أن يقدم كل منا ما لديه من معلومات فيما يتعلق بمالك هذا

المنزل " . ثم توقف عن الحديث برهة ، وعاد ليستأنف قائلا : " إننا جميعًا ضيوفه وأعتقد أنه من المجدى أن يفسر كل منا بالضبط كيف حدث ذلك " .

سادت بين الجميع لحظة صمت ثم تحدثت إميلى برنت بإصرار قائلة : " هناك شىء غريب فى هذا الأمر؛ فقد تسلمت خطابًا بتوقيع لم يكن من اليسير قراءته ، ولكنه كان يوحى بأنه من امرأة قد التقيت بها فى أحد المنتجعات الصيفية منذ عامين أو ثلاثة " .

لقد ظننت أن الاسم هو أوجدن أو أوليفر؛ فقد كنت أعرف سيدة تدعى أوليفر وآنسة تدعى أوجدن ، وأنا على يقين من أننى لم ألتق يومًا أو أصادق أى شخص يدعى أوين " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" ألديك ذلك الخطاب يا آنسة برنت ؟ " .

" نعم ، سوف أحضره لك " .

ذهبت ثم عادت بعد دقيقة ومعها الخطاب .

قرأه القاضى وقال :

" لقد بدأت أفهم . . . آنسة كلايثورن " .

فسرت فيرا ظروف اشتراكها بالعمل كسكرتيرة وقال القاضى :

" مارستون ؟ " .

قال أنتونى :

" لقد تلقيت تلغرافًا من صديق لى يدعى بادجر بيركلى ، وأدهشنى الأمر فى حينه لأننى أعلم أن ذلك العجوز قد رحل إلى النرويج ، وقد أخبرنى أن آتى إلى هنا ". أومأ وارجريف مجددا وقال :

" دكتور أرمسترونج ؟ ".

" لقد تم استدعائى إلى هنا بصفة مهنية ".

" أفهم ذلك ، ولكن أليست لديك أية معرفة بالأسرة ؟ " .

"لا ، فقد ذُكر زميل لى فى الخطاب " .

قال القاضى :

" لأصدقك القول . . . نعم وهل انقطعت صلتك بذلك الزميل فى الوقت الحالى ؟ " .

" حسنا ، إمم . . نعم " .

قال لومبارد الذى كان يحملق إلى بلور بغتة :

" اسمعوا ، لقد فكرت لتوى فى أمر ما ".

رفع القاضى يده قائلاً :

" لحظة واحدة . . ."

" لكننى أنا . . أنا ".

" سوف نتناول الأمور شيئا فشيء يا سيد لومبارد ، ونحن فى الوقت الحالى نستفسر عن الأسباب التى تمخضت عن تجمعنا هنا الليلة . جنرال مكارثر ؟ ".

غمغم الجنرال الذى كان يعبث بشاربه قائلاً :

" تلقيت خطابًا من ذلك المدعو أوين وقد ذكر بعض الأصدقاء القدامى لى الذين كان من المزمع تواجدهم هنا ، وقد رغبت فى أن أتسامح فى أمر الدعوة غير الرسمية ، ولكن أخشى أننى لم أحتفظ بالخطاب " .

قال وارجريف :

" سيد لومبارد ؟ ".

كان عقل لومبارد يفكر فيما إذا كان عليه أن يعلن عن أمره أم لا ؟ ثم قرر .

قال : " الأمر نفسه ؛ تلقيت دعوة تذكر بعض الأصدقاء المشتركين وشعرت أن الأمر على ما يرام ، وقد مزقت الخطاب " .

حول السيد جاستيس وارجريف انتباهه إلى السيد بلور ، وربت بسبابته على شفته العليا وصار صوته هادئاً بشكل خطير عندما قال :

" والآن فإن لدينا تجربة مزعجة إلى حد ما . لقد تحدث إلينا صوت واضح ولكنه غير متجسد وأشار إلى كل منا باسمه ، ناطقا باتهامات محددة دقيقة ضدنا ، وسوف نتعامل مع تلك الاتهامات فى الوقت الحاضر . ولكننى فى هذه اللحظة مهتم بنقطة صغيرة ؛ فمن بين جميع الأسماء التى تم ذكرها كان هناك اسم السيد ويليام هنرى بلور ، ولكن على حد علمى فليس هناك من بيننا من يدعى بلور . لكن اسم دافيس لم يذكر ، فماذا لديك لتخبرنا به يا سيد دافيس ؟ " قال بلور بإحجام :

" يبدو أن السر قد انكشف ، وأفترض أنه من الأفضل أن أقر بأن اسمى ليس دافيس " .

" أنت ويليام هنرى بلور ؟ " .

" هذا صحيح " .

قال لومبارد : " سوف أضيف شيئاً . لست هنا باسم خاطئ فقط يا سيد بلور ، ولكن بالإضافة إلى ذلك ، فقد اكتشفت هذا المساء أنك كاذب من الدرجة الأولى . لقد ادعيت أنك قدمت من ناتال فى جنوب إفريقيا ، وأنا أعرف جنوب إفريقيا وناتال ، وأنا على استعداد لأن أقسم أن قدمك لم تطأ أرض جنوب أفريقيا فى حياتك " .

توجهت صوب بلور جميع الأعين . . أعين غاضبة متشككة ، وخطا أنتونى مارستون إلى جواره قابضًا يديه قائلاً :

" والآن أيها الحقير ! ألديك أى تفسير ؟ " .

أرخى بلور رأسه إلى الخلف وعقد فكه المربع قائلا :

" لقد أسأتم فهمى أيها السادة . إن لدىّ أدلتى ويمكنكم رؤيتها . إننى موظف سابق بقسم التحقيقات الجنائية ، وأنا أدير وكالة تحقيقات فى بلايموث وقد طلب منى أن أمارس هذه الوظيفة " .

سأل السيد جاستيس وارجريف : " مِنْ قِبَل مَنْ ؟ "

" لقد أرسل ذلك المدعو أوين مبلغاً ضخماً من المال لتغطية النفقات وطلب منى ما يريده ، وكان من المفترض أن ألحق بضيوف المنزل وأبدو أمامهم كضيف ،

وقد أعطيت جميع الأسماء ، وكان على أن أراقبهم جميعًا " .

" هل هناك أى سبب لذلك ؟ " .

قال بلور بمرارة :

" جواهر السيدة أوين . السيدة أوين ! لا أعتقد بوجود تلك الشخصية من الأساس " .

ومن جديد طرق القاضى بسبابته على شفته ، ولكن تلك المرة بشكل تقديرى قائلاً :

" أعتقد أن وسائلك لها ما يبررها . أوليك نورمان أوين فى خطاب الآنسة برنت ، على الرغم من أن اللقب الموقع به هو مجرد اسم لا يمكن قراءته ، فإن الأسماء الأولى واضحة بشكل معقول ـ أونا نانسى ـ وفى كلتا الحالتين يمكنكم ملاحظة تشابه الأحرف الأولى نفسها . أوليك نورمان أوين وأونا نانسى أوين . بعبارة أخرى يتم التوقيع بالحروف الإنجليزية يو وإن وأوين U . N . Owen أو إذا ما أضفنا القليل من التخيل سنجد أن هذه الكلمة هى Unknown التى تعنى المجهول ! " .

صاحت فيرا :

" ولكن هذا أمر جنونى ! "

أومأ القاضى برفق قائلاً :

" آه نعم . ليس لدىّ أدنى شك فى أننا قد دعينا إلى هنا من قبل رجل مجنون ، أو على الأرجح قاتل مخبول خَطِر " .

الفصل ٤

١

سادت لحظة صمت . صمت الخوف والدهشة ، ثم استأنف صوت القاضى الواضح مجددًا :

" سوف ننتقل الآن إلى المرحلة التالية من الاستجواب . بداية على أية حال سوف أضيف أدلتى إلى القائمة ".

تناول خطابًا من جيبه ، ووضعه على المنضدة .

" يفترض أن يكون هذا من صديق قديم لى وهى السيدة كونستانس كالمينجتون . إننى لم أرها منذ عدة سنوات ، وقد ذهبت إلى الشرق ، وهذا هو بالضبط نوع الخطاب الغامض غير المفهوم الذى يمكن أن تكتبه وتحثنى فيه على أن ألحق بها هنا ، مشيرة إلى مضيفها ومضيفتها بأكثر المصطلحات غموضًا ، وهى الطريقة نفسها كما تلاحظون ، وإننى أذكر ذلك فقط لأنه يتفق مع الأدلة الأخرى التى تومئ جميعها إلى نقطة مثيرة للاهتمام ؛ أيا كان من حثنا على المجىء إلى هنا ، فإن هذا الشخص

يعرف أو تجشم عناء معرفة الكثير من المعلومات عنا جميعًا ، وهو ، أيا كان ، على دراية بصداقتى للسيدة كونستانس وعلى علم بطريقتها فى كتابة الخطابات . وهو يعرف بشأن زميل الدكتور أرمسترونج ومعارفهما المشتركة ، كما يعرف اسم شهرة صديق السيد مارستون وأنواع التلغرافات التى يمكن أن يرسلها ، ويعلم تمام العلم أين كانت الآنسة برنت تقضى عطلتها منذ عامين ونوع الأشخاص الذين قابلتهم هناك ، ويعرف أصدقاء الجنرال مكارثر القدامى " .

توقف هنيهة ثم قال :

" كما ترون فإنه يعلم الكثير وانطلاقاً من معرفته بنا جميعًا ، فقد اتهمنا اتهامات محددة أكيدة " .

انطلقت فى الحال أصوات لغط الحاضرين وصاح الجنرال مكارثر :

" إنها مجموعة من الأكاذيب اللعينة ! افتراءات ! " .

صاحت فيرا وقد تلاحقت أنفاسها :

" إنه أمر شرير . . خبيث ! " .

صاح روجرز بصوت أجش :

" إنها كذبة . . كذبة خبيثة . . . لم يقم أى منا بها " .

وصاح أنتونى مارستون بصوت غاضب :

" لا أعلم ما الذى يرمى إليه هذا الأحمق ! " .

رفع السيد جاستيس وارجريف يدا أسكتت ذلك اللغط ، وقال وهو ينتقى كلماته بعناية :

" أتمنى أن أقول ذلك . إن صديقنا المجهول يتهمنى بجريمة قتل إدوارد سيتون ، وأنا أتذكر سيتون جيدا ، فقد حضر أمامى للمحاكمة فى يونيو عام ١٩٣٠ ، وقد اتهم بجريمة قتل سيدة عجوز . لقد تم الدفاع عنه بقوة وقد أثر تأثيرًا جيدًا على هيئة المحلفين على منبر الشهود . ومع ذلك ، وطبقا للأدلة كان مذنباً بالتأكيد ، وقد أصدرت حكمى بناء على ذلك ، وأصدرت هيئة المحلفين فتوى بإدانته . وعند إصدارى الحكم بالإعدام كنت متفقاً مع الفتوى . وتم تقديم التماس على أساس خطأ فى المعلومات ، لكن الالتماس قد رفض وتم تنفيذ الحكم . أتمنى أن أقول أمامكم جميعا إن ضميرى مستريح تماما بشأن هذا الأمر ، فقد أديت واجبى لا أكثر ، وأصدرت حكمًا على قاتل مدان بلا شك " .

كان أرمسترونج يتذكر الآن قضية سيتون ! لقد جاء الحكم بمثابة مفاجأة كبيرة ، لقد التقى ماتيوز كيه سى فى أحد أيام المحاكمة وهو يتناول غداءه فى أحد المطاعم . كان ماتيوز يبدو واثقا ، " لا ريب فى الحكم ، إنها البراءة بالتأكيد " . ثم سمع بعد ذلك التعليقات :

" لقد كان القاضى ضده بشدة وقد قلب هيئة المحلفين عليه وحدا بهم لإصدار فتوى بإدانته ، ومع ذلك فقد كان

الأمر قانونياً . لقد كان وارجريف العجوز يعرف القانون الذى يمثله ".

" لقد بدا وكأنه يحمل عداوة شخصية للمتهم ".

داهمت كل تلك الذكريات عقل الطبيب ، قبل أن يدرك مدى حكمة سؤال أطلقه بتهور : " هل كنت تعرف سيتون ؟ أعنى قبل القضية ؟ ".

التقت عيناه بعينى القاضى الثعبانيتين ، وقال ذلك الأخير بصوت بارد واضح :

" لم أكن أعلم أى شىء عن سيتون قبل القضية ".

قال أرمسترونج لنفسه :

" إن ذلك الرجل يكذب . . أعلم أنه يكذب ".

٢

تحدثت فيرا كلايثورن بصوت مرتجف قائلة :

" أود أن أخبركم عن ذلك الطفل سيريل هاميلتون . لقد كنت مربيته ، وكان قد مُنِعَ من السباحة لمسافة بعيدة ، وفى أحد الأيام عندما كان ذهنى منشغلاً بأمر ما شرع فى السباحة وقد سبحت خلفه ولكننى لم أتمكن من الوصول إليه فى الوقت المناسب . . . لقد كان أمراً فظيعاً . . ولكنها لم تكن غلطتى ، وقد برأنى المحقق فى الاستجواب . وكذلك والدته ، لقد كانت بالغة

الطيبة ، وإذا لم توجه هى اللوم لى فلماذا يقال هذا الشىء البشع ؟ إن هذا ليس عدلاً . . ليس عدلاً ".

انفجرت فى بكاء مرير .

ربت جنرال مكارثر على كتفها وقال :

" هونى على نفسك يا عزيزتى ، إن هذا ليس صحيحاً بالطبع ، إن ذلك الشخص مجنون ، مجنون ! إنه مهووس ! لقد أساء تفسير الأمر برمته ". ثم وقف منتصبا وقد عبث بشاربه ثم صاح قائلاً :

" من الأفضل حقا ألا نجيب عن هذه الأمور ، ومع ذلك ، أشعر بأن علىّ أن أقول إنه جانبه الصواب . . جانبه الصواب فى كل ما قاله عن آرثر ريتشموند . لقد كان ريتشموند أحد ضباطى ، وقد أرسلته فى مهمة استطلاعية وقُتِلَ هناك . إنه مسار طبيعى للأحداث فى وقت الحرب ، وأود أن أعرب عن استيائى الشديد مما قاله عن زوجتى من أمور مشينة ، إنها أفضل امرأة فى العالم ، بل هى بالتأكيد تشبه زوجة القيصر !

جلس جنرال مكارثر وقد عادت يداه المرتجفتان تعبثان بشاربه وقد أجهده الحديث بشدة .

ثم تحدث لومبارد بعينين زائغتين قائلاً :

" بالنسبة لهؤلاء المواطنين . . "

قال مارستون :

" ماذا عنهم ؟ " .

" إن القصة صحيحة إلى حد ما ! فقد تركتهم ! إنها مسألة حفاظ على النفس . لقد كنا ضائعين فى الأدغال ، وقد أخذت أنا واثنين من أتباعى كل الطعام الذى عثرنا عليه ولذنا بالفرار " . قال جنرال مكارثر بقسوة :

" هل تركت رجالك يتضورون جوعا ؟ " .

قال لومبارد :

" أخشى أنه لم يكن من أفعال الصداقة الصحيحة ولكن الحفاظ على النفس هو واجب المرء الأول ولا مانع لدى المواطنين من الموت ، فهم لا يشعرون بالأمر كما يفعل الأوروبيون " .

رفعت فيرا وجهها الذى كانت تغطيه بيديها قائلة وهى تحدق إليه :

" هل تركتهم يموتون ؟ " .

أجابها لومبارد :

" تركتهم يموتون " .

نظر بعينيه الزائغتين إلى عينيها المرتعبتين .

قال أنتونى مارستون بصوت مندهش بطىء :

" لقد كنت أفكر لتوى فى جون ولوسى كومبس ، لابد وأنهما طفلان دهستهما بالقرب من كامبريدج . بئس ذلك الحظ التعس " .

قال السيد جاستيس وارجريف بنبرة لاذعة :

" تعس لهما أم لك ؟ " .

قال أنتونى :

" حسناً ، لقد كنت أفكر أنه تعس بالنسبة لى ولكن بالطبع فإنك على حق يا سيدى لقد كان حظاً تعساً لهما . إنها كانت محض حادثة بالطبع ؛ فقد اندفعا من أحد الأكواخ أمامى ، وقد تم توقيف رخصتى لمدة عام . إزعاج شديد " . قال دكتور أرمسترونج بحرارة :

" إن تلك السرعة أمر خاطئ . خاطئ ! إن الشباب من أمثالك خطر على المجتمع " .

هز أنتونى كتفيه فى لامبالاة قائلاً :

" إن السرعة أمر حتمى ، لكن الشوارع الإنجليزية لا أمل منها بالطبع ، فلا يمكنك أن تجد سرعة ملائمة فيها " .

نظر حوله بغموض بحثاً عن كأس ، ثم التقطه ووضعه على المنضدة وذهب إلى الجهة الأخرى من المنضدة وأعد لنفسه شراباً ثم قال :

" حسنا ، على أية حال لم يكن ذلك خطئى ، وإنما كان مجرد حادث ! " .

٣

كان الخادم روجرز يرطب شفتيه ويعتصر يديه ثم قال بصوت خفيض مميز :

" هل أذنت لى بأن أقول كلمة يا سيدى ؟ " .

قال لومبارد :

" تكلم يا روجرز " .

تنحنح روجرز ومر بلسانه مرة أخرى على شفتيه الجافتين ، ثم قال : " لقد ورد ذكرى يا سيدى أنا والسيدة روجرز والآنسة برادى ، لكن هذا غير صحيح على الإطلاق يا سيدى . فقد كنت أنا وزوجتى مع الآنسة برادى حتى وافتها المنية ، وكانت دائما فى حالة صحية يرثى لها منذ وقت قدومنا . وقد كانت هناك عاصفة يا سيدى فى تلك الليلة . الليلة التى ساءت فيها حالتها ، ولم يكن الهاتف يعمل ولم نتمكن من إحضار الطبيب لها ، وقد ذهبت لإحضاره يا سيدى سيرًا على الأقدام ولكنه وصل بعد فوات الأوان . لقد فعلنا ما بوسعنا يا سيدى لإنقاذها ، وقد كنا مخلصين لها ، وسوف يخبرك أى شخص بالأمر نفسه ، ولم تصدر ضدنا أية كلمة . ولا كلمة واحدة " .

أمعن لومبارد النظر فى وجه الرجل المتقلص وشفتيه الجافتين وذلك الذعر الواضح فى عينيه وتذكر صوت سقوط صينية القهوة ، ومرت برأسه الفكرة ولكنه لم يقلها ، أحقاً ؟ " .

تحدث بلور بطريقته الرسمية الباعثة على الخوف قائلاً :

" ولكنكما حصلتما على شىء ما بعد وفاتها على الرغم من ذلك ؟ أليس كذلك ؟ " .

لملم روجرز شتات نفسه وقال بصرامة :

" لقد تركت لنا الآنسة برادى إرثا اعترافا بخدماتنا المخلصة . ولِمَ لا ؟ أود أن أعلم " .

قال لومبارد :

" وماذا عنك يا سيد بلور ؟ " .

" ماذا عنى ؟ " .

" لقد تم ذكر اسمك فى القائمة " .

احمر وجه بلور غضبًا وهو يقول :

" هل تعنى لاندور ؟ " لقد كانت تلك سرقة بنك لندن آند كوميرشال " بدت الإثارة على وجه السيد جاستيس وارجريف وقال :

" أتذكر ذلك . لم تعرض هذه القضية أمامى للحكم ولكننى أتذكرها . لقد تمت إدانة لاندور بناء على دليلك ؛ فقد كنت ضابط الشركة المسئول عن القضية ، أليس كذلك ؟ " .

قال بلور :

" نعم " .

" تم الحكم على لاندور بالأشغال الشاقة مدى الحياة وتوفى فى دارتمور بعد عام من القضية ، لقد كان رجلاً ضعيفا " .

قال بلور :

" كان محتالا . فقد كان هو من قتل الحارس الليلى وكانت القضية ضده بوضوح " .

قال وارجريف ببطء :

" أعتقد أنك قد تمت ترقيتك على تعاملك الجيد مع القضية " .

قال بلور بإحجام :

" لقد حصلت على ترقيتى " .

ثم أضاف بصوت غليظ :

" لقد كنت أؤدى واجبى فقط " .

ضحك لومبارد ضحكة رنانة مفاجئة وقال :

" يالنا من محبين لعملنا مؤتمرين بأمر القانون ! فيما عداى ، ولكن ماذا عنك يا دكتور وعن خطئك المهنى الصغير ؟ لقد كانت عملية غير مشروعة أليس كذلك ؟ " .

رمقته إميلى برنت بنظرة بغيضة وابتعدت عنه قليلا .

هز دكتور أرمسترونج ـ الذى كان شديد التحكم فى نفسه ـ رأسه باستخفاف قائلاً : " لقد يئست من فهم الأمر . إن الاسم الذى ذكر لم يعن شيئًا لى على الإطلاق لدى ذكره . ماذا كان الاسم ؟ . كليز ؟ كلوز ؟ لا أستطيع حقاً أن أتذكر مريضاً بهذا الاسم أو أننى كانت لى أية صلة بوفاة مريض . إن الأمر برمته يمثل لغزاً بالنسبة لى ، لقد مضى عليه بالطبع أمد طويل ، وربما تكون إحدى حالات جراحاتى فى المستشفى . لقد وصلوا متأخرين جدًا وكثير من الناس يفعلون ذلك ، ثم عندما يتوفى المريض دائمًا ما يعدون ذلك خطأ الجراح " .

أطلق تنهيدة ثم هز رأسه .

وفكر :

" ثملا . هذا ما كان عليه الأمر . لقد كنت ثملا وأجريت الجراحة ! كانت أعصابى متوترة ويداى ترتجفان . حسنا لقد قتلتها . يا لتلك العجوز المسكينة . لقد كانت جراحة يسيرة إن لم أكن ثملا ، ولكن من حسن الحظ أن هناك ولاء فى مهنتنا؛ فقد كانت الممرضة تعلم بالطبع ولكنها لم تنبس ببنت شفة . يا إلهى لقد صدمنى الأمر ، مزقنى . ولكن مَنْ بإمكانه أن يعلم بأمرها بعد كل تلك السنوات ؟ ".

٤

أسقط فى يد الحاضرين بالغرفة وكان كل شخص ينظر بشكل واضح أو خفى للآنسة إميلى برنت ، ومرت لحظة أو اثنتين قبل أن تدرك أن حديثها منتظر . ارتفع حاجباها على جبهتها الضيقة وقالت :

" هل تنتظرون أن أقول شيئاً ؟ ليس لدىّ ما أقوله " .

قال القاضى : " أليس لديك أى شىء يا آنسة برنت ؟ "

" لا شىء " .

زمت شفتيها بإحكام .

صك القاضى وجهه وقال بلطف :

" هل تحتفظين بدفاعك ؟ " .

قالت الآنسة برنت ببرود :

" ليس هناك مجال للدفاع ، فلطالما كنت أتصرف بما يمليه علىّ ضميرى ، وليس لدىّ شىء أؤنب عليه نفسى " . كان هناك جو من عدم الرضا ولكن إميلى برنت لم تكن ذلك النوع الذى يمكن أن يغيره الرأى العام ، وقد ظلت دون خضوع .

تنحنح القاضى مرة أو اثنتين ثم قال :

" إذن يتوقف استجوابنا هنا ، والآن يا روجرز مَنْ خلافنا نحن وأنت وزوجتك يوجد على ظهر الجزيرة ؟ " .

" لا أحد يا سيدى ، لا أحد على الإطلاق " .

" أواثق أنت من ذلك ؟ " .

" تمام الثقة يا سيدى " .

قال وارجريف :

" لست أفهم حتى الآن الغرض من قيام مضيفنا المجهول بجمعنا هنا ، ولكن فى رأيى أن هذا الشخص ، أيا كان ، لا يتمتع بالعقل بالمعنى المقبول للكلمة " .

" ربما يكون خطرًا ، وأرى أنه سيكون من الأفضل لنا أن نغادر المكان بأسرع ما يمكن ، وأقترح أن نغادر الليلة " .

قال روجرز :

" معذرة يا سيدى ولكن لا يوجد قارب على الجزيرة " .

" ألا يوجد أى قارب على الإطلاق ؟ " .

" بلى يا سيدى " .

" كيف تتواصل إذن مع البلدة الرئيسية ؟ " .

" من خلال فريد ناركوت ، فهو يأتى كل صباح يا سيدى ويحضر لى الخبز واللبن والبريد ويأخذ الأوامر " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" إذن أرى أنه سيكون جيدًا إذا ما غادرنا جميعنا صباحًا بمجرد وصول قارب ناركوت " .

كان هناك إجماع تام مع معارضة صوت واحد هو صوت أنتونى مارستون الذى اختلف مع الأغلبية قائلاً :

" إن ذلك غير عادل أليس كذلك ؟ يجب أن نحل اللغز قبل أن نرحل ، إن الأمر كله يبدو وكأنه قصة بوليسية مشوقة بشدة " .

قال القاضى على نحو لاذع :

" فى سنى هذه ليست لدىّ أية رغبة فى " التشويق " كما تطلق عليه " .

قال أنتونى مارستون ضاحكًا :

" إن الحياة القانونية تضيق ! أنا أكرس نفسى للجريمة " .

ثم التقط شرابه وتجرعه كله جرعة واحدة . ولكن سرعان ما اختنق بشدة وتقلص وجهه وتحول إلى اللون الأحمر ، ثم تلاحقت أنفاسه و . . انزلق من فوق مقعده مسقطًا الشراب من يده .

الفصل ٥

١

كان الأمر مفاجئاً وغير متوقع حتى إنه أذهل الجميع ، ولكنهم ظلوا يحملقون ببلاهة إلى ذلك الشخص المكوم على الأرض .

قفز دكتور أرمسترونج باتجاهه وهبط على ركبتيه إلى جواره ، ثم رفع رأسه وقد بدا الذهول فى عينيه وهو يقول بهمس خفيض تملؤه الرهبة :

" يا إلهى ! لقد مات " .

لم يتقبلوا الأمر على الفور .

مات ؟ مات ؟ ذلك الشاب الذى يشبه البطل فى ريعان صحته وقوته سقط متوفيًا فى لحظة . إن الشباب الأصحاء لا يتوفون هكذا مختنقين من تناول الكحوليات .

لا لا يمكنهم أن يتقبلوا ذلك .

كان دكتور أرمسترونج ينظر إلى وجه المتوفى ويتشمم شفته الزرقاء الملتوية ثم التقط الكأس التى كان أنتونى مارستون يرتشفها .

قال جنرال مكارثر :

" توفى ؟ هل تعنى أنه قد اختنق وتوفى ؟ " .

قال الطبيب :

" سمه اختناقًا إن شئت ، ولكنه توفى بتأثير الإسفكسيا " . ثم بدأ يتشمم الكأس ووضع إصبعه فى الرواسب ثم لمس إصبعه بطرف لسانه بحرص شديد .

ثم تغير تعبير وجهه .

قال جنرال مكارثر :

" لم أعرف رجلا مات هكذا بمجرد نوبة اختناق ! " .

قالت إميلى برنت بصوت واضح :

" هناك موت فى منتصف الحياة " .

نهض دكتور أرمسترونج قائلا على نحو فجائى مقتضب :

" لا ، إن المرء لا يموت هكذا من مجرد نوبة اختناق . إن وفاة مارستون لم تكن كما ندعوها وفاة طبيعية " .

قالت فيرا هامسة :

" هل كان هناك شىء ما فى شرابه ؟ " .

أومأ أرمسترونج برأسه إيجابًا :

" نعم . لا يمكننى أن أحدد بالضبط ولكن كل شىء يشير إلى وجود أحد مركبات السيانيد . ليست هناك تلك

الرائحة النفاذة لحامض البروسيك ، ولكن ربما يكون سيانيد البوتاسيوم وهو يعمل بسرعة شديدة " .

قال القاضى بحدة :

" لقد كان فى كأسه ؟ " .

" نعم " .

مشى الطبيب باتجاه المنضدة إلى حيث المشروبات ، وأزال سدادة زجاجة الشراب ثم تشممها وتذوقها ، ثم تذوق الصودا وهز رأسه .

" كلاهما على ما يرام " .

قال لومبارد :

" هل تعنى أنه ربما قد وضع ذلك المركب فى كأسه بنفسه ؟ " .

أومأ أرمسترونج بالإيجاب وعلا وجهه تعبير غير راض مثير للفضول وقال :

" يبدو الأمر هكذا " .

قال بلور :

" انتحار ، أليس كذلك ؟ يا لها من محاولة غريبة " .

قالت فيرا ببطء :

" لا يمكن أن تعتقد أنه قد يقتل نفسه ، لقد كان نابضًا بالحياة . . لقد كان . . يمتع نفسه ! عندما أتى أسفل سفح التل بسيارته ذلك المساء بدا . . بدا . . آه لا يمكننى أن أفسر ! " .

ولكنهم كانوا يعلمون ما تعنيه ، فقد كان أنتونى مارستون فى ريعان شبابه ورجولته وبدا كمخلوق خالد ، ولكن ها هو الآن ملقى أمامهم على الأرض مكوم مهزوم .

قال دكتور أرمسترونج :

" هل هناك أية إمكانية غير الانتحار ؟ " .

بدا كل شخص يهز رأسه ببطء . لم يكن هناك أى تفسير آخر؛ فلم يتم التدخل بتسميم المشروبات نفسها ، وقد رأوا جميعا أنتونى مارستون يذهب بنفسه لإعداد كأسه ، وبالتالى لا بد أن أى سيانيد فى المشروب قد وضع هناك من قبل أنتونى مارستون نفسه .

ولكن ، لماذا يقوم أنتونى مارستون بالانتحار ؟

قال بلور متدبرا :

" أتعلم يا دكتور ، لا يبدو الأمر صحيحًا بالنسبة لى ، فلا أعتقد أن السيد مارستون كان من النوع الذى يرتكب جريمة انتحار" .

أجابه أرمسترونج قائلاً :

" أتفق معك " .

٢

تركوا الأمر هكذا فلم يكن هناك أى شىء يقال .

وقام كل من أرمسترونج ولومبارد بحمل جسد أنتونى مارستون الساكن بلا حراك إلى غرفة نومه وأرقدوه هناك وقد غطوه بملاءة ، وعندما نزلوا الدرج ثانية كان الآخرون يقفون مجتمعين يرتعدون قليلاً على الرغم من أن الليلة لم تكن باردة .

وقالت إميلى برنت :

" من الأفضل أن نخلد للنوم ، فقد تأخر الوقت " .

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة وكان الاقتراح حكيمًا ، ومع ذلك فقد تردد الجميع . لقد بدا وكأنهم يتمسكون بصحبة أحدهم الآخر التماسًا للاطمئنان .

قال القاضى :

" نعم يجب أن نخلد للنوم " .

وقال روجرز :

" إننى لم أنظف غرفة الطعام بعد " .

قال لومبارد باقتضاب :

" افعل ذلك فى الصباح " .

وسأله أرمسترونج :

" هل زوجتك على ما يرام ؟ " .

فأجابه : " سوف أذهب لأرى يا سيدى " .

ثم عاد بعد دقيقة أو اثنتين قائلاً :

" إنها مستقرة فى النوم " .

قال الطبيب : " جيد ، إذن لا تزعجها " .

" لن أفعل يا سيدى ، سوف أنظم الأشياء فى غرفة الطعام ثم أتأكد من أن كل شىء فى مكانه ثم أذهب للنوم " .

وسار فى الردهة باتجاه غرفة الطعام .

صعد الآخرون إلى أعلى بمسيرة متباطئة رتيبة .

لو كان هذا منزلاً قديمًا يحدث خشبه صريرا وترى فيه ظلالا قاتمة وجدرانًا ذات ألوان داكنة لكان هناك شعور غريب . ولكن ذلك المنزل كان جوهر الحداثة ، فلم تكن هناك زوايا معتمة أو أسطح منزلقة ، وإنما كان يفيض بالأنوار الكهربية وكان كل شىء حديثًا مشرقًا براقًا . لم يكن هناك شىء خفى أو مخبأ فى المنزل ، ولم يكن له جو خاص به ، وكان ذلك هو أكثر شىء مخيف إلى حد ما .

تبادلوا تحيات المساء على الدرج العلوى وذهب كل منهم إلى غرفته وقام كل منهم على نحو تلقائى ودون تفكير بإغلاق بابه . . .

٣

فى غرفة السيد جاستيس وارجريف ذات اللون الهادئ المبهج أزال عنه ملابسه وأعد نفسه للنوم .

كان يفكر فى إدوارد سيتون .

كان يتذكر سيتون جيدا . شعره الأشقر وعينيه الزرقاوين وعادته فى النظر مباشرة إلى الوجه بمظهر مبهج من الاستقامة ، وهذا هو ما ترك انطباعًا جيدًا على هيئة المحلفين .

لقد أساء ليولين ممثل الملكية التعامل مع القضية إلى حد ما . لقد كان شديد العنف وقد حاول أن يثبت الكثير .

ومن الناحية الأخرى ، فقد كان ماتيوز ممثل الدفاع جيدًا ، وكانت نقاطه مثبتة وإجراءات إعادة استجوابه ماهرة ، وكان تعامله مع موكله على منصة الشهود بارعًا .

وقد مر سيتون بمحنة الاستجواب المشترك بنجاح ، فلم تتم إثارته أو استثارة عنفه ، وقد تأثرت هيئة المحلفين بذلك ، وربما بدا لماتيوز كما لو كان كل شىء يستحق التهليل .

خلع القاضى عنه ساعته بحرص ووضعها على الفراش وتذكر تمامًا كيف شعر وهو جالس هناك يستمع ويسجل الملاحظات ويقيم كل شىء ويرتب كل دليل ضد السجين .

لقد استمتع بتلك القضية ! كان خطاب ماتيوز النهائى يرقى إلى الدرجة الأولى ، وأخفق خطاب ليولين الذى جاء بعده فى إزالة التأثير الجيد الذى صنعه المستشار المدافع .

ثم جاء دور إصدار حكمه . . .

أزال السيد جاستيس وارجريف أسنانه الاصطناعية بحرص ووضعها فى كوب من الماء ، فبدت شفتاه متهدلتين . بدا فمه قاسيًا الآن . قاسيًا ومفترسًا .

أغمض القاضى عينيه وابتسم لنفسه .

لقد دمر سيتون تماماً !

اعتلى سريره بطقطقة مفصلية بسيطة وأطفأ الضوء الكهربى .

٤

وقف روجرز مندهشا فى غرفة الطعام بأسفل ، وكان يحدق فى الأشكال الفخارية الموضوعة على المنضدة وهو يغمغم لنفسه قائلاً : " يا له من أمر غريب ! أجزم أنه كانت هناك عشرة أشكال " .

٥

تقلب الجنرال مكارثر من جانب إلى آخر .

لم يكن باستطاعته أن ينام ، فقد بات يرى وجه آرثر ريتشموند فى الظلام .

لقد كان يحب أرثر ريتشموند . . بل لقد كان مولعاً بآرثر ، وكان مسرورًا من أن ليزلى قد أحبته أيضا .

كانت ليزلى متقلبة المزاج ، فكان هناك الكثير من الرفاق الذين تترفع عنهم ليزلى وتنعتهم بالملل . " ممل ! " . هكذا ببساطة .

ولكنها لم تجد آرثر ريتشموند مملاً ، بل لقد اتفقا مع بعضهما البعض منذ البداية ، وتحدثا عن المسرحيات والموسيقى والأفلام معًا . كانت تغيظه وتسخر منه وتمزح معه ، وكان مكارثر مبتهجًا لفكرة اهتمام ليزلى الأمومى بذلك الشاب .

اهتمام أمومى بالفعل ! كان من الغباء بحيث لم يتذكر أن ريتشموند كان فى الثامنة والعشرين وكانت ليزلى فى التاسعة والعشرين من العمر .

لقد أحب ليزلى . يمكنه أن يراها الآن ، بوجهها الرقيق وعينيها الرماديتين الراقصتين وشعرها البنى الكثيف . لقد أحب ليزلى وعشقها بالتأكيد .

هناك فى فرنسا وفى منتصف جميع مشاغله جلس يفكر فيها ويخرج صورها من جيب سترته العلوى . حتى وجد ذلك الخطاب !

لقد حدث الأمر تماما كما يحدث فى الكتب . . الخطاب فى الظرف الخاطئ . لقد كانت تكتب لكليهما وقد وضعت الخطاب المرسل إلى ريتشموند فى الظرف الموجه إلى زوجها . حتى الآن ، وبعد مرور كل تلك السنوات يمكنه أن يشعر بصدمة الألم . .

يا إلهى ، لكم آلمه ذلك !

لقد كان ذلك الأمر يحدث منذ فترة ، وقد أوضحه ذلك الخطاب .

عطلة الأسبوع ! آخر إجازة لريتشموند . . .

ليزلى . ليزلى وآرثر !

اللعنة على هذا الرجل ! اللعنة على وجهه المبتسم وعلى جملته الصارمة : " نعم سيدى " . يا له من كاذب منافق ! سارق لزوجة رجل آخر !

لقد تجمع ببطء ذلك الغضب القاتل البارد .

ونجح هو فى مواصلة الكتمان كالمعتاد ، وحاول أن يستمر فى معاملة ريتشموند بالطريقة نفسها .

ولكن هل نجح ؟ أعتقد ذلك ، فلم يكن ريتشموند يرتاب فى شىء ، وكانت نوبات الغضب تبرر نفسها بسهولة فى ذلك المكان حيث أعصاب الرجال دائما ثائرة من فرط المشقة .

لكن الشاب أرميتاج هو من نظر إليه مرة أو مرتين بفضول . إنه شاب صغير ولكنه يتمتع بإدراك كبير . . ذلك الصبى .

ربما خمن أرميتاج عندما حان الوقت .

فقد بعث ريتشموند عمدًا للقاء حتفه ، فلم يكن من الممكن أن ينجو من ذلك دون معجزة ، لكن تلك المعجزة لم تحدث . نعم لقد أرسل ريتشموند إلى حيث يلقى مصرعه ولم يكن آسفًا على ذلك ، بل كان الأمر بمنتهى السهولة ، فقد كانت الأخطاء ترتكب طوال الوقت وكان

الضباط يرسلون إلى الموت دون ضرورة ، كان الأمر برمته يعج بالارتباك والذعر . ربما يقول الناس بعد ذلك : " لقد فقد مكارثر العجوز أعصابه قليلاً وارتكب بعض الأخطاء الفادحة وضحى ببعض من أفضل رجاله " .

ولكنهم لن يقولوا المزيد . أما أرميتاج الصغير ، فكان مختلفاً ؛ لقد نظر إلى رئيسه المسئول بغرابة . ربما كان يعلم بإرسال ريتشموند حتما إلى حيث مصرعه .

(ولكن هل تحدث أرميتاج بعد أن انتهت الحرب ؟)

لم تكن ليزلى تعلم ، وقد بكت لفقدان حبيبها (كما يفترض) لكن بكاءها انتهى فى الوقت الذى عاد فيه إلى انجلترا ، لم يخبرها قط أنه اكتشف الأمر ، ولكنهما واصلا حياتهما معًا . . لكن بطريقة أو بأخرى لم تكن تبدو واقعية ثم بعد انقضاء ثلاثة أو أربعة أعوام أصيبت بالتهاب رئوى حاد ماتت على أثره .

كان ذلك منذ زمن طويل . . منذ خمسة أو ستة عشر عامًا .

وقد ترك الجيش وقدم للعيش فى ديفون ، وابتاع مكاناً صغيرًا إلى حد ما كان دائمًا ما يرغب فى شرائه . مكانًا به جيران لطفاء فى منطقة مبهجة من العالم ، وكان يمارس بعض الصيد ، ويذهب إلى الكنيسة أيام الآحاد (ولكن ليس فى اليوم الذى يقرأ فيه درسًا عن ديفيد وهو يضع أوريا فى جبهة القتال ، فلم يكن بإمكانه أن يواجه ذلك الأمر الذى يبعث فيه شعورًا بعدم الراحة) .

كان كل الناس يتعاملون بود معه ، لكن ذلك كان فى البداية . وفيما بعد انتابه شعور بأن الناس يتحدثون عنه من وراء ظهره ، وكانوا يرمقونه بنظرات مختلفة إلى حد ما كما لو كانوا قد سمعوا شيئاً ما . . إشاعة كاذبة . . . أرميتاج ؟ هل يفترض أن أرميتاج قد تحدث ؟ "

لقد تحاشى الناس بعد ذلك وانغلق على نفسه . يا له من شعور غير سار أن يتحدث الناس عنك !

ولكن ذلك كان منذ أمد بعيد ولا فائدة منه الآن ، لقد تلاشت صورة ليزلى فى الزمن البعيد ، وكذلك آرثر ريتشموند ، ولم يبد لأى مما حدث أهمية الآن . ومع ذلك ، فقد جعل هذا حياته وحيدة واعتاد على تجنب أصدقاء الجيش ، (لو كان أرميتاج قد تحدث لعرفوا الأمر) .

والآن . . وفى تلك الأمسية . . فجر ذلك الصوت الخفى القصة القديمة الخبيئة فيهم جميعًا وتساءل كل منهم : هل تعامل مع الأمر بشكل جيد ؟ هل نجح فى إخفاء مشاعره ؟ هل أظهر القدر الكافى من الشعور بالإهانة والاشمئزاز وليس الذنب أو عدم الراحة ؟ يصعب الحكم على الأمر . بالطبع لم يكن أى منهم يأخذ الاتهام على محمل الجد ، فقد كان هناك بعض من اللغو الفارغ الذى يصعب تصديقه أيضا ؛ فقد اتهم الصوت تلك الفتاة الساحرة بإغراق طفل ! يا للبلاهة ! إن هناك رجلاً مجنوناً يرميهم باتهامات مخبولة ! وكذلك فإن إميلى

برنت هى فى الواقع ابنة أخ توم برنت العجوز قائد الكتيبة العسكرية . لقد اتهمها بالقتل ! أى شخص كان ليرى بمنتهى السهولة أن تلك المرأة كانت على جانب من التقوى لا يتمتع به إلا رجال الدين .

يا له من أمر مثير للفضول ! أمر مجنون لا أكثر !

منذ أن وصلوا إلى هنا . . متى كان ذلك ؟ اللعنة لقد كان ذلك بعد ظهيرة اليوم ! لقد بدا أطول من ذلك بكثير .

فكر قائلاً : " أتساءل متى سنخرج من هنا ثانية " .

غدًا بالطبع عندما يأتى الزورق البخارى من البلدة الرئيسية .

غريب أنه فى تلك اللحظة لم يكن يود الرحيل من الجزيرة . . . ليعود إلى البلدة الرئيسية . يعود لمنزله الصغير . . يعود للمتاعب والقلق . ومن خلال النافذة المفتوحة أمكنه سماع صوت الأمواج المتكسرة على الصخور بصوت أكثر صخبًا من ذى قبل ذلك المساء ، وكانت الرياح تعلو أيضًا ، لكنه فكّر : " صوت هادئ ومكان هادئ . . . "

فكر قائلاً : " إن أفضل ما فى الجزيرة أنك وقتما تصل إليها لا يمكنك الذهاب إلى أبعد منها . . . إنك تأتى إلى نهاية الأشياء .

شعر فجأة أنه لا يود مغادرة الجزيرة .

٦

رقدت فيرا كلايثورن فى فراشها مفتوحة العينين تحدق إلى السقف ، وقد أضاءت المصباح المجاور لها . لقد كانت تخشى الظلام .

كانت تفكر :

" هوجو . . هوجو . . لماذا أشعر أنك قريب جداً منى الليلة ؟ . . .

فى مكان قريب جدًا . . .

أين هو حقاً ؟ لا أعلم ولن أعلم ، فقد ذهب بعيدًا . . بعيدًا عن حياتى ".

عبثا حاولت ألا تفكر فى هوجو؛ فقد كان قريبًا منها ، بل كان عليها أن تفكر فيه . . أن تتذكر . . . كورنوال . . الصخور السوداء . . الرمال الصفراء الناعمة . السيدة هاميلتون الضخمة خفيفة الظل . كان سيريل دائم التذمر يجذبها من يدها .

" أريد أن أسبح حتى الصخرة يا آنسة كلايثورن . لماذا لا أستطيع السباحة حتى الصخرة ؟ ".

رفعت عينيها والتقت بعينى سيريل اللتين ترقبانها .

فى تلك الأمسيات بعد أن يذهب سيريل إلى فراشه ...

" تعالى لنتمشى قليلاً يا آنسة كلايثورن ".

" أعتقد أننا ربما نفعل ".

تلك المشية المهذبة وصولا إلى الشاطئ . ضوء القمر وهواء الأطلسى الرقيق ، ثم ذراعا هوجو تلتفان حول عنقها .

" أحبك ، أحبك ، تعلمين أننى أحبك يا فيرا ؟ ".

نعم كانت تعلم .

(أو اعتقدت أنها كانت تعلم) .

" لا يمكننى أن أطلب منك أن تتزوجيني ؛ فليس لدىّ مال ، وذلك هو كل ما يمكننى أن أفعله لأعيش ، أترين ! من الغريب أننى واتتنى الفرصة منذ ثلاثة أشهر لأن أصبح رجلاً ثرياً تتطلع إليه النساء . لو لم يكن سيريل قد ولد خلال الثلاثة أشهر التى تلت وفاة موريس ! لو كان فتاة . . . ".

لو كان الطفل فتاة لكان هوجو قد ورث كل شىء . يعترف أنه قد خاب أمله .

" بالطبع لم أحسب نتائج ذلك ، لكنه كان أشبه بصدمة لى . آه ! حسنا . . الحظ هو الحظ . إن سيريل طفل لطيف وأنا شديدة الولع به " ، وقد كان هو أيضا مولعاً به ؛ فقد كان على استعداد دائما لأن يلعب مع ابن أخيه الصغير ويسليه . إن طبيعة هوجو لا تحمل أى عدوانية . أنا . . .

لم يكن سيريل قوياً بالفعل ، وإنما طفل ضعيف لا يتمتع بقوة الاحتمال . . إنه ذلك النوع من الأطفال الذى لن يعيش ربما كى يصبح بالغاً .

ثم . . ؟

" آنسة كلايثورن ! لماذا لا يمكننى أن أسبح حتى الصخرة ؟ ".

جملة متكررة مزعجة .

" إنها بعيدة جدا يا سيريل " .

" ولكن يا آنسة كلايثورن . . .

استيقظت فيرا وذهبت إلى منضدة الزينة وابتلعت ثلاثة أقراص من الأسبرين ، وفكرت :

" أتمنى لو كانت معى أقراص منوم جيدة " .

فكرت :

" إن كنت لأتخلص من حياتى لأخذت جرعة زائدة من فيرونال أو شيء من هذا القبيل لا سيانيد ! " .

ارتجفت بينما تتذكر وجه أنتونى مارستون المتشنج شديد الزرقة وبينما هى تمر برف المدفأة حانت منها التفاتة إلى القصيدة الموضوعة فى الإطار .

ذهب عشرة صبية هنود للعشاء
خنق أحدهم نفسه ثم بقى تسعة

فكرت :

" إنه أمر مرعب ـ تماما مثلما حدث معنا هذا المساء .

لماذا يرغب أنتونى مارستون فى الموت ؟

لم تكن تود أن تموت .

لم تستطع أن تتخيل الرغبة فى الموت .

لقد كان الموت للآخرين . .

الفصل ٦

١

كان الدكتور أرمسترونج يحلم . .

كان الجو خانق الحرارة فى غرفة العمليات . .

لقد رفعوا الحرارة بشدة بالتأكيد ؟ كان العرق يتصبب على وجهه وكانت يداه باردتين رطبتين بحيث يصعب عليه الإمساك بالمشرط بإحكام . .

كم كان ذلك المشرط حاداً . .

من السهل ارتكاب قتل بسكين كهذا ، وقد كان بالطبع يرتكب جريمة قتل . لقد بدا جسد هذه المرأة مختلفا . لقد كان جسداً ضخماً غير متناسق ، لكن هذا جسد نحيف وقد كان الوجه مخبأ .

من تلك التى كان عليه أن يقتلها ؟

لم يستطع التذكر ، ولكنه يجب أن يعرف ! هل يجب أن يسأل الممرضة ؟

كانت الممرضة تراقبه . لا لا يمكنه أن يسألها ، لقد كانت مرتابة ويمكنه أن يرى ذلك .

ولكن من تلك الممددة على طاولة العمليات ؟

لم يكن ينبغى أن يغطوا وجهها كذلك .

لو كان باستطاعته أن يرى وجهها . . .

آه ذلك أفضل ! كان أحد أطباء الامتياز الشباب يجذب الملاءة . بالطبع إنها إميلى برنت . . لقد كان عليه أن يقتل إميلى برنت . كما كانت عيناها خبيثتين ! كانت شفتاها تتحركان ، ماذا كانت تقول ؟

" هناك موت فى منتصف الحياة " .

لقد كانت تضحك الآن . لا أيتها الممرضة ، لا تعيدى الملاءة على وجهها ثانية . . يجب أن أرى . . يجب أن أعطيها مخدرًا . . أين المخدر ؟ لابد أننى أحضرت المخدر معى . . ماذا فعلت بالمخدر أيتها الممرضة ؟ نعم سيفى هذا بالغرض .

اجذبى الملاءة أيتها الممرضة .

بالطبع ! لقد كنت أعلم طوال الوقت ! إنه أنتونى مارستون ! بوجهه المزرق المتشنج ، ولكنه ليس ميتاً إنه يضحك . . أقول لك إنه يضحك ! إنه يهز طاولة العمليات .

احترس أيها الرجل . . احترس ! ثبتيها أيتها الممرضة ، ثبتيها . .

استيقظ دكتور أرمسترونج فزعاً . كان الصباح قد حل وكانت الغرفة غارقة فى ضوء الشمس .

وكان أحدهم قد مال عليه يهزه . لقد كان روجرز . . كان روجرز يصيح فيه بوجهه الشاحب : " دكتور . . دكتور ! " .

استفاق الدكتور أرمسترونج تمامًا وجلس معتدلاً فى فراشه وهو يقول بحدة :

" ماذا حدث ؟ "

" إنها زوجتى أيها الطبيب . . إنها لا تستيقظ . يا إلهى ! لا أستطيع إيقاظها . . و . . وهى لا تنظر إلى مباشرة " .

تحرك دكتور أرمسترونج بسرعة وكفاءة ؛ فلف نفسه برداء نومه وتبع روجرز .

انحنى على الفراش حيث ترقد المرأة بسلام على جنبها ورفع يدها الباردة وجفنها ومرت بضع دقائق قبل أن يعتدل واقفا ويتنحى عن الفراش .

همس روجرز :

" هل هى . . هل . . " .

مر بلسانه على شفتيه الجافتين .

بينما أومأ أرمسترونج برأسه إيجابًا :

" نعم ، لقد ماتت " .

استقرت عيناه فى تدبر على الرجل الواقف أمامه ثم ذهب إلى المنضدة المجاورة للفراش وإلى الحوض ثم عاد إلى المرأة النائمة .

قال روجرز :

" هل كان . . هل كان قلبها يا دكتور ؟ " .

مرت دقيقة أو اثنتان قبل أن يجيبه دكتور أرمسترونج قائلاً : " كيف كانت حالتها الصحية فى المعتاد ؟ " .

قال روجرز :

" لقد كانت مصابة بقليل من الروماتيزم " .

" هل كان هناك طبيب يتابع حالتها مؤخرًا ؟ " .

حدق روجرز مندهشًا وهو يقول : " طبيب . لا لم يذهب أى منا لزيارة الطبيب منذ سنوات " .

" أليس لديك أى سبب يدعوك للاعتقاد بأنها تعانى من مشكلة فى القلب ؟ " .

" لا يا دكتور . ليس على حد علمى " .

قال أرمسترونج :

" هل نامت جيدًا ؟ " .

تجنبت عينا روجرز عينيه الآن واعتصرت يداه إحداهما الأخرى فى غير راحة وغمغم قائلاً :

" لا لم تنم جيدًا " .

قال الدكتور بصرامة :

" هل تناولت أية أقراص لتساعدها على النوم ؟ " .

حدق إليه روجرز مندهشاً :

" تناولت أقراصًا ؟ لتجعلها تنام ؟ ليس على حد علمى ، فأنا على يقين من أنها لم تفعل " .

ذهب أرمسترونج إلى الحوض .

كانت هناك عدة زجاجات فوقه . . غسول للشعر ، ماء خزامى ، مطهر ، جليسرين لترطيب اليدين ، غسول للفم ، معجون أسنان . ساعد روجرز بجذب بعض أدراج منضدة الزينة وانتقلا من هناك إلى دولاب الأدراج ، ولكن لم تكن هناك أية علامة على وجود أقراص أو شراب منوم .

قال روجرز :

" إنها لم تتناول شيئاً الليلة الماضية يا سيدى سوى ما أعطيته لها . . . " .

٢

عندما قرع جرس الإفطار فى الساعة التاسعة كان الجميع قد استيقظوا وفى انتظار اجتماعهم .

كان جنرال مكارثر والقاضى يتمشيان فى الشرفة بالخارج ويتبادلان التعليقات حول موضوعات منفصلة عن الوضع السياسى .

كانت فيرا كلايثورن وفيليب لومبارد على قمة الجزيرة خلف المنزل حيث لمحا ويليام هنرى بلور وقد وقف يحدق إلى البلدة الرئيسية ، ثم قال :

" ليست هناك أية علامة على ظهور زورق بخارى حتى الآن ، لقد كنت أترقبه " .

قالت فيرا مبتسمة :

" إن ديفون مقاطعة هادئة وعادة ما تتأخر الأشياء فيها " .

كان فيليب لومبارد ينظر إلى الجانب الآخر . ينظر إلى البحر ، وقال فجأة :

" ماذا تعتقدون بالنسبة للجو ؟ " .

نظر بلور إلى السماء ثم قال :

" يبدو جيدًا بالنسبة لى " .

زم لومبارد شفتيه مطلقاً صفيرًا ثم قال :

" سوف تهب الريح قبل أن ينتهى اليوم " .

قال بلور :

" إنها تهب قليلا ، أليس كذلك ؟ " .

من أسفلهم سمعوا صوت الجرس فقال فيليب لومبارد :

" الإفطار ؟ حسنا . يمكننى أن أتناول بعض الطعام " .

وبينما كانوا ينزلون أسفل المنحدر تحدث بلور إلى لومبارد بصوت متأمل قائلا : " أتعلم ! إننى أعجز عن فهم سبب رغبة ذلك الشاب فى الانتحار ! لقد كان هذا الأمر يثير قلقى طوال الليل " .

كانت فيرا تسبقهم قليلا ، فتأخر لومبارد فى السير خلفها قليلاً ثم قال :

" هل لديك أية نظرية بديلة ؟ " .

" أود الحصول على أى دليل . أى دافع للبدء به ، فيجب أن أقول إنه كان ثريًا " .

خرجت إميلى برنت من غرفة الضيوف لتلتقيهم على الباب ، وقالت بحدة :

" هل القارب قادم ؟ " .

قالت فيرا : " ليس بعد " .

ذهبوا لتناول الإفطار وكان هناك طبق كبير من البيض مع لحم على جانبيه بالإضافة إلى الشاى والقهوة .

فتح روجرز الباب ليدخلوا ثم أغلقه من الخارج :

قالت إميلى برنت :

" إن هذا الرجل يبدو مريضًا هذا الصباح " .

تنحنح دكتور أرمسترونج الذى كان يقف بجوار النافذة وقال :

" لابد أن تتسامحى مع أية أخطاء هذا الصباح؛ فقد كان على روجرز أن يبذل أفضل ما لديه فى إعداد الإفطار وحده ، فلم تتمكن السيدة روجرز من المواصلة هذا الصباح " .

قالت إميلى برنت بحدة :

" ما الذى تعانى منه هذه المرأة ؟ " .

قال دكتور أرمسترونج محاولاً تلطيف الجو :

" دعونا نبدأ إفطارنا فسوف يبرد البيض ، وبعد ذلك فهناك عدة موضوعات أود مناقشتها معكم جميعًا " .

قبلوا الملاحظة ثم ملأوا أطباقهم وصبوا الشاى والقهوة وبدأت الوجبة .

كانت المناقشة حول الجزيرة محظورة بالموافقة الإجماعية ، وإنما تحدثوا بدلا من ذلك بشكل منفصل عن الأحداث الحالية . . أحداث العالم الخارجى ، وأحداث عالم الرياضة وغيرها من تلك الموضوعات العامة .

ثم بعد أن فرغت الأطباق تراجع دكتور أرمسترونج فى مقعده قليلاً وتنحنح قائلاً :

" اعتقدت أنه من الأفضل أن أنتظر حتى تنتهوا من إفطاركم لأنقل لكم تلك الأخبار المحزنة . لقد توفيت السيدة روجرز أثناء نومها " .

انطلقت بعض التعبيرات المصدومة المذهولة .

صاحت فيرا متعجبة :

" كم هو أمر بشع ! ميتتان على الجزيرة منذ أن وصلنا ! " .

ضاقت حدقتا السيد جاستيس وارجريف وقال بصوته الصغير الدقيق الواضح : " إمم . . أمر جدير بالملاحظة ماذا كان سبب الوفاة ؟ " .

هز أرمسترونج كتفيه قائلاً :

" من المستحيل أن أقول دون تدبر فى الأمر " .

" هل يجب أن يكون هناك تشريح ؟ " .

" بالطبع لا يمكننى أن أعطى ترخيصا بذلك ، فليست لدىّ أدنى فكرة عن الحالة الصحية للمرأة " .

قالت فيرا :

" لقد بدت مخلوقة عصبية جدًا ، وقد صدمها ما حدث ليلة أمس . . ربما كانت أزمة قلبية على ما أفترض ؟ " .

قال دكتور أرمسترونج بجفاف :

" لقد فشل قلبها بالطبع عن الخفقان ولكن ما تسبب فى هذا الفشل هو ما يهم " .

انطلقت كلمة من فم إميلى برنت بدت قاسية وواضحة لأسماعهم :

" الضمير ! " .

التفت إليها أرمسترونج قائلاً :

" ماذا تعنين بالضبط يا آنسة برنت ؟ " .

زمت إميلى برنت شفتيها بشدة وقالت :

" لقد سمعتم جميعكم . لقد اتهمت هى وزوجها بالقتل العمد لربة عملهما السابقة السيدة العجوز " .

" وأنت تعتقدين ؟ " .

قالت إميلى برنت :

" أنا . . أنا . . أنا أعتقد أن الاتهام كان صحيحا ، فقد رأيتموها جميعكم الليلة الماضية . لقد انهارت تمامًا وأغشى عليها . إن صدمة إفشاء سر عملها الشرير كانت كثيرة عليها وقد توفيت إثر الخوف " .

هز دكتور أرمسترونج رأسه بتشكك قائلاً :

" إنها نظرية ممكنة ولكن لا يمكن أن نصدقها دون وجود مزيد من المعلومات عن حالتها الصحية ، وما إذا كان هناك وهن قلبى . . ".

قالت إميلى برنت بهدوء :

" سمه إذا شئت انتقام الله ".

بدت الصدمة على وجوههم جميعًا وقال السيد بلور بغير ارتياح :

" إن هذا يجنح بنا بعيدًا جدًا يا آنسة برنت ".

نظرت إليهم بعينين لامعتين ورفعت ذقنها وقالت :

" هل تعتبرون أنه من المستحيل أن يصب الله جام غضبه على المذنب ! لكننى لا أعتقد ذلك ! ".

طرق القاضى على ذقنه وغمغم بصوت يحوى قليلاً من السخرية :

" سيدتى العزيزة ، من خلال خبرتى ، إن مسألة الإدانة والعقاب تُترك لنا نحن الفانين وغالبا ما تكون هذه العملية زاخرة بالمصاعب فليست هناك سبل مختصرة ".

هزت إميلى برنت كتفيها فى لامبالاة .

قال بلور بحدة :

" ما الذى تناولته من طعام أو شراب فى فراشها ؟ ".

قال أرمسترونج :

" لا شىء ".

" ألم تتناول أى شيء ؟ فنجاناً من الشاى ؟ شربة ماء ؟ أراهن أنها تناولت فنجاناً من الشاى ، إن هذا الأمر يحدث دائمًا ".

" لقد أكد لى روجرز أنها لم تتناول أى شىء على الإطلاق ".

قال بلور : " آه ولكنه يمكن أن يكون قد اختلق ذلك ! ".

كانت نبرة صوته مميزة حتى إن الطبيب قد نظر إليه بحدة وقال فيليب لومبارد :

" هذه هى فكرتك إذن ؟ ".

قال بلور بعدوانية :

" حسناً ، لِمَ لا ؟ لقد سمعنا جميعًا تلك الاتهامات ليلة أمس . ربما يكون ضوء القمر . مجرد جنون ! ومن ناحية أخرى ربما لا يكون الأمر كذلك . اعتبروا الأمر صحيحًا الآن . قام روجرز وزوجته بقتل تلك المرأة العجوز . حسنا أين يوصلكم ذلك ؟ لقد كانا يشعران بالأمان والسعادة بشأن هذا . . ".

قاطعته فيرا بصوت خفيض :

" لا ، لا أعتقد أن السيدة روجرز شعرت بالأمان إطلاقاً ".

بدا بلور منزعجًا للمقاطعة وكأن نظرته تقول : " كما هو دأب النساء ". ثم استأنف قائلاً :

" ربما يكون هذا صحيحًا . على أية حال فلم يكن هناك أى ضرر عليهما على حد علمهما ، ثم فى الليلة الماضية أفشى شخص مجهول مجنون سرهما ، فماذا حدث ؟ انهارت المرأة . انهارت تمامًا . لاحظوا كيف كان زوجها منحنياً عليها بينما كانت تستفيق . لم يكن ذلك قلق الزوج على زوجته ! أبدًا ، لقد كان كالقطة على صفيح ساخن . . كان خائفاً على حياته . . خائفاً مما قد تقوله .

" وهاكم الوضع ! لقد ارتكبا جريمة قتل وهربا بفعلتهما ، ولكن إذا ما كان كل شيء سينكشف فماذا سيحدث ؟ ستفشى المرأة السر بنسبة عشرة إلى واحد؛ فليست لديها الشجاعة للصمود ومواجهة الأمر . إنها بمثابة خطر حى على زوجها . إنه بخير . سوف يكذب بوجه وقح إلى يوم القيامة ولكنه لا يمكن أن يكون على يقين من جهتها ! وإذا كانت ستنهار ، فإن حياته فى خطر ! لذا فقد وضع شيئاً فى فنجان الشاى ليضمن أن فمها سيظل مغلقاً إلى الأبد " .

قال أرمسترونج ببطء :

" لم يكن هناك أى فنجان فارغ إلى جوار الفراش . . لم يكن هناك أى شيء على الإطلاق . لقد بحثت بنفسى " . قال بلور باستخفاف :

" بالطبع لن يكون هناك أى شيء ، فأول ما سيفعله عندما تتناوله هو أن يأخذ الفنجان والطبق بعيدًا ثم يغسلهما بعناية " .

سادت لحظة صمت ثم قال الجنرال مكارثر بتشكك :

" ربما يكون الأمر كذلك ، ولكن يصعب علىّ أن أفكر أنه من الممكن أن يفعل الرجل هذا الشيء بزوجته " .

أطلق بلور ضحكة قصيرة وقال :

" عندما تكون حياة الرجل فى خطر فلن يفكر كثيرًا فى عواطفه " .

سادت لحظة أخرى من الصمت قبل أن يتحدث أى منهم ثم انفتح الباب وأطل منه روجرز وقال وهو يقلب نظره بينهم :

" هل هناك أى شيء يمكن أن أحضره لكم ؟ آسف لوجود القليل من الخبز المحمص ولكن لقد نفد الخبز لدينا ولم يصل الخبز الطازج من البلدة الرئيسية بعد " .

تململ السيد جاستيس وارجريف فى مقعده متسائلاً :

" متى يصل الزورق البخارى فى المعتاد ؟ " .

" ما بين الساعة السابعة والثامنة يا سيدى . وأحياناً يتأخر قليلاً إلى ما بعد الثامنة . لا أعلم ما الذى يفعله فريد ناركوت هذا الصباح ، فلو كان مريضًا لأرسل أخاه " .

قال فيليب لومبارد :

" كم الساعة الآن ؟ " .

" إنها العاشرة وعشر دقائق يا سيدى " .

ارتفع حاجبا لومبارد وأومأ لنفسه قليلاً .

انتظر روجرز لدقيقة أو اثنتين .

فجأة تحدث جنرال مكارثر بصوت شديد :

" نأسف لما سمعناه بشأن زوجتك يا روجرز ، لقد أخبرنا الطبيب لتوه " .

حنى روجرز رأسه قائلاً :

" نعم يا سيدى شكرا لك " .

ثم تناول أطباق اللحم الفارغة وذهب وساد الصمت من جديد .

٣

بالشرفة فى الخارج قال فيليب لومبارد : " ما أمر الزورق البخارى هذا . . ؟ " .

نظر إليه بلور وأومأ برأسه قائلاً :

" أعلم ما تفكر فيه يا سيد لومبارد، فقد سألت نفسى السؤال نفسه ، كان لا بد أن يأتى القارب إلى هنا منذ ساعتين ولكنه لم يأت . لِمَ ؟ " .

سأله لومبارد : " وهل وجدت الإجابة ؟ " .

" أقول إنها ليست حادثة . إنه جزء لا يتجزأ من الأمر برمته ، إن كل شىء مرتبط ببعضه " .

قال فيليب لومبارد :

" هل تعتقد أنه لن يأتى ؟ " .

تحدث صوت خلفهما . صوت نافد الصبر قائلاً :

" إن الزورق البخارى لن يأتى " .

لف بلور كتفه قليلاً ونظر إلى المتحدث الأخير بتمعن قائلاً :

" هل تعتقد ذلك أنت أيضا يا جنرال ؟ " .

أجاب جنرال مكارثر بحزم قائلاً :

" بالطبع لن يأتى ؛ فنحن نعتمد على الزورق البخارى ليأخذنا جميعًا خارج الجزيرة . هذا هو الغرض من الأمر كله . إننا لن نترك الجزيرة . . . لن يتركها أى منا . . إنها النهاية . . . أتفهمون . . نهاية كل شىء " .

تردد ثم قال بصوت خفيض غريب :

" هذا هو السلام . . السلام الحقيقى . . أن تصل إلى النهاية دون أن يكون عليك أن تواصل . . . نعم السلام . . . " .

التفت بغتة وسار بعيدًا بمحاذاة الشرفة ثم نزل المنحدر باتجاه البحر بشكل منحدر إلى نهاية الجزيرة حيث الصخور غير الثابتة تتساقط فى المياه .

سار بشكل غير مستقر إلى حد ما . كرجل نصف نائم ، قال بلور : " ها هو رجل غريب آخر يجن ! يبدو أن الأمر سينتهى بنا جميعًا بتلك الطريقة " .

قال فيليب لومبارد :

" لا أفهمك جيدًا يا بلور " .

ضحك المفتش السابق قائلاً :

" سيستغرق الأمر وقتًا طويلاً كى أصبح مجنوناً " ، ثم أضاف بقسوة : " ولا أظن أنك ستجن أيضا يا سيد لومبارد " .

قال فيليب لومبارد :

" أشعر بأننى عاقل الآن ، شكرًا " .

٤

خرج دكتور أرمسترونج إلى الشرفة ووقف هناك مترددًا وإلى يساره وقف بلور ولومبارد وإلى يمينه كان هناك وارجريف الذى أخذ يقطع المكان جيئة وذهاباً ببطء مطأطئ الرأس .

بعد لحظة من التردد التفت أرمسترونج إلى الأخير ، ولكن فى تلك اللحظة خرج روجرز سريعًا من المنزل قائلاً :

هل لى بكلمة معك يا سيدى من فضلك ؟ " .

التفت أرمسترونج ودهش لرؤيته .

كان وجه روجرز يتصبب عرقا وقد شحب لونه وارتجفت يداه . كان أمرا مناقضًا تمامًا لرباطة جأشه منذ بضع دقائق حتى إن أرمسترونج قد تفاجأ .

" من فضلك يا سيدى ، هل لى بكلمة معك بالداخل ؟ " .

التفت الطبيب عائدًا ودخل المنزل من جديد مع الخادم المضطرب وقال :

" ما الأمر يا رجل ؟ تماسك " .

" هنا يا سيدى تعال إلى الداخل " .

فتح باب غرفة الطعام ودخل الطبيب وتبعه روجرز ثم أغلق الباب خلفه .

قال أرمسترونج : " حسناً ، ما الأمر ؟ " .

كان روجرز يتصبب عرقاً بينما يزدرد ريقه ثم انبرى قائلاً : " هناك أمور تحدث هنا يا سيدى لا أستطيع فهمها " .

قال أرمسترونج بحزم : " أمور ؟ أية أمور ؟ " .

" سوف تعتقد أننى مجنون يا سيدى . . ستقول إن الأمر تافه ، ولكن لا بد من تفسيره يا سيدى ، لا بد من تفسيره ؛ لأنه لا تفسير له " .

" حسناً يا رجل ، أخبرنى ما الأمر ؟ لا تستمر فى التحدث بالألغاز " .

ازدرد روجرز ريقه مجددًا وقال :

" إنها تلك الأشكال الصغيرة يا سيدى الموضوعة فى منتصف المائدة . تلك الأشكال الفخارية . لقد كان هناك عشرة أشكال . أقسم بذلك . . عشرة " .

قال أرمسترونج :

" نعم عشرة لقد أحصيناها ليلة أمس على العشاء " .

اقترب روجرز أكثر وقال :

" هذا هو الأمر يا سيدى ، ليلة أمس عندما كنت أنظف لم يكن هناك سوى تسعة يا سيدى . لقد لاحظت ذلك واعتقدت أنه أمر غريب ، ولكن ذلك هو ما ظننته والآن يا سيدى ، هذا الصباح لم ألحظ الأمر عندما وضعت الإفطار فقد كنت حزيناً ، ولكن الآن يا سيدى عندما كنت أرفع المائدة . . انظر بنفسك يا سيدى إن لم تكن تصدقنى . . هناك ثمانية أشكال فقط يا سيدى ! ثمانية فقط ! إنه أمر غير مفهوم ، أليس كذلك ؟ ثمانية فقط . . . " .

الفصل ٧

١

بعد الإفطار كانت إميلى برنت قد اقترحت على فيرا كلايثورن أن تذهبا إلى قمة الجزيرة ثانية لتراقبا القارب وقد قبلت فيرا . أنعشت الرياح الجو وبدأت تلك القوارب الهلالية الصغيرة فى الظهور فى البحر . نعم كان هناك بالفعل قوارب صيد ولكن لا إشارة لوجود الزورق البخارى .

إن قرية ستيكل هافن نفسها لم تكن تظهر فى الأفق وإنما ظهر التل الواقع فوقها فقط بينما أخفت الحافة الصخرية الحمراء البارزة الخليج الصغير .

قالت إميلى برنت :

" بدا الرجل الذى أحضرنا إلى هنا أمس يمكن الاعتماد عليه ، إنه من الغريب جدًا بالفعل أن يتأخر هذا الصباح " .

لم تجب فيرا ولكنها كانت تحاول كبح شعور بالفزع يكافح للظهور وقد حدثت نفسها قائلة بغضب :

" لابد أن تظلى هادئة . إن هذا لا يليق بك فقد كنت دائمًا ذات أعصاب قوية " .

وقالت بصوت مرتفع بعد لحظة أو اثنتين :

" أتمنى لو يأتى إننى . . إننى أود الرحيل " .

قالت إميلى برنت بجفاف :

" ليس لدىّ شك فى أننا جميعًا نود ذلك " .

قالت فيرا :

" إن الأمر برمته غريب جدًا " .

قالت المرأة الواقفة بجوارها سريعًا :

" إننى منزعجة جدًا من نفسى لانخداعى بسهولة . حقا لقد كان ذلك الخطاب سخيفاً عندما يراه المرء ، ولكننى لم يكن لدىّ أدنى ريبة فى ذلك الوقت . لم أرتب على الإطلاق " .

غمغمت فيرا بشكل تلقائى :

" أفترض ذلك " .

قالت إميلى برنت : " هناك أمور كثيرة يعتبرها المرء بديهية " .

تنفست فيرا بعمق وهى ترتجف قائلة :

" هل تعتقدين حقاً بما قلته على الإفطار ؟ " .

" كونى أكثر دقة يا عزيزتى . إلام تشيرين على وجه التحديد ؟ "

قالت فيرا بصوت منخفض :

" لا يبدو أن هناك أى معنى لهذا " .

" هل تعتقدين حقاً أن روجرز وزوجته قتلا تلك السيدة العجوز ؟ " .

حدقت إميلى برنت بتمعن فى البحر ثم قالت : " أنا شخصياً موقنة تمامًا من هذا ، ماذا تعتقدين ؟ " .

" لا أدرى ماذا يجب أن أعتقد " .

قالت إميلى برنت :

" إن كل الأمور تؤيد تلك الفكرة ، الطريقة التى سقطت بها المرأة مغشيًا عليها وإسقاط الرجل لصينية القهوة ، هل تذكرين . ثم الطريقة التى تحدث بها عن الأمر .. لم يبد أنه يقول الصدق . نعم أخشى أنهما فعلا ذلك " .

قالت فيرا :

" لقد بدت وكأنها تخشى من خيالها ! لم أر قط امرأة تبدو أكثر فزعًا منها " .

. . . غمغمت الآنسة برنت قائلة :

" . . لابد أنها كانت دائما مهووسة " .

" أتذكر نصاً كان معلقاً فى مكان تنشئتى عندما كنت طفلة يقول : " تيقن من أن خطيتك ستجدك " وهو كلام صحيح تمامًا ، تيقن من أن خطيتك ستجدك " .

تعثرت فيرا فى قدميها قائلة :

" ولكن يا آنسة برنت . آنسة برنت فى هذه الحالة . . " .

" نعم عزيزتى ؟ " .

" الآخرون ؟ ماذا عن الآخرين ؟ " .

" لا أفهمك جيدًا " .

" جميع الاتهامات الأخرى . إنها . . إنها لم تكن صحيحة ؟ ولكن إن كان أمر آل روجرز صحيحًا . . " ثم توقفت غير قادرة على أن توضح فكرتها العشوائية .

استقام حاجبا إميلى برنت اللذان كانا قد انعقدا فى حيرة وقالت :

" آه ، أفهمك الآن يا عزيزتى . حسنا هناك ذلك السيد المدعو لومبارد الذى أقر بأنه ترك عشرين رجلاً ليلقوا حتفهم " .

قالت فيرا :

" لقد كانوا من المستوطنين فقط ... " .

قالت إميلى برنت بصرامة :

" سود كانوا أم بيض فإنهم إخواننا " .

فكرت فيرا :

" إخواننا السود . . إخواننا السود .آه سوف أضحك . إننى فى حالة هيستيرية . إننى لست أنا . . " .

استأنفت إميلى برنت بتمعن :

" بالطبع بعض من تلك الاتهامات كانت غير صادقة وسخيفة . ذلك الاتهام ضد القاضى على سبيل المثال والذى كان يؤدى واجبه بصفته المهنية العامة ، وذلك الرجل الذى كان يعمل فى سكوتلانديارد سابقا وقضيتى كذلك " . توقفت برهة ثم أردفت :

" بصفة طبيعية وبالنظر إلى الظروف لم أكن سأقول شيئاً فى الليلة السابقة ؛ فلم يكن ذلك موضوعًا يمكن مناقشته أمام الرجال " .

" أحقاً ؟ " .

انصتت فيرا باهتمام بينما تابعت الآنسة برنت حديثها بصفاء :

" كانت بياتريس تيلور تعمل معى ، ولكنها لم تكن فتاة لطيفة كما اكتشفت متأخرًا جدًا . لقد خدعت فيها كثيرا ؛ فقد كانت تتمتع بسلوك لطيف وكانت نقية بشدة ، لقد كنت مسرورة جدًا منها ، لكن ذلك كان بالطبع نفاق محض ! فقد كانت فتاة خليعة لا تتحلى بأية أخلاق ، ويا له من أمر مثير للاشمئزاز ! " .

توقفت برهة وانكمش أنفها الدقيق فى اشمئزاز ثم تابعت :

" لقد كانت صدمة كبيرة لى فقد كان والداها محترمين أيضا عملا على تربيتها بصرامة . ويسعدنى القول أنهما لم يتغاضيا عن سلوكها " .

قالت فيرا وهى تحدق إلى الآنسة برنت :

" ماذا حدث ؟ " .

" كان طبيعيًا ألا أبقيها ساعة واحدة فى بيتى فلن أسمح لأحد أبدا بأن يقول إننى تسترت على الانحلال " .

قالت فيرا بصوت منخفض :

" ماذا حدث لها ؟ " .

قالت الآنسة برنت :

" تلك المخلوقة المنبوذة التى لم يكتف ضميرها بارتكاب خطيئة واحدة ، بل ارتكبت خطيئة أخرى أكثر فداحة ، لقد انتحرت " .

همست فيرا وقد تملكها الفزع :

" هل قتلت نفسها ؟ " .

" نعم ، ألقت بنفسها فى النهر " .

ارتجفت فيرا وحدقت إلى الآنسة برنت الهادئة ذات الملامح الدقيقة وقالت :

" ماذا شعرت عندما علمت بما فعلت ؟ ألم تشعرى بالأسف ؟ ألم تؤنبى نفسك ؟ " .

عدلت الآنسة برنت قامتها قائلة :

" أنا ؟ ليس لدىّ ما يستوجب تأنيب نفسى عليه " .

قالت فيرا :

" ولكن إن كانت . قسوتك . قد دفعتها إلى . . " .

قاطعتها الآنسة برنت بحدة قائلة :

" إن فعلتها . خطيئتها هى التى دفعتها إلى ذلك لو كانت قد سلكت سلوك شابة محترمة متواضعة لما حدث هذا " .

التفتت إلى فيرا ولم يكن هناك أى تأنيب للنفس أو عدم راحة فى عينيها ، بل كانتا قاسيتين مستقيمتين . جلست إميلى برنت على قمة الجزيرة الهندية محاطة

بدرع الفضيلة . لم تعد تلك العانس العجوز سخيفة فقط فى نظر فيرا ، بل لقد صارت فجأة بشعة .

٢

خرج دكتور أرمسترونج من غرفة الطعام إلى الشرفة مرة ثانية وكان القاضى يجلس الآن على مقعد يحملق بهدوء إلى البحر .

كان لومبارد وبلور هناك إلى اليسار يدخنان دون أن يتبادلا الحديث ، أخذ الطبيب يتأمل السيد جاستيس وارجريف . لقد رغب أن يستشير أحد الأشخاص وكان على دراية بذهن القاضى المنطقى الحاد ومع ذلك فقد تردد . فربما يتمتع القاضى بعقلية جيدة ولكنه كان رجلاً عجوزاً . وعند هذه النقطة شعر أرمسترونج بأن من يحتاجه هو رجل معتاد على العمل .

حزم أمره وصاح قائلاً :

" لومبارد . هل لى بدقيقة معك ؟ " حدق فيليب قائلاً :

" بالطبع " .

غادر كلا الرجلين الشرفة وسارا أسفل المنحدر باتجاه المياه وعندما صارا بعيداً عن مجال سمع الآخرين ، قال أرمسترونج :

" أريد استشارتك " .

انعقد حاجبا لومبارد وقال :

" رفيقى العزيز ، ليست لدىّ أى معرفة طبية " .

" لا ، لا أعنى ذلك ، إنها استشارة فيما يتعلق بالوضع العام " .

" آه هذا أمر مختلف " .

قال أرمسترونج :

" صراحة ماذا تعتقد فى ذلك الوضع ؟ " .

تأمل لومبارد لدقيقة ثم قال :

" إنه أمر مثير للفكر أليس كذلك ؟ " .

" ما أفكارك عن موضوع تلك المرأة ؟ هل تقبل نظرية بلور ؟ " .

نفث فيليب دخان سيجارته فى الهواء وقال :

" إنها جديرة بالتصديق تمامًا إذا ما تم تدبرها بمفردها " .

" بالضبط " .

حمل صوت أرمسترونج نبرة راحة ، لم يكن فيليب لومبارد أحمق ، وقد استأنف حديثه قائلاً :

" هذا يعني القبول بالافتراض القائل بأن السيد والسيدة روجرز قد أفلتا بجريمتهما بنجاح في ذلك الوقت ، ولا أرى ما يمنع ذلك . ماذا فعلا بالضبط فى اعتقادك ؟ هل سمما السيدة العجوز ؟ " .

قال أرمسترونج بهدوء :

"ربما يكون الأمر أبسط من ذلك . لقد سألت روجرز ذلك الصباح عن المرض الذي كانت الآنسة برادي تعاني منه ، وجاءت إجابته موضحة للأمور . إنني لست بحاجة إلى الخوض في التفاصيل الطبية ، ولكن عندما كانت تهاجمها الأزمة كان لا بد لها من كسر أمبول من مادة نيتريت الإميل واستنشاقه ، وفي حالة منع تلك المادة قد تكون العواقب وخيمة" .

قال فيليب لومبارد بتمعن :

" لو كان الأمر بهذه البساطة فلابد أنه كان مغريًا بالنسبة لهما " .

أومأ الطبيب برأسه إيجاباً .

" نعم . كان عليهما فقط الامتناع عن أي فعل إيجابي ، ولم يكونا في حاجة للحصول على مادة سامة أو إعطائها شيئاً محدداً ـ فقط منع دوائها عنها ! وقد هرع روجرز خلال الليل لإحضار طبيب وشعر كلاهما بالثقة بأن أحدا لن يعرف ما فعلاه" .

أضاف فيليب لومبارد قائلاً :

" وحتى لو عرف أحدهم ، فليس هناك ما يمكن إثباته ضدهما " .

ثم قطب جبينه فجأة وقال :

" بالطبع هذا يفسر الكثير" .

قال أرمسترونج في حيرة :

" أستميحك عذرًا ! " .

قال لومبارد :

" أعني أنه يفسر أمر الجزيرة الهندية ، حيث الكثير من الجرائم لا يمكن اكتشاف مقترفيها ، وعلى سبيل المثال آل روجرز ، وهناك مثال آخر وهو العجوز وارجريف الذي ارتكب جريمة القتل عن عمد من خلال القانون" .

قال أرمسترونج بحزم :

" هل تصدق تلك القصة ؟ " .

ابتسم فيليب لومبارد قائلاً :

" آه نعم أصدقها . لقد قتل وارجريف إدوارد سيتون بالفعل . قتله بكل تأكيد كما لو كان قد طعنه بخنجر ! ولكنه كان ماهرًا بما يكفى ليفعل ذلك من خلال منصب القاضى ، وبالتالى فإنك لن تستطيع بالطريقة العادية أن تثبت عليه جريمته " .

فجأة برقت فى رأس أرمسترونج فكرة :

" جريمة قتل في المستشفى . على طاولة العمليات إنها آمنة . نعم آمنة كالمنازل ! " .

كان فيليب لومبارد يقول :

" ومن هنا جاءت قصة السيد أوين والجزيرة الهندية ! " .

تنفس أرمسترونج بعمق وقال :

" إننا ندخل إلى لب الموضوع الآن ، ما الغرض الحقيقى من جمعنا هنا جميعًا ؟ " .

قال فيليب لومبارد :

" ماذا تعتقد ؟ " .

قال أرمسترونج بغتة :

" دعنا نعد دقيقة لوفاة تلك المرأة ؛ ما النظريات المحتملة ؟ يمكن أن يكون روجرز قد قتلها كى لا تفشى السر ، والاحتمال الثاني هو : أن تكون قد فقدت أعصابها وقضت على حياتها بنفسها ببساطة " .

قال فيليب لومبارد :

" انتحار ! أليس كذلك ؟ " .

" ما رأيك في ذلك ؟ " .

قال لومبارد :

" قد يكون ذلك صحيحًا لولا وفاة مارستون . إن وقوع حادثتي انتحار خلال اثنتى عشرة ساعة لهو أمر يصعب تصديقه ! وإذا أخبرتنى بأن أنتوني مارستون ، ذلك الفتى الذى لا يرهب شيئاً ولا يفكر كثيراً ، قد ندم على دهسه لطفلين ووضع نهاية لحياته عمداً ، إن الفكرة تثير الضحك ! ولكن على أية حال ، كيف تمكن من الحصول على هذه المادة ؟ من خلال كل ما سمعته ، فإن سيانيد البوتاسيوم ليس من نوع المواد الذي يمكنك جلبه معك فى جيب سترتك " .

قال أرمسترونج :

" لا يحمل أي فرد يتمتع بقوى عقلية سليمة مادة سيانيد البوتاسيوم . ربما يقوم بذلك من يذهب للحصول على عش زنابير " .

" أي البستاني المتحمس أو مالك الأرض ؟ ولكن من جديد ليس أنتوني مارستون من سيفعل . لقد أدهشني أن مادة السيانيد ستحتاج إلى القليل من التفسير ، فإما أن أنتوني مارستون قد قصد التخلص من حياته قبل المجيء إلى هنا وبالتالي فقد كان على استعداد لذلك أو . . "

حثه أرمسترونج قائلاً :

" أو ؟ " .

ابتسم فيليب لومبارد قائلا :

" لماذا تجعلني أقولها ؟ عندما تكون على طرف لسانك . أن أنتوني مارستون قد قُتِل بالطبع " .

٣

أخذ دكتور أرمسترونج نفسًا عميقاً ثم قال :

" والسيدة روجرز ؟ " .

قال لومبارد بهدوء :

" يمكن أن أعتقد فى انتحار أنتوني إذا لم يكن هناك أمر السيدة روجرز ، كما أنه بإمكانى أن أميل إلى انتحار السيدة روجرز لو لم يكن هناك أمر أنتوني مارستون ، وفى

الإمكان الاعتقاد بأن روجرز قد وضع نهاية لحياة زوجته إذ لم يكن هناك ما يبرر أمر تلك الوفاة الغامضة لأنتوني مارستون . ولكن ما لدينا هنا هو نظرية تفسر ميتتين متعاقبتين بشكل سريع " .

قال أرمسترونج :

" ربما يمكنني تقديم بعض المساعدة في تلك النظرية " .

وكرر حقائق ما كشفه له روجرز بشأن اختفاء التمثالين الفخاريين الصغيرين .

قال لومبارد :

" نعم التماثيل الهندية الفخارية الصغيرة . . . لقد كان هناك عشرة بالتأكيد الليلة الماضية وقت العشاء وهناك ثمانية الآن ، فما رأيك ؟ " .

أنشد دكتور أرمسترونج قائلا :

"ذهب عشرة صبية هنود إلى الخارج للعشاء ،
خنق أحدهم نفسه ثم بقى تسعة .

سهر تسعة صبية هنود لوقت متأخر ،
نام أحدهم وبقى ثمانية" .

نظر الرجلان إلى أحدهما الآخر وابتسم فيليب لومبارد وألقى بسيجارته .

" إن الأمـر منطبـق تمامًـا بحيـث يـصعب أن يكـون مصادفة ! لقد تـوفى أنتونى مارستون بإسفكسيا الخنق الليلـة الماضـية بعـد العـشاء وقـد نامـت الـسيدة روجـرز للأبد ".

قال أرمسترونج : " وبالتالى ؟ " .

أكمل لومبارد حديث الأخير قائلاً :

" وبالتالي فإن هنـاك نوعًـا آخـر مـن الألغـاز . الـسيد أوين ! المجهول ، أى أن هناك شخـصاً مجنونـاً مجهـولاً طليقًا ! " .

أطلق أرمسترونج تنهيدة ارتياح قائلاً :

" آه ، إنك تتفق معى ولكن هل ترى مـا ينطـوى عليـه ذلـك ؟ لقـد أقـسم روجـرز بأنـه لـيس هنـاك سـوانا وهـو وزوجته على ظهر الجزيرة " .

" إن روجــرز مخطــئ ! أو ربمــا يكــون روجــرز كاذبًا ! " .

هز أرمسترونج رأسه نفياً :

" لا أعتقد أنه يكـذب . إن الرجـل مـذعور . . مـذعور لدرجة تكاد تفقده عقله " .

أومأ فيليب لومبارد إيجابًا وقال :

" لم يكن هناك زورق بخارى هذا الصباح وذلك ينطبق مع الأحداث . إن ترتيبات السيد أوين الصغيرة تـأتى فى المقدمة من جديد ، وهي أن تظل الجزيرة الهندية مهجورة حتى ينهى السيد أوين مهمته " .

شحب وجه أرمسترونج وقال :

" هــل تــدرك ذلــك . . إن هــذا الرجــل بــالغ الجنون ! " .

قال فيليب لومبارد وقد اكتسى صوته بنبرة جديدة :

" هناك شىء واحد لم يدركه السيد أوين " .

" وما هو ؟ "

" أن تلـك الجزيـرة مـا هـي إلا صـخرة عاريـة وسـوف نبحـث قلـيلاً وسـرعان مـا سـنعثر علـى ذلـك المجهـول أوين " .

قال دكتور أرمسترونج محذرًا :

" سوف يكون خطرا " .

ضحك فيليب لومبارد قائلاً :

" خطر ؟ ومن سيخاف مـن الـذئب الـضخم الـشرير ؟ سوف أكون أنا الخطر عندما أضع يدى عليه ! " .

توقف هنيهة ثم قال :

" من الأفضل أن نشرك بلـور فـى مـساعدتنا ، فـسوف يكون جيدًا فى المواقف الـصعبة ، ومـن الأفـضل ألا نخـبر النساء . أما بالنسبة للآخرين ؛ فإن ما يبرع فيـه الجنـرال هـو الثرثـرة بينمـا يحـترف وارجريـف الخمـول ، ويمكـن الاكتفاء بثلاثتنا لأداء هذه المهمة " .

الفصل ٨

١

تم إشراك بلور فى الأمر بسهولة ، وعبر عن موافقته الفورية على مناقشاتهم .

" إن ما قلته عن تلك الأشكال الفخارية يا سيدى يُحدث كل الفرق ، إنه جنون ! هناك أمر واحد فقط ، ألا تعتقدون أن فكرة أوين قد تكون أن ينفذ المهمة عن طريق وكيل له كما حدث ؟ " .

" فسّر كلامك يا رجل " .

" حسناً ، أعنى أنه عقب الجلبة التى حدثت ليلة أمس تملك أنتونى مارستون الذعر وسمم نفسه ، وكذلك فزع روجرز وقتل زوجته ! وكان كل ذلك وفقًا لخطة أوين " .

هز أرمسترونج رأسه وأكد على موضوع السيانيد واتفق معه بلور قائلا :

" نعم لقد نسيت ذلك ، فتلك المادة ليست مادة يحملها معه بشكل طبيعى ولكن كيف وصلت إلى شرابه يا سيدى ؟ " .

قال لومبارد :

" كنت أفكر فى ذلك الأمر . لقد تناول مارستون مشروبات متعددة تلك الليلة ، وكانت هناك فترة ما بين الوقت الذى تناول فيه المشروب الأخير والوقت الذى أنهى فيه المشروب الذى سبقه . وخلال ذلك الوقت كان الكوب موضوعًا على منضدة أو ما شابه ، وأعتقد ، على الرغم من أننى لست على يقين ، أنه كان على المنضدة الصغيرة الموضوعة بجوار النافذة ، وقد كانت النافذة مفتوحة . ربما تمكن أحدهم من وضع جرعة من السيانيد فى كأسه " .

قال بلور دون تصديق :

" دون أن يراه أحد منا يا سيدى ؟ " .

قال لومبارد بحدة :

" لقد كنا جميعًا منشغلين فى مكان آخر " .

قال أرمسترونج بهدوء :

" هذا صحيح لقد تمت مهاجمتنا جميعًا وكنا نتجول هنا وهناك ونتحرك فى الغرفة ، ونتجادل بشأن الإهانة المتعمدة لنا ، أظن أنه كان بالإمكان حدوث ذلك " .

هز بلور كتفيه قائلاً :

" الحقيقة أنه لا بد أن يكون ذلك قد حدث ! والآن أيها السادة ، دعونا نبدأ . هل يملك أحدكم مسدساً بطريق الصدفة ؟ أفترض أننى أطلب شيئاً كثيراً " .

قال لومبارد :

" لدىّ واحد " ، ثم تحسس جيبه .

اتسعت عينا بلور فى دهشة وقال بنبرة غير عادية :

" هل تحمل معك ذلك المسدس دائمًا يا سيدى ؟ " .

قال لومبارد :

" فى المعتاد فقد كنت فى بعض المناطق الخطرة كما تعلم " .

قال بلور : " آه ، حسناً . إنك لم تكن على الأرجح فى مكان أكثر خطورة مما أنت فيه اليوم ! لو كان هناك مجنون ما يختبئ فى هذه الجزيرة ، فلابد أنه يحمل ترسانة أسلحة معه ـ بغض النظر عن حمله لسكين أو خنجر أو اثنين " .

سعل أرمسترونج قائلاً :

" قد تكون مخطئاً يا بلور ، فالعديد من القتلة المجانين يتسمون بالهدوء والتواضع ، إنهم رفاق مبهجون " .

قال بلور :

" لا أشعر أن هذا الشخص سيكون من هذا النوع يا دكتور أرمسترونج " .

٢

شرع الرجال الثلاثة فى جولتهم حول الجزيرة .

لقد كان الأمر بسيطاً على نحو غير متوقع ، فعلى الجانب الشمالى الغربى من الجزيرة باتجاه الشاطئ كانت الحواف الصخرية تنحدر بشدة نحو البحر وقد بدا سطحها بغير شقوق .

وفى باقى أنحاء الجزيرة لم تكن هناك أية أشجار وكان هناك القليل من الغطاء النباتى . وقد عمل الثلاثة بحرص وبشكل منهجى وقد أخذوا يقطعون الجزيرة برمتها ابتداء من أعلى نقطة فيها وحتى سطح الماء ويفحصون بدقة أقل الأمور غير العادية فى الصخور التى قد تشير إلى مدخل يؤدى إلى كهف ما ، ولكن لم تكن هناك أية كهوف .

وصلوا فى النهاية إلى الحافة المطلة على سطح الماء حيث كان الجنرال مكارثر يجلس ناظرا نحو البحر . كان المكان هادئاً جدًا مع تكسر الأمواج على الصخور وقد جلس الرجل معتدلاً بشدة مثبتاً ناظريه نحو الأفق ، ولم يلق بالاً لاقتراب الباحثين ، بيد أن تجاهله هذا جعل أحدهما على الأقل ينتابه شعور بعدم الراحة .

فكر بلور :

" لا يبدو عليه أنه طبيعى كما لو كان منوماً مغناطيسياً أو ما شابه " .

تنحنح وقال بنبرة محادثة :

" لطيفة وهادئة تلك البقعة التى عثرت عليها لنفسك يا سيدى " .

قطب الجنرال جبينه وألقى نظرة سريعة غير مهتمة وقال :

" ليس هناك الكثير من الوقت ـ ليس هناك الكثير ويجب أن أصر بالفعل على ألا يزعجنى أحد " .

قال بلور برفق :

" لن نزعجك يا سيدى ، لقد كنا نقوم بجولة حول الجزيرة ، فقد تساءلنا فقط عما إذا كان شخص ما يختبئ فيها " .

قطب الجنرال جبينه من جديد وقال :

" إنكم لا تفهمون ـ لا تفهمون على الإطلاق ، أرجوكم اذهبوا بعيدًا " .

تراجع بلور وقال وهو ينضم إلى الآخرين :

" إنه مجنون ... لن يجدى الحديث معه نفعاً " .

سأل لومبارد بشىء من الفضول :

" ماذا قال ؟ " .

هز بلور كتفيه قائلاً :

" قال شيئاً عن عدم وجود وقت وأنه لا يود أن يزعجه أحد" ، عبس دكتور أرمسترونج وغمغم قائلاً :

" أتساءل الآن " .

٣

اكتمل البحث فى الجزيرة من الناحية العملية ووقف الرجال الثلاثة على أعلى نقطة فى الجزيرة ينظرون باتجاه البلدة الرئيسية . لم تكن هناك أية قوارب وكانت الرياح نشطة ، فقال لومبارد :

" لا توجد قوارب صيد هنا ، وهناك عاصفة قادمة . إنها لعقبة تجعلنا لا نتمكن من رؤية القرية من هنا . ربما يمكننا أن نقوم بعمل إشارة أو ما شابه ".

قال بلور :

" ربما يمكننا أن نشعل نارًا كبيرة الليلة " .

قال لومبارد عابسًا :

" إن أسوأ ما فى الأمر هو أن ذلك كله ربما يكون مدبراً " .

" كيف يا سيدى ؟ " .

" وكيف لى أن أعرف . ربما تكون دعابة سمجة . يفترض بنا أن نظل مهجورين هنا وألا يلقى بال إلى أية إشارات أو غير ذلك ، وربما يقال فى القرية إن بالجزيرة مسابقة أو أية قصة حمقاء على أية حال " .

قال بلور بتشكك :

" أتعتقد أنهم قد يصدقون هذا ؟ " .

قال لومبارد بجفاف :

" إن ذلك أيسر فى تصديقه من الحقيقة ! فإذا قيل فى القرية إن الجزيرة ستهجر حتى يقوم السيد أوين المجهول بقتل جميع ضيوفه ، فهل تعتقد أنهم سيصدقون ؟ " .

قال الدكتور أرمسترونج :

" هناك لحظات لا أصدق فيها أنا نفسى ذلك ومع ذلك . . . " .

كشر فيليب لومبارد عن أنيابه قائلاً :

" ومع ذلك فإن هذا هو الأمر ! لقد قلتها أيها الطبيب ! " .

كان بلور يحملق بأسفل إلى الماء وقال :

" لا يمكن لأحد أن يتسلق من هنا على ما أفترض ؟ " .

هز أرمسترونج رأسه قائلاً :

" أشك فى ذلك ، فالحافة شديدة الانحدار ، وأين يمكنه الاختباء ؟ " .

قال بلور : " ربما تكون هناك فتحة فى الحافة . لو كان لدينا قارب الآن لربما تمكنا من التجديف حول الجزيرة ".

قال لومبارد :

" لو كان لدينا قارب لكنا فى منتصف الطريق إلى البلدة الرئيسية الآن ! " .

" صحيح تمامًا يا سيدي " .

قال لومبارد فجأة :

" يمكننا أن نتأكد من هذه الحافة الصخرية ، فهناك مكان واحد فقط يمكن أن تكون به فجوة - إلى اليمين قليلاً بأسفل ، لو استطعتما أيها الرفيقان أن تحصلا على حبل يمكنكما أن تدلياني إلى أسفل للتأكد " .

قال بلور :

" ربما يكون ذلك مؤكدًا على الرغم من أنه يبدو سخيفاً من الناحية الظاهرية ! سأرى إن كان بإمكاني الحصول على شئ " .

بدأ سيره بسرعة نحو المنزل .

حدق لومبارد إلى السماء . كانت السحب قد بدأت تتجمع معا وكانت الرياح تتزايد .

ألقى نظرة جانبية على أرمسترونج وقال :

" إنك صامت بشدة أيها الطبيب ، فيم تفكر ؟ " .

قال أرمسترونج بهدوء :

" كنت أتساءل بالضبط عن مدى جنون مكارثر العجوز " .

٤

كانت فيرا تشعر بالقلق طيلة الصباح وكانت تتجنب إميلى برنت بنوع من النفور والامتعاض .

وقامت الآنسة برنت باتخاذ مقعد لها بجوار زاوية المنزل تمامًا بحيث تكون بعيدة عن الرياح وكانت قد جلست هناك تحيك .

فى كل مرة كانت فيرا تفكر فيها كانت ترى وجهاً شاحباً غارقاً تشابكت فى شعره أعشاب البحر . . . وجهاً كان جميلاً ولكن زالت عنه ملامح الجمال .

وجلست إميلى برنت بوجهها الهادئ المستقيم تحيك .

فى الشرفة الرئيسية جلس السيد جاستيس وارجريف رابضًا على مقعد بجوار البوابة وقد غاص رأسه فى مقعده .

عندما نظرت إليه فيرا رأت رجلاً يقف فى الشرفة . . رجلاً شاباً ذا شعر أشقر وعينين زرقاوين ووجه مذهول مذعور . إنه إدوارد سيتون . وراحت تتصور فى خيالها يدى القاضى العجوز وهما تضعان الغطاء الأسود على رأسه ويبدأ فى النطق بالحكم . . .

بعد فترة سارت فيرا بتمهل نحو البحر . سارت باتجاه النهاية القصوى للجزيرة حيث جلس رجل عجوز يحملق إلى الأفق .

التفت جنرال مكارثر فجأة إثر اقترابها منه . التفت برأسه وكان هناك مزيج غريب من التساؤل والخوف فى نظرته . لقد راعها منظره وحدق إليها عمدا لدقيقة أو اثنتين .

فكرت :

" كم هو غريب ! كما لو كان يعرف ... " .

قال لها :

" آه ! أنت ! لقد أتيت " .

جلست فيرا إلى جانبه وقالت :

" هل تحب الجلوس هنا والنظر إلى البحر ؟ " .

أومأ برأسه برفق قائلاً :

" نعم ، إنه أمر سار ، فهو مكان جيد للانتظار حسب اعتقادى " .

قالت فيرا بصرامة :

" للانتظار ؟ ماذا تنتظر ؟ " .

قال برفق :

" النهاية . ولكن أعتقد أنك تعرفين أليس كذلك ؟ إن الأمر صحيح ، أليس كذلك ؟ إننا جميعًا ننتظر النهاية " .

قالت بغير ثبات :

" ماذا تعنى ؟ " .

قال جنرال مكارثر على نحو مرعب :

" لن يغادر أى منا تلك الجزيرة . تلك هى الخطة ، وأنت تعلمين ذلك تمامًا بالطبع . ولكن ما لا تفهمينه ربما هو الراحة ! " .

قالت فيرا متعجبة :

" الراحة ؟ " .

قال :

" نعم بالطبع . إنك صغيرة جدًا . . . ولم تصلى إلى ذلك بعد ، ولكن الراحة تأتى ! الراحة المباركة تأتى عندما تعلمين أنك استغنيت عنها . . وأنك لست مضطرة لحمل العبء بعد الآن سوف تشعرين بذلك يومًا ما " .

قالت فيرا بغلظة :

" أنا لا أفهمك " .

تشابكت أصابعها على نحو متشنج وشعرت بخوف مفاجئ من ذلك الجندى العجوز الهادئ .

قال لها متأملاً :

" أترين ؟ لقد أحببت ليزلى . أحببتها كثيرا " .

قالت فيرا متسائلة :

" هل كانت ليزلى زوجتك ؟ " .

" نعم زوجتى . . . أحببتها . . وكنت شديد الفخر بها فقد كانت جميلة جدًا . . ومرحة جدًا " .

صمت لبرهة أو اثنتين ثم قال :

" نعم أحببت ليزلى ولذلك فعلت ما فعلت " .

قالت فيرا :

" هل تعنى .. ؟ " ثم توقفت .

أومأ جنرال مكارثر برأسه إيجابًا برفق وقال :

" لن يفيد الإنكار كثيرا الآن . . ليس عندما نكون فى طريقنا لنلقى حتفنا . لقد أرسلت ريتشموند ليلقى حتفه وأفترض أن ذلك كان قتلاً من نوع ما . أمر مثير

للفضول . . جريمة قتل وقد كنت دوماً الرجل الذى يأتمر بأمر القانون ! ولكن الفكرة لم تبد كذلك فى ذلك الوقت ، فلم أندم عليها ، بل فكرت أن ذلك يلائمه جيداً ! ولكن فيما بعد . . ".

قالت فيرا بصوت صارم :

" حسنا ، ماذا حدث فيما بعد ؟ ".

هز رأسه بغموض وبدا فى حيرة من أمره وهو يقول :

" لا أعلم لا .. أعلم . لقد صار الأمر مختلفاً كما ترين . لا أعلم إذا ما كانت ليزلى قد خمنت أبداً ... لا أعتقد ذلك ولكن أترين ؟ لم أعلم عنها أى شىء بعد ذلك ، فقد ذهبت بعيدًا إلى حيث لا يمكنني الوصول إليها ثم ماتت . . وصرت وحيدا " .

قالت فيرا :

"وحيدًا . . وحيدًا .. " .

وتردد صدى صوتها بين الصخور لتسمع رنينه فى أذنها .

قال جنرال مكارثر :

" سوف تكونين سعيدة أيضا عندما تأتى النهاية ".

نهضت فيرا وقالت بحزم :

" لا أعلم ما ترمى إليه ! " .

قال لها :

" أعلم يا ابنتى أعلم " .

" لا تعلم . إنك لا تفهم أى شىء على الإطلاق ".

نظر جنرال مكارثر نحو البحر ثانية وبدا غير مدرك لوجودها خلفه .

وقال بصوت رفيق خفيض :

" ليزلى . . . أنا " .

٥

عندما عاد بلور من المنزل وبيده حبل ملفوف حول ذراعه ، وجد أرمسترونج حيث تركه يحدق إلى أسفل فى الأعماق .

قال بلور وقد بهرت أنفاسه :

" أين السيد لومبارد ؟ " .

قال أرمسترونج بغير مبالاة :

" ذهب لكى يجرب شيئًا ما وسوف يعود فى خلال دقيقة ، اسمع يا بلور ، إننى أشعر بالقلق " .

" يجب أن أقول إننا جميعًا كذلك " .

لوح الطبيب بيده بنفاد صبر قائلاً :

" بالطبع . . بالطبع . ولكنى لا أعنى بهذه الطريقة . لقد كنت أفكر فى مكارثر العجوز " .

" ماذا عنه يا سيدى ؟ "

قال دكتور أرمسترونج باكتئاب :

" إن ما نبحث عنه هو رجل مجنون ، فماذا عن مكارثر ؟ " .

قال بلور غير مصدق :

" هل تعنى أنه قاتل ؟ " .

قال أرمسترونج بارتياب :

" لا ينبغى أن أقول ذلك ولو لدقيقة واحدة ، ولكننى لست متخصصًا بالطبع فى الأمراض العقلية . إننى لم أتحدث معه حقيقة . . ولم أدرسه من تلك الناحية " .

قالت بلور بارتياب :

" الجنرال ، نعم ! ولكننى لم أكن لأقول . . " .

قطع أرمسترونج حديثه بقليل من الجهد كما لو كان يستجمع قواه واستأنف قائلاً :

" قد تكون على حق ! اللعنة على كل ذلك ! يجب أن يكون هناك شخص ما يختبئ فى الجزيرة . آه ! ها قد جاء لومبارد " .

قاما بربط الحبل جيدًا وقال لومبارد :

" سوف أساعد نفسى بقدر المستطاع ولكن راقبا أى جذب فى الحبل " . بعد دقيقة أو اثنتين وبينما كانا يقفان معا يراقبان تطور حركة لومبارد قال بلور :

" إنه يتسلق كقط أليس كذلك ؟ " .

كانت هناك نبرة غريبة فى صوته .

قال دكتور أرمسترونج :

" أظن أنه ربما قام بتسلق الجبال من قبل فى مهام عمله " .

" ربما " .

ساد الصمت ، ثم قال المفتش السابق :

" إنها فتحة من نوع غريب تمامًا . هل تعلم ماذا أعتقد ؟ " .

" ماذا ؟ " .

" إنه الشخص الخاطئ ! " .

قال أرمسترونج متشككاً :

" كيف ؟ " .

أصدر بلور صوتاً غاضباً ثم قال :

" لا أعلم على وجه التحديد ، ولكننى لا أثق به على الإطلاق " .

قال دكتور أرمسترونج :

" أفترض أنه قد عاش حياة المغامرة " .

قال بلور :

" أراهن أن بعضاً من مغامراته يجب أن تظل مستترة " ، ثم توقف برهة وعاد ليستأنف حديثه قائلاً :

" هل تصادف وأحضرت مسدسًا معك أيها الطبيب ؟ " .

حدق إليه أرمسترونج بدهشة قائلاً :

" أنا ؟ لا . ولماذا أحضره " .

قال بلور :

" فلماذا أحضره السيد لومبارد ؟ " .

قال أرمسترونج بريبة :

" أفترض أنها عادته " .

أصدر بلور صوتاً ساخراً .

وفجأة حدث جذب فى الحبل ، فأمسك كلاهما بالحبل بكلتا يديه ، ثم بعد أن أرخى الحبل ثانية ، قال بلور :

" هناك عادات وعادات ! إن السيد لومبارد يأخذ مسدساً معه إلى الأماكن غير المعتادة وذلك جيد تمامًا ، وكذلك يأخذ معه موقداً ومنامة ، وبعضاً من بودرة الحشرات لا شك ! ولكن العادة لن تجعله يحمل معه كل تلك الأشياء إلى هنا ؟ فقط فى الكتب يحمل الناس المسدسات معهم كأمر مسلم به " .

هز الدكتور أرمسترونج رأسه فى حيرة .

مالا إلى الأسفل وشاهدا تطور حركة لومبارد . كان بحثه مفصلاً وعلموا على الفور أنه كان غير ذى جدوى . والآن فقد تسلق الحبل إلى الحافة الصخرية ومسح عرقه عن جبهته ثم قال :

" حسنا . لنواجه الأمر . لا يوجد مكان غير المنزل " .

٦

كان المنزل سهل التفتيش ، وقد قاموا بفحص المبانى الخارجية القليلة أولا ثم حولوا انتباههم للمبنى نفسه

واكتشفوا أدوات السيدة روجرز على طاولة المطبخ مما ساعدهم ، ولكن لم تكن هناك مساحات خفية غير مبررة ، بل كان كل شىء واضحاً وبسيطاً . لقد كان المبنى على الطراز الحديث وخالياً من أية أماكن للإخفاء . قاموا بتفتيش الطابق الأرضى أولا ، وبينما كانوا يصعدون إلى الطابق الذى توجد فيه غرف النوم رأوا من خلال النافذة روجرز وهو يحمل صينية من المشروبات إلى الشرفة .

قال فيليب لومبارد باستخفاف :

" ياله من حيوان رائع وخادم جيد ! إنه يواصل عمله بوجه غير حزين " .

قال أرمسترونج مقدرًا :

" إن روجرز خادم من الدرجة الأولى وأشهد له بذلك ! " .

قال بلور :

" لقد كانت زوجته طاهية بارعة أيضا فقد كان عشاء الليلة الماضية . . " .

ثم توجهوا إلى أول غرفة نوم .

بعد خمس دقائق التقوا ببعضهم البعض عند الدرج ، ولم يعثروا على أى مخبأ أو مكان يمكن الاختباء به .

قال بلور :

" هناك سلم صغير هناك " .

قال دكتور أرمسترونج :

" إنه يقود إلى أعلى حيث غرفة الخدم " .

قال بلور :

" لابد من وجود مكان أسفل السطح لتخزين مياه وما إلى ذلك ، إنه أفضل وآخر فرصة ! " .

وعندها سمعوا صوتاً قادماً من الأعلى وكأنه صوت كرة هادئة خفية فوقهم .

لقد سمعوا الصوت جميعهم وأمسك أرمسترونج بذراع بلور ، بينما رفع لومبارد إصبعه محذرًا :

" هدوء . . أنصتوا " .

تردد الصوت مرة أخرى . . كان هناك شخص يتحرك بهدوء وخلسة فوقهم .

همس أرمسترونج قائلاً :

" إنه فى الحقيقة فى غرفة النوم نفسها حيث يوجد جسد السيدة روجرز " .

همس بلور مجيبًا :

" بالطبع ! إنه أفضل مخبأ يمكنه أن يختاره ! فليس من المرجح أن يصعد أحد إلى هناك ، والآن تحركوا بهدوء قدر المستطاع " .

وتسللوا صاعدين السلم .

وعلى العتبة الصغيرة الواقعة أمام غرفة النوم توقفوا ثانية ، نعم لقد كان هناك شخص فى الغرفة وكان هناك صوت طقطقة خافت بالداخل .

همس بلور :

" الآن " .

ثم دفع الباب ودلف إلى الداخل وتبعه الآخران عن كثب ثم تجمد الثلاثة فى أماكنهم .

كان روجرز بالغرفة ويداه محملتان بالملابس .

٧

كان بلور أول من استفاق من المفاجأة ، ثم قال :

" نأسف يا روجرز لقد سمعنا أحدهم يتحرك هنا وفكرنا أنه من الجيد .. " .

ثم توقف .

قال روجرز :

" أعتذر أيها السادة . لقد كنت فقط أنقل حاجياتى . أعتقد أنه ليس هناك اعتراض على انتقالى إلى إحدى غرف الضيوف الفارغة فى الطابق الأرضى ؟ الغرفة الصغرى " .

كان يوجه حديثه إلى أرمسترونج الذى أجابه قائلاً :

" بالطبع . بالطبع ، باشر الأمر " .

ثم تجنب النظر إلى ذلك الجسد المغطى بالملاءة الراقد على الفراش .

قال روجرز :

" شكرا لك يا سيدى " .

ثم خرج من الغرفة ويديه محملتان بحاجياته وذهب إلى أسفل الدرج حيث الدور الأرضى .

ذهب أرمسترونج إلى الفراش ورفع الملاءة ونظر إلى الوجه الهادئ للمرأة المتوفاة الذى لم يكن يحمل أى خوف الآن بل الخواء ، ثم قال :

ليتنى أحضرت أغراضى معى إلى هنا ، إننى أتوق إلى معرفة أى عقار كان " .

ثم التفت إلى الآخرين وقال :

" دعونا ننته من هذا الأمر . إننى أشعر فى قرارة نفسى أننا لن نعثر على أى شىء " .

كان بلور يصارع لفتح مسامير غطاء بالوعة منخفضة المستوى وقال :

" إن هذا الرجل يتحرك بهدوء قاتل ، لقد لمحناه لتونا فى الحديقة ولم يسمعه أحدنا وهو يصعد إلى أعلى " .

قال لومبارد :

" أفترض أن ذلك هو السبب فى أننا اعتقدناه شخصًا غريبًا يتحرك هنا " .

اختفى بلور داخل ظلام دامس واستل لومبارد مصباحاً كهربياً من جيبه ثم تبعه .

بعد خمس دقائق كان الثلاثة يقفون على عتبة سلم علوية وينظرون إلى بعضهم البعض . كانوا متسخين وقد علقت بهم خيوط العنكبوت واكتست وجوههم بنظرة مكتئبة ... لم يكن على ظهر الجزيرة سوى ثمانيتهم .

الفصل ٩

١

قال لومبارد بهدوء : " إذن فقد كنا مخطئين على طول الخط ! لقد تصورنا كابوساً من وحى الخرافات والأوهام بسبب تصادف وقوع وفاتين فى وقت واحد ! " .

قال أرمسترونج برهبة :

" ومع ذلك ، أتعلم أن الجدل لا يزال صحيحًا ؟ دعك من كل شىء . إننى طبيب وأعلم أمورًا عن جرائم الانتحار ، ولم يكن أنتونى مارستون من النوع الذى قد يقتل نفسه " .

قال لومبارد على نحو مرتاب :

" ألا يمكن الافتراض أنها حادثة ؟ " .

أصدر بلور صوتاً ساخراً فى غير اقتناع وتذمر قائلاً :

" لابد أنها من الحوادث الغريبة " .

ساد الصمت للحظة ثم قال بلور :

" فيما يتعلق بالمرأة . " ثم توقف .

" السيدة روجرز ؟ " .

" نعم ، من الممكن أن يكون الأمر حادثاً ، أليس كذلك ؟ " .

قال فيليب لومبارد :

" حادثاً ؟ وكيف ذلك ؟ " .

بدا بلور وقد شعر بقليل من الإحراج وازداد وجهه احمرارا وقال وكأنه يلقى بالكلمات إلقاءً :

" اسمع أيها الطبيب لقد أعطيتها منومًا ، أليس كذلك ؟ " .

حدق إليه أرمسترونج بدهشة .

" منوم ؟ ماذا تعنى ؟ " .

" الليلة الماضية . لقد قلت بنفسك إنك ستعطيها شيئًا يجعلها تنام " .

" آه تقصد ذلك . نعم إنه مسكّن لا ضرر منه " .

" ماذا كان هذا المسكّن على وجه التحديد ؟ " .

" لقد أعطيتها جرعة خفيفة من مادة التريونال وهو عقار لا ضرر منه على الإطلاق " .

ازداد وجه بلور احمرارا وقال :

" اسمع . دعنا لا نخلط الأمور . ألم تعطها جرعة زائدة ؟ " .

قال دكتور أرمسترونج غاضباً :

" لا أفهم ما تعنيه " .

قال بلور :

" من الممكن أن تكون قد ارتكبت خطأ أليس كذلك ؟ إن تلك الأشياء تحدث أحياناً " .

قال أرمسترونج بحدة :

" لم أفعل أمراً كهذا ، إن مجرد التلميح لذلك أمر سخيف " .

ثم توقف وأضاف بنبرة باردة لاذعة :

" أم هل تلمح إلى أننى أعطيتها الجرعة الزائدة عن قصد ؟ " .

قال فيليب لومبارد سريعًا :

" اسمعا كليكما يجب أن نحافظ على أنفسنا . دعونا لا نلقى بالاتهامات على أحدنا الآخر " .

قال بلور بجرأة :

" إن كل ما ألمحت إليه هو أن الطبيب قد ارتكب خطأ " .

ابتسم دكتور أرمسترونج ابتسامة مضنية وقال وهو يكشف عن أسنانه فى ابتسامة رغمًا عنه :

" إن الأطباء لا يستطيعون تحمل ارتكاب أخطاء من هذا النوع يا صديقى " .

قال بلور متعمدًا :

" لن يكون أول خطأ ترتكبه إذا ما صدق ذلك التسجيل على الفونوغراف ! " .

شحب وجه أرمسترونج وأردف فيليب لومبارد سريعًا وعلى نحو غاضب موجهًا كلامه إلى بلور :

" ما الهدف من جعل نفسك فى موضع هجوم ؟ إننا كلنا فى مركب واحد ويجب أن نعمل معًا ، وماذا عن جريمتك الصغيرة من الحنث باليمين ؟ " .

تقدم بلور خطوة إلى الأمام وانعقدت قبضتيه وقال بصوت غليظ :

" اللعنة على الحنث باليمين ! إنها لكذبة قذرة ! ربما تحاول أن تسكتنى يا سيد لومبارد ولكن هناك أشياء أود معرفتها ومنها أمر يتعلق بك ! " .

ارتفع حاجبا لومبارد فى دهشة وقال :

" عنى أنا ؟ " .

" نعم أود أن أعرف ما الذى يجعلك تحضر مسدسًا معك إلى هنا فى تلك الزيارة الودية الاجتماعية " .

قال لومبارد :

" تود أن تعرف ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم يا سيد لومبارد " .

قال لومبارد على نحو غير متوقع :

" أتعلم يا سيد بلور ؟ إنك لست مغفلاً كما تبدو " .

" ربما أكون كذلك ولكن ماذا عن ذلك المسدس ؟ " .

ابتسم لومبارد قائلا :

" لقد أحضرته ؛ لأننى توقعت أن أتورط فى مشكلة " .

قال بلور مرتابًا :

" لم تقل لنا هذا الأمر الليلة الماضية " .

هز لومبارد رأسه نفيًا .

استأنف بلور :

" هل كنت تحجب معلومات عنا ؟ " .

قال لومبارد : " نعم ، بشكل ما " .

" هيا أخرج ما فى جعبتك " .

قال لومبارد بهدوء :

" لقد جعلتكم جميعاً تعتقدون أننى دعيت إلى هنا بالطريقة نفسها كالآخرين ولكن هذا ليس صحيحًا ، بل فى الحقيقة أن شاباً يدعى موريس عرض علىّ مائة جنيه لآتى إلى هنا وأراقبكم . وقال إننى قد أحصل على سمعة جيدة لكونى رجلاً جيداً فى مكان صغير " .

قال بلور بنفاد صبر :

" حسناً ؟ " .

قال لومبارد بابتسامة :

" هذا كل شىء " .

قال دكتور أرمسترونج :

" ولكنه قال لك أكثر من ذلك بالتأكيد ؟ " .

" آه لا لم يفعل . لقد كان شخصاً كتوماً جدًا وكان علىّ أن أقبل الأمر أو أتركه . تلك كانت كلماته وكنت فى ظروف عسيرة لذا قبلته " .

بدا بلور غير مقتنع وقال :

" لماذا لم تخبرنا بهذا الليلة الماضية ؟ " .

هز لومبارد كتفيه على نحو بليغ وقال :

" عزيزى ، كيف كان لى أن أعرف أن الليلة الماضية لم تكن بالضبط تمثل تلك المهمة التى جئت إلى هنا من أجلها خصيصاً ؟ لقد كذبت وقلت قصة لا تكشف شيئاً " .

قال دكتور أرمسترونج بدهاء :

" ولكنك الآن تفكر بشكل مختلف ؟ " .

تغير وجه لومبارد وتصلب وهو يقول :

" نعم ، إننى أعتقد الآن أننى فى المركب نفسه معكم وأن تلك المائة جنيه كانت مجرد ذلك الطعم الذى ألقاه إلى السيد أوين لإقناعى بالمجىء إلى تلك المصيدة معكم " .

قال بهدوء :

" حيث إننا فى مصيدة . فسوف أقسم على هذا ! وفاة السيدة روجرز ! وفاة تونى مارستون ! اختفاء تماثيل الصبية الهنود الموضوعة على طاولة الطعام ! آه نعم . إن يدى السيد أوين تبدو واضحة ، ولكن أين هو السيد أوين نفسه ؟ " .

دق جرس بأسفل الدرج معلناً موعد الغداء المقدس .

٢

كان روجرز يقف عند باب غرفة الطعام وبينما كان الرجال الثلاثة يهبطون الدرج تحرك خطوة أو اثنتين إلى الأمام وقال بصوت خفيض ، قلق :

" آمل أن يكون الغداء مرضيا . هناك لحم بارد ولسان بارد وقد سلقت بعض البطاطس وهناك جبن وبسكويت وبعض الفواكه المعلبة " .

قال لومبارد :

" يبدو ذلك جيدًا . إن المخزون ينفد أليس كذلك ؟ " .

" هناك الكثير من الطعام يا سيدى من المعلبات ، فمخزن الطعام معبأ بشكل جيد وهى ضرورة يا سيدى فى حالة انقطاع المرء فى الجزيرة عن البلدة الرئيسية لفترة كبيرة " .

أومأ لومبارد برأسه إيجابًا .

غمغم روجرز بينما كان يتبع الثلاثة إلى غرفة الطعام قائلاً :

" إن ما يقلقنى أن فريد ناركوت لم يظهر اليوم . إنه لسوء حظ غريب فى رأيى " .

قال لومبارد : " نعم . إن كلمة سوء حظ غريب تصف الأمر جيداً " .

دلفت الآنسة برنت إلى الغرفة وكانت قد أسقطت لتوها بكرة من الصوف وكانت تعيد لفها .

وبينما جذبت مقعداً لها على المنضدة قالت ملاحظة :

" إن الجو يتغير ، فقد صارت الرياح قوية إلى حد ما وهناك صخور بيضاء فى البحر " .

قدم السيد جاستيس وارجريف وسار بخطى وئيدة محسوبة وأطلق نظرات سريعة من أسفل حاجبيه الكثيفين على المشاركين فى غرفة الطعام وقال :

" لقد مررتم بصباح نشط " .

كان هناك سرور خبيث فى صوته .

أسرعت فيرا كلايثورن إلى الداخل وكانت مبهورة قليلاً وقالت سريعًا :

" آمل ألا تكونوا قد انتظرتمونى ، هل تأخرت ؟ " .

قالت إميلى برنت :

" لست الأخيرة فلم يأت الجنرال بعد " .

جلسوا حول المائدة وخاطب روجرز الآنسة برنت قائلاً :

" هل تبدئين يا سيدتى أم هل ستنتظرين ؟ " .

قالت فيرا :

" إن الجنرال مكارثر يجلس هناك بالقرب من البحر مباشرة ولا أتوقع أن يسمع الجرس من هناك بأى حال " .

ترددت ثم أردفت :

" إنه غامض قليلاً اليوم باعتقادى " .

قال روجرز سريعاً :

" سوف أذهب إلى هناك وأعلمه بأن الغداء جاهز " .

قفز دكتور أرمسترونج من مقعده قائلاً :

" سوف أذهب أنا وابدأوا أنتم بتناول الغداء " .

غادر الغرفة ومن خلفه سمع صوت روجرز يقول :

" هل ستتناولين اللسان أم اللحم البارد يا سيدتى ؟ " .

٣

بدا الخمسة الجالسون حول المائدة وكأنهم يجدون التحدث عسيرًا بينما هبت دفعات مباغتة من الرياح سرعان ما خمدت .

ارتجفت فيرا قليلاً وقالت :

" هناك عاصفة قادمة " .

شارك بلور فى الحديث قائلاً :

" كان هناك شخص عجوز فى القطار القادم من بلايموأس وقد ظل يقول إن هناك عاصفة قادمة ، من المدهش أن يعرف كبار السن هؤلاء أحوال الطقس " .

طاف روجرز حول المائدة يجمع أطباق اللحم .

فجأة توقف بأطباق الطعام فى يده وقال بصوت مذعور غريب :

" هناك شخص يجرى . . " .

كان بإمكانهم جميعًا سماعه . صوت أقدام تعدو بمحاذاة الشرفة .

فى تلك اللحظة علموا . . علموا دون أن يخبرهم أحد . . .

وكالمعتاد هب الجميع واقفاً على قدميه ووقفوا ينظرون إلى الباب .

ظهر دكتور أرمسترونج وقد تلاحقت أنفاسه بينما يقول :

" جنرال مكارثر . . " .

اندفعت كلمة من فم فيرا فجأة :

" مات ! " .

قال أرمسترونج :

" نعم ، لقد مات " .

ساد الصمت . . صمت طويل .

نظر الأشخاص السبعة إلى بعضهم البعض وعجزت ألسنتهم عن النطق .

٤

هبت العاصفة بمجرد أن تم حمل جسد العجوز إلى الداخل ، بينما كان الآخرون يقفون فى الردهة .

كان هناك هدير قوى لدى هطول الأمطار .

وبينما كان بلور وأرمسترونج يمران إلى أعلى الدرج بحملهما التفتت فيرا كلايثورن فجأة وذهبت إلى غرفة الغداء الخالية . كانت الغرفة كما تركوها ، حيث ظلت أطباق التحلية فى مكانها دون مساس .

ذهبت فيرا إلى الغرفة وظلت هناك لدقيقة أو اثنتين عندما دلف روجرز بهدوء إلى الغرفة .

فوجئ برؤيتها وبدا فى عينيه سؤال وهو يقول :

" آه . آنستى لقد أتيت لأرى . . " .

وبصوت مرتفع صارم أدهش فيرا نفسها ، قالت :

" أنت على حق تمامًا يا روجرز . انظر بنفسك ، هناك سبعة منهم فقط . . " .

٥

تم وضع الجنرال مكارثر فى فراشه .

وبعد إجراء أرمسترونج للفحص الأخير ترك الغرفة وهبط الدرج ، حيث وجد الآخرين مجتمعين فى غرفة الضيوف .

كانت الآنسة برنت تحيك ، بينما كانت فيرا كلايثورن تقف بجوار النافذة تنظر إلى الأمطار الهاطلة .

أما بلور فكان يجلس على مقعد مربع واضعًا يديه على ركبتيه ، وكان لومبارد يقطع الغرفة جيئة وذهابًا فى قلق وفى نهاية الغرفة القصوى جلس السيد جاستيس وارجريف فى مقعد الأجداد وقد بدت عيناه شبه مغلقتين ثم فتحهما عندما دلف الطبيب إلى الغرفة وقال بصوت واضح مؤثر :

" حسنا ، أيها الطبيب " .

كان أرمسترونج شاحب الوجه وهو يقول :

" ليست سكتة قلبية أو ما شابه ، لقد تم ضرب مكارثر بشىء ما على مؤخرة رأسه " .

ثارت همهمة بين الحضور ولكن صوت القاضى الواضح ارتفع مرة أخرى ليقول :

" هل عثرت على السلاح الفعلى المستخدم ؟ " .

" لا " .

" ومع ذلك فأنت متأكد من الحقائق التى تقولها ؟ " .

" متأكد تمامًا " .

قال السيد جاستيس وارجريف بهدوء :

" نحن نعلم تمام العلم أين نحن الآن " .

ليس هناك من شك فيمن هو المسئول عن هذا الموقف . جلس السيد وارجريف هذا الصباح على مقعده فى الشرفة دون أن يمارس أى نشاط . والآن تولى هو زمام الأمور بالسهولة التى منحته إياها عادته السلطوية ، فهو بالفعل رئيس محكمة .

تحدث السيد وارجريف بعد أن تنحنح قائلاً :

" فى هذا الصباح ، يا سادة ، وبينما كنت جالسًا فى الشرفة ، كنت ألاحظ أنشطتكم . ربما هناك شك بسيط فى غرضكم . هل كنتم تبحثون فى الجزيرة عن قاتل مجهول ؟ " .

قال فيليب لومبارد : " بالفعل يا سيدى " .

واصل القاضى حديثه :

" لقد وصلتم ، بلا أدنى شك ، إلى نفس النتيجة التى قد توصلت إليها ، وهى أن موت السيد أنتونى مارستون ، والسيدة روجرز ليس حادثاً ، ولم يكن كذلك انتحارًا . وبالتأكيد توصلتم أيضًا إلى النتيجة المؤكدة التى تفيد بأن غرض السيد أوين هو إغراؤنا للتجمع فى هذه الجزيرة ، أليس كذلك ؟ " .

قال بلور بصوت أجش :

" إنه رجل مجنون " .

سعل القاضى ، وقال :

" هذا صحيح بشكل كبير . ولكن ذلك لا يؤثر على قضيتنا ، فإن مهمتنا الأساسية هى إنقاذ حياتنا " .

قال أرمسترونج بصوت مرتجف :

" ليس هناك من شخص فى الجزيرة ، أى شخص " .

قال القاضى بصوت واضح ، وبلطف :

" هذا صحيح ، لقد توصلت إلى هذه الحقيقة هذا الصباح لقد أخبرتكم بالتأكيد بأن عملية البحث التى تقومون بها لن تسفر عن شىء . علاوة على ذلك ، إننى أؤيد بشدة الرأى القائل إن " السيد أوين " (ولنطلق عليه هذا الاسم الذى أطلقه هو على نفسه) موجود على الجزيرة ، وهذا احتمال مرجح كثيرًا . وغرضه يتمثل فى السؤال الذى طرحه والذى لا يعد أكثر من مجرد حكم بتطبيق العدالة على بعض الأفراد لارتكابهم بعض الأخطاء

الذى لا يتغاضى عنها القانون ، فهناك فقط طريقة واحدة يمكن من خلالها الوصول لهدفه . يمكن للسيد أوين أن يوجد على سطح هذه الجزيرة بطريقة واحدة فقط . إنها طريقة ، واضحة تمامًا . إن السيد أوين هو أحدنا ... " .

٦

" لا ، لا ، لا ... " .

إنها فيرا التى انفجرت هكذا باكية ، وقد التفت إليها القاضى باهتمام .

وقال لها :

" سيدتى العزيزة الصغيرة ، ليس هناك من وقت لنضيعه فى رفض الحقائق مهما كانت . إننا جميعًا معرضون لخطر محيق ، فأحدنا هو السيد أوين ، ونحن لا نعرف من هو من بيننا . ومن بين العشرة أشخاص الذين حضروا إلى هذه الجزيرة ، مات ثلاثة منهم بالفعل ، وهم أنتونى مارستون ، والسيدة روجرز ، والجنرال ماكارثر ، وبالتالى خرج ثلاثتهم من نطاق الشك والريبة . ويتبقى سبعة منا الآن ، ومن بيننا نحن السبعة ، هناك واحد ، وأعتبر نفسى كذلك أيضًا ، عسكرى صغير مزيف :

توقف ونظر حوله وقال :

" هل تتفقون جميعًا معى ؟ " .

قال أرمسترونج :

" إنه أمر مذهل ـ ولكننى أفترض أنك على حق " .

قال بلور :

" ليس هناك من شك فى هذا ... " .

أوقفته إشارة سريعة من يد السيد وارجريف ، وقال القاضى بهدوء :

" سنتناول هذا الأمر حاليًا ، ولكن أتمنى أن نكون جميعًا قد اتفقنا على هذه الحقائق " .

قالت إميلى برنت ، وكانت مازالت تحيك :

" إن حديثكم يبدو منطقيًا . وأتفق أن أحدنا هو هذا الشخص المجنون " .

تذمرت فيرا قائلة :

" لا يمكننى أن أصدق هذا . . . لا يمكننى . . . " .

قال وارجريف :

" لومبارد ؟ " .

" إننى أتفق مع ذلك بشدة " .

أومأ القاضى برأسه بشكل ينم عن ارتياحه ، وقال :

" الآن دعونا نختبر الدليل . وفى البداية ، هل هناك أى مبرر يمكن من خلاله الشك فى شخص منا على وجه الخصوص ؟ سيد بلور ، لديك حسب ما أعتقد ما تريد قوله ؟ " .

قال بلور بينما كان يتنفس بصعوبة :

" لومبارد لديك مسدس ، ولم يخبرنا بالحقيقة بالأمس وقد اعترف بذلك " .

ابتسم فيليب لومبارد بازدراء .

وقال :

" أعتقد أنه من الأفضل أن أعيد الشرح " .

وكرر بالفعل ، وأعاد سرد القصة باختصار .

قال بلور بحدة :

" وكيف نثبت ذلك ؟ ليس هناك من شيء يؤيد قصتك " .

سعل القاضى ، وقال :

" للأسف إننا جميعنا فى الوضع نفسه وليس لدينا سوى كلمتنا لنعتمد عليها " .

مال القاضى إلى الأمام قائلاً :

" لم يلحظ أى منكم مدى غرابة الموقف الذى نمر به . فى رأيى هناك إجراء واحد يجب اتباعه . هل هناك شخص واحد يمكن استبعاده من الشك بناء على الدليل الموجود بحوزتنا ؟ " .

قال دكتور أرمسترونج سريعًا :

" أنا رجل محترف شهير ومجرد فكرة الشك بى . . " .

ومن جديد أوقفت يد القاضى الحديث قبل أن ينهيه ثم قال السيد جاستيس وارجريف بصوته الصغير الواضح :

" أنا أيضا شخص معروف جدًا ! ولكن يا سيدى العزيز ، فإن هذا لا يثبت شيئاً ! لقد جن الأطباء من قبل وكذلك القضاة . . وكذلك . . . " .

ثم أضاف ناظراً إلى بلور :

" وكذلك فعل رجال الشرطة ! " .

قال لومبارد :

" ولكن بأى حال من الأحوال ، افترض أننا سنخرج النساء من هذا الأمر " .

ارتفع حاجبا القاضى وقال بنبرته " اللاذعة " المعروفة التى يعرفها المجلس تمامًا :

" هل أفهم من ذلك أنك تؤكد أن النساء لسن محل اتهام بجنون القتل ؟ " .

قال لومبارد باضطراب :

" بالطبع لا ، ولكن الأمر سيان ، فيبدو أنه من الممكن . . " .

ثم توقف بينما خاطب القاضى بصوته اللاذع أرمسترونج قائلاً :

" هل أفهم من ذلك يا دكتور أرمسترونج أن المرأة يمكن أن تكون قادرة بدنيًا على توجيه تلك الضربة التى قضت على المسكين مكارثر ؟ " .

قال الدكتور بهدوء :

" قادرة تمامًا . إذا ما توفرت لديها الآلة المناسبة مثل الهراوة " .

" ولن تتطلب منها بذل جهد غير مناسب لها ؟ " .

" على الإطلاق " .

لف السيد جاستيس وارجريف عنقه المشابه لعنق السلحفاة وقال :

" لقد نتجت الميتتان الأخريان عن إعطاء عقاقير وهو بما لا يقبل الجدل أمر يسهل على أى شخص يملك أدنى قوى بدنية أن يفعله " .

صاحت فيرا بغضب :

" أعتقد أنك مجنون ! " .

تحولت عيناه ببطء حتى استقرتا عليها وحدق إليها بدهشة غير متعاطفة لرجل طالما اعتاد على وضع الإنسانية فى الميزان ففكرت :

" إنه يرانى فقط مثل . . " .

هاجمتها الفكرة بنوع من الدهشة الحقيقية ، واستطردت :

" إنه لا يحبنى كثيرًا ! " .

وبنبرات محسوبة كان القاضى يقول :

" عزيزتى الشابة حاولى أن تتحكمى فى مشاعرك فلست أتهمك بشىء " .

ثم انحنى للآنسة برنت قائلاً :

" آمل يا آنسة برنت أنك لم تشعرى بالإهانة بإصرارى على أننا جميعًا موضع شبهة على حد سواء ؟ " .

كانت إميلى برنت تحيك ولم ترفع حتى رأسها ، بل قالت بصوت بارد :

" إن فكرة اتهامى بالقضاء على حياة أحدهم - ناهيك عن حياة ثلاثة أشخاص - لهى بالطبع فكرة سخيفة بالنسبة لكل من يعرف شخصيتى ، ولكننى أقدر حقيقة أننا جميعا غرباء بالنسبة لأحدنا الآخر وأنه فى تلك الظروف لا يمكن إعفاء أحد من اللوم دون امتلاك دليل كامل . وهناك كما قلت فى السابق شيطان بيننا " .

قال القاضى :

" إننا متفقون إذن ؛ لن يكون هناك أى استبعاد على أساس الشخصية أو المنصب وحدهما " .

قال لومبارد :

" ماذا عن روجرز ؟ " .

نظر إليه القاضى دون أن يرمش له جفن قائلاً :

" ماذا عنه ؟ " .

قال لومبارد :

" حسنا ، باعتقادى أن روجرز يبدو بعيدًا إلى حد كبير عن الاتهام " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" حقا ، على أى أساس ؟ " .

قال لومبارد :

" إنه لا يتمتع بالقدرة العقلية التى تمكنه من عمل شىء مثل هذا ، ومن ناحية أخرى فإن زوجته أحد الضحايا " .

ارتفع حاجبا القاضى من جديد وقال :

" فى زمن عملى أيها الشاب وقف أمامى العديد من الناس المتهمين بقتل زوجاتهم ووجدوا مذنبين " .

" آه ! أتفق معك ، إن قتل الزوجة ممكن تمامًا ـ بل دعنا نقل إنه يكاد يكون طبيعيًا ! ولكن ليس ذلك النوع من البشر ! يمكننى أن أصدق أن روجرز قد قتل زوجته لأنه خاف أن تنهار وتفشى سرهما أو لأنه كان يمقتها أو لأنه أراد الارتباط بفتاة صغيرة لطيفة شابة . ولكننى لا أستطيع أن أتخيله ذلك المجنون السيد أوين الذى يطبق العدالة بجنون ويبدأ بزوجته لجريمة ارتكبها كلاهما " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" إنك تفترض أن مجرد الكلام دليل . إننا لا نعلم ما إذا كان روجرز وزوجته قد تآمرا لقتل مخدومتهما أم لا . ربما كان هذا القول خاطئاً ليجعل روجرز يبدو فى موقف مشابه لنا ، أما ذعر السيدة روجرز ليلة أمس فكان نظرا لحقيقة أنها أدركت أن زوجها مختل عقليًا " .

قال لومبارد :

" حسنا . تعامل مع الأمر بطريقتك . إن يو إن أوين هو واحد منا وليست هناك استثناءات فكلنا فى الأمر سواء " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" إن ما أريد قوله هو أنه لا يمكن السماح بوجود استثناءات على أساس الشخصية أو المنصب أو الاحتمالية ، وأن ما يجب أن نفحصه الآن هو إمكانية استبعاد شخص واحد أو أكثر منا بناء على أى حقائق . لنوضح الأمر بشكل أكثر بساطة ؛ هل يوجد بيننا شخص أو أكثر لا يحتمل أن يضعوا السيانيد لأنتونى مارستون أو يعطوا جرعة زائدة من المنوم للسيدة روجرز أو لم تكن لديهم الفرصة لتوجيه ضربة قاتلة للجنرال مكارثر ؟ " .

أشرق وجه بلور القاسى وانحنى إلى الأمام قائلاً :

" الآن تقول كلامًا جيدًا يا سيدى ! هذا هو الكلام ! دعونا نخض فى الأمر . فيما يتعلق بالشاب مارستون لا أعتقد أن هناك ما يمكن فعله ، فقد تم التلميح بالفعل بأن شخصاً ما من الخارج قد وضع بعض البودرة فى كأسه قبل أن يعيد ملأه للمرة الأخيرة . ويمكن للشخص الموجود فى الغرفة حقيقة أن يفعل ذلك بشكل أكثر سهولة ولا أتذكر ما إذا كان روجرز قد تواجد فى الغرفة أم لا ، ولكن أى منا كان يمكن أن يفعل ذلك بالتأكيد " .

توقف هنيهة ثم استأنف :

" والآن فيما يتعلق بالسيدة روجرز ، كان الأشخاص الذين وقفوا إلى جوارها هم زوجها والطبيب ، وربما يكون أى منهم قد فعل ذلك بسهولة كغمضة عين " .

هب أرمسترونج واقفًا على قدميه وكان يرتعد قائلاً :

" أعترض على ذلك . إن هذا أمر لا داعى لـه على الإطلاق ! أقسم أن الجرعـة التـى أعطيتهـا للمـرأة كانت تتسم بكامل . . "

انطلق الصوت الصغير اللاذع باترا جملة الطبيب فى منتصفها :

" دكتور أرمسترونج " .

ثم استأنف قائلاً :

" إن إحساسك بالإهانة طبيعى جدًا ، ومع ذلك يجب أن تقر أن الحقائق يجب مواجهتها ، فربما كنت أنت أو روجرز من أعطى المرأة الجرعة القاتلة بكل سهولة ، دعونا نفكر الآن فى موقف الأشخاص الآخرين الحاضرين . ما هى فرصتى أنا أو المفتش بلور أو الآنسة برنت أو الآنسة كلايثورن أو السيد لومبارد لإعطاء السم ؟ هل يمكن لأى منا أن يستبعد تمامًا ؟ " .

توقف برهة ثم استأنف :

" لا أعتقد ذلك " .

قالت فيرا بغضب :

" إننى لم أكن إلى جانب المرأة بأى حال ! وكلكم يمكن أن يقسم على ذلك " .

انتظر السيد جاستيس وارجريف لحظة ثم قال :

" بقدر ما تسعفنى ذاكرتى فإن الحقائق هى كالتالى وأرجو أن يصحح لى أحدكم إذا قلت خطأ ؟ قام أنتونى مارستون والسيد لومبارد برفع السيدة روجرز على

الأريكة ، وتوجه دكتور أرمسترونج إليها وأرسل روجرز لإحضار مشروب الشراب . وقد أثير سؤال وقتها يتعلق بمكان وجود الصوت الذى كنا قد سمعناه لتونا وذهبنا جميعًا إلى الغرفة المجاورة باستثناء الآنسة برنت التى ظلت فى الغرفة مع السيدة غير المدركة " .

احمرت وجنتا الآنسة برنت وتوقفت عن الحياكة قائلة : "هذا أمر مثير للسخط ! " .

استمر الصوت الصغير الذى لا يرحم قائلاً :

" وعندما عدنا إلى الغرفة كنت أنت يا آنسة برنت تنحنين على السيدة الراقدة فوق الأريكة " .

قالت إميلى برنت :

" هل تعتبر الإنسانية جريمة جنائية " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" إننى أسرد الحقائق فقط . ثم دلف روجرز إلى الغرفة ومع الشراب الذى كان بإمكانه بالطبع وضع أى شىء فيه قبل إدخاله إلى الغرفة . تم تقديمه إلى السيدة وبعدها بقليل ساعدها زوجها والدكتور أرمسترونج على الصعود إلى فراشها وأعطاها الدكتور أرمسترونج مهدئا " . قال بلور :

" هذا ما حدث بالضبط وذلك يجعلنا خارج الأمر أيها القاضى ، السيد لومبارد وأنا والآنسة كلايثورن " .

كان صوته مرتفعًا مبتهجًا ، بينما غمغم السيد جاستيس وارجريف وهو يلقى عليه نظرة باردة :

" آه ، ولكن حقًا ؟ لابد أن نضع فى اعتبارنا كل حدث ممكن " .

حدق بلور فيه بدهشة قائلاً :

" لا أفهمك " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" كانت السيدة روجرز ترقد هناك فى غرفتها بأعلى وقد بدأ المهدئ الذى أعطاها إياه الطبيب يحدث أثره وكانت ناعسة ومذعنة بشكل غامض . افترض أنها سمعت طرقاً على الباب فى تلك اللحظة ودخل أحدهم حاملاً لها قرصًا أو دواء مخبرا إياها برسالة تقول إن " الطبيب يطلب منك أن تتناولى هذا " . هل تتخيل لدقيقة واحدة أنها لن تبتلعه مطيعة دون حتى أن تفكر ؟ " .

ساد الصمت وعدل بلور وضع قدميه ثم قطب جبينه وقال فيليب لومبارد :

" لا أعتقد بصحة هذه القصة ولو للحظة واحدة ، بالإضافة إلى أن أحدًا منا لم يغادر غرفته لساعات بعدها ، فقد كان هناك حدث موت مارستون وباقى تبعاته" ، قال القاضى :

" ربما يكون أحدهم قد غادر غرفة نومه فى وقت متأخر " .

اعترض لومبارد :

" ولكن كان روجرز سيتواجد هناك وقتها ".

أشار إليه دكتور أرمسترونج قائلاً :

" لا ، لقد ذهب روجرز إلى أسفل لتنظيف غرفة الطعام ومخزن الطعام ويمكن أن يكون أى شخص قد صعد إلى غرفة نوم المرأة وقتها دون أن يراه أحد " .

قالت إميلى برنت :

" ولكن بالطبع أيها الطبيب كانت المرأة غارقة فى سبات عميق وقتها تحت تأثير العقار الذى أعطيته لها ؟ "

قال لومبارد :

" بالطبع ستقول ذلك أيها الطبيب ، إنه يرفع عنك اللوم . . أليس كذلك ؟ " .

ومن جديد اكتسى وجه أرمسترونج بملامح الغضب .

ولكن ما لبث ذلك الصوت العاطفى البارد الصغير أن أوقف كلماته فى حلقه قائلاً :

" لن تأتى أية نتيجة جيدة من توجيه الاتهامات . إن الحقائق هى ما يجب أن نتعامل معه ، وأعتقد أنه بات مفترضا وجود إمكانية لحدوث ذلك الأمر الذى أشرت إليه وأتفق معكم أن قيمة الاحتمالية ليست مرتفعة على الرغم ثانية من أنه يعتمد على كينونة ذلك الشخص . فظهور الآنسة برنت أو الآنسة كلايثورن للقيام بذلك لن يثير أية دهشة فى عقل المريض . وأتفق أن ظهورى أنا نفسى أو السيد بلور أو السيد لومبارد قد يبدو على الأقل غير عادى ، ولكننى ما زلت أعتقد أن الزيارة كان من الممكن تقبلها دونما إثارة لأى شك حقيقى " .

قال بلور :

" وإلى أين يأخذنا هذا ؟ " .

٧

قال السيد جاستيس وارجريف الذى كان يطرق على شفتيه وبدا غير متعاطف ولا يتمتع بالإنسانية :

" لقد تعاملنا الآن مع القتل الثانى وتوصلنا إلى حقيقة أنه ليس هناك منا من يمكن إعفاؤه من الشك تمامًا " .

توقف برهة ثم استأنف :

" نأتى الآن إلى ميتة الجنرال مكارثر التى حدثت هذا الصباح ، سوف أطلب ممن يعتبر أن لديه دليلاً على التواجد فى مكان آخر أن يخبرنا بذلك ببعض الكلمات . وأنا نفسى سوف أقر فى الحال أننى ليس لدىّ دليل صحيح للتواجد فى مكان آخر ؛ فقد قضيت الصباح جالسا فى الشرفة أتأمل فى ذلك الوضع الذى وجدنا أنفسنا فيه .

لقد جلست على هذا المقعد فى الشرفة طيلة الصباح حتى دق الجرس ولكن كان هناك على ما أتخيل عدة أوقات خلال الصباح كنت فيها غير مراقب وكان من اليسير بالنسبة لى فيها أن أسير إلى البحر وأقتل الجنرال ثم أعود إلى مقعدى وليست هناك سوى كلمتى فقط بأننى

لم أبرح الشرفة قط . وفى هذه الظروف ، فإن هذا ليس كافيًا وإنما يجب أن يكون هناك دليل " .

قال بلور :

" لقد كنت مع السيد لومبارد والسيد أرمسترونج طيلة الصباح وسوف يؤيدانى فى ذلك ، قال أرمسترونج : "لقد ذهبت إلى المنزل بحثاً عن حبل " .

قال بلور :

" بالطبع فعلت وقد ذهبت مباشرة إلى هناك وعدت مباشرة وأنت تعلم ذلك " .

قال أرمسترونج :

" لقد غبت فترة طويلة " .

احمر وجه بلور غضبًا وقال :

" ماذا تعنى أيها الطبيب أرمسترونج ؟ " .

كرر أرمسترونج :

" لقد قلت فقط إنك استغرقت وقتاً طويلاً " .

صاح بلور فى حدة : "كان على أن أجده أليس كذلك ؟ لا يمكنك أن تضع يديك على لفة من الحبال فى لحظة " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" خلال فترة غياب المفتش بلور ، هل كنتما أنتما الاثنان معًا أيها السيدان ؟ " .

قال أرمسترونج بحماس :

" بالتأكيد ، فقط غاب لومبارد لبضع دقائق وظللت أنا فى مكانى " .

قال لومبارد بابتسامة :

" لقد أردت أن اختبر إمكانيات إرسال إشارة إلى البلدة الرئيسية ورغبت فى العثور على البقعة المناسبة . لقد غبت لدقيقة أو اثنتين فقط " .

أومأ أرمسترونج برأسه إيجابًا وقال :

" هذا صحيح ليس وقتاً طويلاً بما يكفى لارتكاب جريمة قتل أؤكد لك " .

قال القاضى :

" هل نظر أى منكم فى ساعته ؟ " .

" حسنا . . لا " .

قال فيليب لومبارد :

" لم أكن أرتدى واحدة " .

قال القاضى بهدوء :

" إن تعبير دقيقة أو اثنتين تعبير غامض " .

أدار رأسه إلى حيث تجلس المرأة معتدلة القامة تحيك وهى تستند إلى حجرها قائلاً :

" آنسة برنت ؟ " .

قالت إميلى برنت :

" لقد تمشيت برفقة الآنسة كلايثورن إلى أعلى الجزيرة وبعد ذلك جلست فى الشرفة تحت أشعة الشمس " .

قال القاضى :

" لا أظن أننى لمحتك هناك " .

" لا ، لقد كنت بجوار زاوية المنزل باتجاه الشرق حيث جلست بعيدًا عن الرياح " .

" وقد جلست هناك حتى موعد الغداء ؟ " .

" نعم " .

" آنسة كلايثورن ؟ " .

أجابت فيرا باستعداد ووضوح قائلة :

" كنت مع الآنسة برنت فى وقت مبكر هذا الصباح ، ثم تجولت قليلاً ، وبعدها ذهبت وتحدثت مع الجنرال مكارثر " .

قال السيد جاستيس وارجريف مقاطعًا :

" كم كانت الساعة وقتها ؟ " .

أجابت فيرا بشىء من الغموض :

" لا أدرى . أعتقد قبل الغداء بنحو الساعة . أو ربما أقل " .

سأل بلور :

" هل كان ذلك بعد أن تحدثنا إليه أم قبلها ؟ " .

قالت فيرا :

" لا أدرى . لقد كان . كان غريبًا " .

سرت فى جسدها قشعريرة .

أراد القاضى أن يعرف فسأل :

" كيف كان غريبًا ؟ " .

قالت فيرا بصوت خفيض :

" لقد قال إننا جميعا سنموت . . وقال إنه ينتظر نهايته . لقد أرعبنى . . . " .

أومأ القاضى برأسه إيجاباً وقال :

" وماذا فعلت بعد ذلك ؟ " .

" عدت إلى المنزل ، ثم قبل الغداء تمامًا خرجت ثانية وذهبت خلف المنزل ، لقد كنت قلقة بشدة طوال اليوم " .

طرق السيد جاستيس وارجريف على ذقنه وقال :

" يبقى روجرز ، على الرغم من أننى أشك فى أن دليله سيضيف شيئاً إلى معلوماتنا " .

تم إحضار روجرز ولم يكن لديه الكثير ليقوله ؛ فقد كان منشغلاً طوال الصباح بالأعمال المنزلية وبتحضير الغداء ، وقد أخذ المشروبات إلى الشرفة قبل الغداء ثم صعد إلى أعلى لينقل حاجياته من العلية إلى غرفة أخرى ، ولم ينظر من النافذة خلال الصباح ولم ير شيئاً له علاقة بوفاة الجنرال مكارثر . وهو مستعد أن يقسم أنه كانت هناك ثمانية أشكال فخارية على مائدة الطعام عندما أعد المائدة للغداء .

وفى نهاية دليل روجرز ساد الصمت .

تنحنح السيد جاستيس وارجريف وغمغم لومبارد مخاطبا فيرا كلايثورن :

" سوف يبدأ الآن الملخص ! " .

قال القاضى :

" لقد استفسرنا عن ظروف الوفيات الثلاث بأقصى ما بوسعنا ، وبينما كانت الاحتمالية فى بعض الحالات ضد تورط بعض الأشخاص ، فإننا لا نستطيع أن نقطع بأن أحداً يمكن اعتباره بعيداً تمامًا عن التورط فى الجرم . وأؤكد على اعتقادى الإيجابى بأن من بين الأشخاص السبعة الموجودين فى هذه الغرفة يوجد شخص خطر ومجرم مجنون على الأرجح وليس هناك أى دليل أمامنا على هذا الشخص . وكل ما بوسعنا فعله فى الوقت الحاضر هو التفكير فى الإجراءات التى يمكن اتخاذها للتواصل مع البلدة الرئيسية لطلب المساعدة . وفى حالة تأخيرها (وهو أمر مرجح جدًا مع حالة الطقس تلك) نحدد المعايير التى يجب اتخاذها لضمان سلامتنا .

" سوف أطلب منكم جميعًا التفكر فى هذا بعناية وإعطائى أية اقتراحات قد تخطر لكم . وفى الوقت الحالى سوف أحذر كل فرد بأن يحترس لنفسه فحتى الآن كان مهمة القاتل سهلة حيث إن ضحاياه كانوا غير مرتابين . ومن الآن فصاعدًا ستكون مهمتنا الشك فى كل شخص بيننا . وقد أعذر من أنذر . لا تقوموا بأية مجازفات وكونوا يقظين للخطر . هذا كل ما لدىّ " .

غمغم فيليب لومبارد هامسًا :

" سوف يتم رفع الجلسة الآن . . . " .

الفصل ١٠

١

سألت فيرا : " هل تصدق ذلك ؟ " .

جلست هى وفيليب لومبارد بجوار نافذة غرفة المعيشة بينما كانت الأمطار تهطل بالخارج والرياح تهدر باندفاعات عظيمة تكاد تحطم النوافذ .

أطرق فيليب لومبارد برأسه قليلاً على أحد الجانبين قبل أن يجيب ثم قال :

" هل تعنين أننى أصدق أن وارجريف العجوز على حق عندما قال إن المجرم واحد منا ؟ " .

" نعم " .

قال فيليب لومبارد بهدوء :

" من الصعب القول ، فمن الناحية المنطقية كما تعلمين هو على حق ولكن . . " .

بدت فيرا وكأنها تجذب الكلمات من فمه قائلة :

" ولكن يبدو ذلك غير معقول ! " .

تجهم وجه فيليب لومبارد .

" إن الأمر برمته غير معقول ! ولكن بعد وفاة مكارثر فليس هناك من شك فى شىء واحد ؛ ليس هناك حوادث وانتحارات بل إنها بالتأكيد جرائم قتل . . ثلاث جرائم قتل حتى الآن " .

ارتعدت فيرا وقالت :

" إنه كابوس بشع ، إننى لا أفتأ أشعر بأن أمورًا كهذه لا يمكن أن تحدث ! " .

قال بتفهم :

" أعلم . فسوف تأتى الآن طرقة على الباب وسيتم إعداد الشاى فى الصباح وإحضاره " .

قالت فيرا :

" آه كم أتمنى لو يحدث ذلك ! " .

قال فيليب لومبارد بهيبة :

" نعم ولكنه لن يحدث ! إننا كلنا فى الكابوس ! ويجب أن نحترس لأنفسنا جيدًا من الآن " .

قالت فيرا وهى تخفض صوتها :

" لو . . لو كان المجرم واحدا منهم . . فمن تعتقد ؟ " .

ابتسم فيليب لومبارد بغتة ثم قال :

" هل أعتبر أنك تستثنين شخصينا ؟ حسنا ، هذا جيد . أعلم تماما أننى لست القاتل ولا أتخيل أن هناك أمراً جنونياً يتعلق بك يا فيرا ؛ فأنت تبدين لى واحدة من

أعقل الفتيات اللاتى قابلتهن وأكثرهن حكمة . إننى لأراهن بسمعتى على تمتعك بالعقل " .

قالت فيرا بابتسامة خجولة :

" شكرا لك " .

قال :

" آنسة فيرا كلايثورن ، ألن تردى لى المجاملة ؟ " .

ترددت فيرا للحظة ثم قالت :

" لقد أقررت كما تعلم أنك لا تعتبر الحياة الإنسانية مقدسة بشكل خاص ، ومع ذلك فإننى لا أراك مثل . . مثل ذلك الرجل الذى ألقى علينا التهم من خلال تسجيل الفونوغراف " .

قال لومبارد :

" صحيح تمامًا . فلو كنت أنا الفاعل لارتكبت جريمة واحدة أو أكثر من جرائم القتل ولكان ذلك فقط من أجل ما يمكن أن أجنيه من وراء هذه الجرائم ، أما ذلك التطهير الجماعى فليس من عادتى . حسنا ، إذن سوف نستبعد نفسينا ونركز على الخمسة مساجين الآخرين . من منهم هو يو إن أوين ؟ حسنا . بمجرد التخمين ودون أن يكون لدىّ أى شىء أستند إليه سوف أشك فى وارجريف ! " .

بدت فيرا مندهشة وهى تقول :

" أوه " .

فكرت لدقيقة أو اثنتين ثم قالت :

" لماذا ؟ "

" يصعب القول على وجه التحديد ولكن بادئ ذى بدء ، فإنه رجل عجوز وقد كان يرأس المحاكم لسنوات أى أنه لعب دور المشرع لعدة أشهر كل عام ، ولابد أن يؤثر ذلك على رأس المرء فى النهاية . لقد بدأ يرى نفسه قويًا لكونه يملك الحكم بالحياة أو الموت . . ومن الممكن أن يكون رأسه قد انهار من الضغط وقرر أن يقوم بخطة إلى الأمام ويكون المنفذ والقاضى على نحو غير معتاد " .

قالت فيرا بهدوء :

" نعم أفترض أن ذلك ممكن " .

قال لومبارد :

" من تتهمين ؟ " .

أجابت فيرا دون تردد :

" دكتور أرمسترونج " .

أطلق لومبارد صفيرًا منخفضًا وقال :

" الطبيب إيه ؟ أتعلمين ، كنت لأضعه آخر شخص فى احتمالاتى " .

هزت فيرا رأسها قائلة :

" آه لا ! لقد نتجت وفاتان عن السم وهذا يشير بشكل ما إلى طبيب ، ثم إنك لا تستطيع التغاضى عن حقيقة أن الشىء الوحيد الذى نحن على يقين من أن السيدة روجرز قد تناولته قبل نومها كان الدواء الذى أعطاها إياها " .

قال لومبارد مقرًا :

" نعم ذلك صحيح " .

أصرت فيرا :

" لو أصيب طبيب بالجنون ، فسيمر وقت طويل قبل أن يشك فيه أحد والأطباء يعملون كثيرًا ويبذلون جهداً كبيراً " .

قال فيليب لومبارد :

" نعم لكننى أشك فى أنه قتل مكارثر فلم يكن لديه الوقت الكافى خلال تلك الفترة الفاصلة القصيرة التى تركته فيها إلا إذا كان قد أسرع إلى هناك وعاد ثانية وأشك فى أنه يتمتع بالتدريب الكافى لفعل ذلك دون أن يظهر عليه أثره " .

قالت فيرا :

" إذا لم يكن قد فعلها فى ذلك الوقت فقد أتيحت له الفرصة بعد ذلك " .

" متى ؟ "

" عندما ذهب ليدعو الجنرال إلى الغداء " .

صفر فيليب ثانية بهدوء وقال :

" إذن هل تعتقدين أنه فعلها وقتها ؟ يا له من فعل جرىء ؟ " .

قالت فيرا بنفاد صبر :

" ما المجازفة فى ذلك ؟ لقد كان الشخص الوحيد ذا المعلومات الطبية ويمكنه أن يقسم أن الشخص قد توفى منذ ساعة على الأقل ومن سوف يعارضه ؟ " .

نظر إليها فيليب بتمعن ثم قال :

" أتعلمين ، إنها لفكرة جيدة منك . وإننى أتساءل . . "

٢

تقلص وجه روجرز واعتصرت يداه جلد التلميع الذى كان يمسكه وقال :

" من هو يا سيد بلور ؟ هذا ما أريد معرفته ، من هو ؟ " .

قال المفتش السابق بلور :

" نعم يا عزيزى ، هذا هو السؤال ! " .

" إنه واحد منا كما قال سيادة القاضى ، ولكن أى واحد ؟ هذا ما أريد معرفته . من هو ذلك الشخص غير الآدمى الذى يرتدى ثياب الإنسان ؟ " .

قال بلور : "هذا ما نود جميعًا معرفته " .

قال روجرز بدهاء :

" ولكن لديك فكرة يا سيد بلور ، لديك فكرة أليس كذلك ؟ " .

" لو قلت إننى متأكد لكنت مخطئاً ولكن كل ما يمكننى قوله هو إن كنت على صواب فإن الشخص المقصود هو شخص بارد جدًا . . بارد جدًا بالفعل " .

مسح روجرز عرقه عن جبهته وصاح قائلاً : " إن الأمر يبدو وكأنه كابوس مزعج ، إنه كذلك " .

قال بلور ناظرًا إليه بفضول :

" هل لديك أية فكرة يا روجرز ؟ " .

هز الخادم رأسه وصاح قائلاً :

" لا أعلم . لا أعلم على الإطلاق وهذا هو ما يرعبنى ، ألا يكون لدىّ فكرة " .

٣

قال دكتور أرمسترونج بعنف :

" لابد أن نخرج من هنا . لابد ! لابد ! بأى ثمن ! " .

نظر السيد جاستيس وارجريف من خلال نافذة غرفة التدخين وعبث بحبل نظارته وهو يقول :

" إننى بالطبع لا أدعى أننى متنبئ بالطقس ولكن يجب أن أقول إنه من غير المرجح أن يصلنا أى قارب ـ حتى ولو علموا بمحنتنا ـ خلال أقل من أربع وعشرين ساعة وحتى عندها لن نذهب قبل أن تنخفض سرعة الرياح " .

أطرق دكتور أرمسترونج برأسه ووضعه بين يديه متألماً وقال :

" وفى الوقت الحالى ، هل نُقتل جميعنا فى أسرتنا ؟ " .

قال السيد جاستيس وارجريف : " آمل ألا يحدث ذلك ، إننى أنتوى أخذ كل حذر ممكن ضد ذلك الشئ الحادث " .

فجأة برقت فى رأس دكتور أرمسترونج فكرة أن رجلا عجوزًا مثل القاضى كان أكثر تمسكًا بالحياة من الشباب . لطالما اندهش وأعجب من تلك الحقيقة فى حياته المهنية ، وها هو يصغر القاضى بنحو أربعة وعشرين عامًا ومع ذلك لديه إحساس أقل بكثير من التمسك بالذات .

كان السيد جاستيس وارجريف يفكر :

" نُقْتَل فى أَسِرَّتنا ! إن هؤلاء الأطباء كلهم سواء . . يفكرون بشكل متشابه وأذهانهم تعمل بتشابه كبير " .

قال الطبيب :

" لقد كان هناك ثلاث ضحايا بالفعل هل تذكر ؟ " .

" بالتأكيد ولكن يجب أن تتذكر أنهم لم يكونوا مستعدين للهجوم ، أما نحن فقد أخذنا حذرنا مسبقًا " .

قال الدكتور أرمسترونج بمرارة :

" ماذا يمكننا أن نفعل ؟ إن عاجلا أو آجلا . . " .

قال السيد جاستيس وارجريف : " أعتقد أن هناك عدة أشياء يمكننا فعلها " .

قال أرمسترونج :

" ليست لدينا أدنى فكرة حتى عمن يكون . . " .

دق القاضى على ذقنه وغمغم قائلاً :

" آه ، أتعلم ، إننى لا أستطيع أن أجزم بذلك الأمر " .

حدق أرمسترونج إليه قائلا :

" هل تقصد أنك تعرفه ؟ " .

قال السيد جاستيس وارجريف بحذر :

" فيما يتعلق بالدليل الفعلى ، كما هو ضرورى فى المحكمة ، أقر أننى لا أملكه ولكن بدا لى بمراجعة الأمر كله أن هناك شخصاً بعينه متهم بذلك بشكل واضح . نعم أعتقد ذلك " .

حملق إليه أرمسترونج وقال :

" لا أفهمك " .

٤

كانت الآنسة برنت بأعلى فى غرفة نومها .

تناولت كتابها المقدس وذهبت لتجلس قرب النافذة .

فتحته ثم بعد دقائق من التردد وضعته جانبا وذهبت إلى طاولة الزينة ومن بين أدراجها استلت دفتراً صغيراً أسود .

فتحته وبدأت بالكتابة :

" لقد حدث أمر فظيع . مات الجنرال مكارثر (كان ابن عمه متزوجًا من إلسى ماكفرسون) . وليس هناك من شك

فى أنه قد قتل . بعد الغداء جمعنا القاضى وألقى علينا خطابا مثيراً للاهتمام للغاية ، إنه مقتنع بأن القاتل واحد منا ، وهذا يعنى أن أحدنا يتلبسه شيطان . لقد شككت بالفعل بذلك ، ولكن من هو الفاعل ؟ إنهم كلهم يسألون أنفسهم السؤال نفسه . ولكن أنا وحدى أعلم . . .

جلست لبعض الوقت دون حراك ، وبدت عيناها غامضتين وزائغتين وترنح القلم بين أصابعها ، وكتبت بأحرف كبيرة مفردة :

إن اسم القاتل هو بياتريس تيلور . . .

أغلقت عينيها .

وفجأة استفاقت فزعة ونظرت إلى الدفتر وبتعجب غاضب وضعت خطوطا على الأحرف الغامضة غير المتساوية غير المقروءة للجملة الأخيرة .

وقالت بصوت خفيض :

" هل كتبت ذلك ؟ هل فعلت ؟ لابد أننى أصبت بالجنون " .

٥

تزايدت العاصفة وكانت الرياح تهدر على جانب المنزل وكان الجميع فى غرفة المعيشة وقد جلسوا بتكاسل

رابضين إلى جانب بعضهم البعض وكان كل منهم يراقب الآخر خلسة .

وعندما أحضر روجرز صينية الشاى نهضوا جميعًا واقفين ، فقال :

" هل أسدل الستائر ؟ سيكون الأمر أكثر بهجة لو فعلت " .

ومع تلقيه الموافقة على ذلك تم إسدال الستائر وإضاءة المصابيح وبدت الغرفة أكثر بهجة . وبدأت أحوال الطقس تتحسن ، وبالتأكيد مع حلول الصباح ستكون العاصفة قد انتهت وسوف يأتى أحدهم . سيصل القارب .

قالت فيرا كلايثورن :

" هلا صببت الشاى يا آنسة برنت ؟ " .

أجابت المرأة العجوز :

" لا ، قومى أنت بذلك يا عزيزتى . إن براد الشاى ثقيل جدا وقد فقدت بالفعل بكرتين من صوف الحياكة الرمادى ، إنه أمر مزعج " .

انتقلت فيرا إلى حيث طاولة الشاى وكان هناك صوت ثرثرة مبهج وصوت اصطدام الأوانى الفخارية . لقد عادت الحياة الطبيعية .

الشاى ! شاى بعد الظهر اليومى العادى المبارك ! قال فيليب لومبارد ملاحظة مبهجة ورد عليه بلور وأخبر الدكتور أرمسترونج بقصة فكاهية بينما جلس السيد

جاستيس وارجريف الذى كان يكره الشاى فى العادة يرتشفه فى قبول .

وفى ذلك الجو الذى يعمه الاسترخاء أتى روجرز .

كان روجرز مستاءً وقال بشكل عصبى عشوائى :

" اعذرنى يا سيدى ولكن هل يعلم أحدكم ماذا حل بستارة الحمام ؟ " .

رفع لومبارد رأسه سريعًا قائلاً :

" ستارة الحمام ؟ ماذا تريد أن تقول بحق السماء يا روجرز ؟ " .

" لقد اختفت يا سيدى تلاشت تمامًا . كنت أجول فى المكان جاذبًا جميع الستائر ولم تكن ستارة الحمام هناك فى مكانها " .

سأل السيد جاستيس وارجريف :

" هل كانت هناك فى الصباح ؟ " .

" نعم يا سيدى " .

قال بلور :

" ما نوع هذه الستارة ؟ " .

" ستارة حريرية قرمزية يا سيدى كان لونها يتماشى مع القرميد القرمزى " .

قال لومبارد :

" وقد اختفت ؟ " .

" اختفت يا سيدى " .

حدقوا إلى بعضهم البعض وقال بلور بتثاقل :

" حسناً . على كل حال ما الفرق ؟ إنه أمر جنونى مثل كل شىء هنا . على أية حال هذا أمر لا يهم ، فلا يمكنك قتل شخص ما باستخدم ستارة حريرية ، انس الأمر " .

قال روجرز :

" نعم يا سيدى شكرًا لك " .

ثم ذهب وأغلق الباب خلفه وداخل الغرفة ساد جو الخوف من جديد . من جديد عاد كل منهم يراقب الآخر خلسة .

٦

تم تحضير العشاء وتناوله وتم رفع الطعام . كانت وجبة بسيطة تتكون غالبًا من المعلبات ، وبعد ذلك وفى غرفة المعيشة كان الجهد بالغا بدرجة لا يمكن تحملها وفى حوالى الساعة التاسعة نهضت إميلى برنت قائلة :

" سوف أخلد للنوم " .

وقالت فيرا :

" سوف أخلد للنوم أنا أيضًا " .

صعدت المرأتان الدرج وتبعهما لومبارد وبلور ووقفا بأعلى الدرج وشاهدا المرأتين وهما تتوجهان إلى

غرفتيهما ، ثم أغلقتا بابيهما ، ثم سمعا صوت إقفال متراسين وإغلاق مفتاحين ، فقال بلور بابتسامة :

" لا حاجة بنا لأن نخبرهما بإغلاق بابيهما ! " .

قال لومبارد :

" حسنا ، ستكونان على مايرام الليلة على أية حال ! " .

ثم نزل إلى أسفل وتبعه الآخر .

٧

ذهب كل من الرجال الأربعة للنوم بعد ذلك بساعة وقد صعدوا معا ، بينما كان روجرز فى غرفة الطعام يعد المائدة للإفطار ورآهم يصعدون ثم سمعهم يتوقفون بأعلى الدرج وسمع صوت القاضى وهو يقول :

" إننى أنصحكم أيها السادة بإغلاق أبوابكم " .

قال بلور :

" بل والأكثر من ذلك ؛ نضع مقعدًا أسفل المقبض فهناك سبل لفتح الأقفال من الخارج " .

غمغم لومبارد قائلاً :

" عزيزى بلور ، إن مشكلتك أنك تعرف أكثر مما ينبغى ! " .

قال القاضى بهيبة :

" تصبحون على خير أيها السادة لعلنا نلتقى آمنين فى الصباح ! " .

خرج روجرز من غرفة الطعام وتسلل إلى منتصف الدرج ورأى أربعتهم يدخلون من أربعة أبواب وسمع صوت إغلاق أربعة أقفال وإغلاق أربعة متاريس .

فأومأ برأسه إيجابًا وتمتم قائلاً :

"هذا جيد" .

عاد إلى غرفة الطعام . نعم كان كل شىء معدًا للصباح . تركزت عيناه على طبق الزينة الزجاجى المظهر الموضوع فى المنتصف والتماثيل الفخارية السبعة .

اكتسى وجهه بابتسامة وغمغم قائلاً :

" لن أرى أى شخص يقوم بحركات خادعة فى الليلة بأى حال " .

قطع الغرفة وأغلق الباب المؤدى إلى مخزن الطعام ثم مر خلال الباب الآخر المؤدى إلى الردهة وجذب الباب وأغلقه ووضع المفتاح فى جيبه .

ثم أطفأ الأضواء وأسرع يتسلق الدرج ومنه إلى غرفته الجديدة .

كان هناك مكان واحد ممكن للاختباء فيها . . الخزانة الطويلة والتى نظر فى داخلها على الفور ثم أغلق الباب وأغلق المتراس واستعد للنوم وقال لنفسه :

" لا مزيد من الحيل الخادعة الليلة ، لقد تأكدت من هذا . . . . . . " .

الفصل ١١

١

كانت عادة فيليب لومبارد أن يستيقظ مع أول خيوط الفجر وقد فعل هذه العادة فى ذلك الصباح على وجه الخصوص ، فنهض من نومه مستندًا إلى مرفقه وأنصت . كانت الرياح قد انخفضت قليلاً ولكنها كانت لا تزال تهب ، ولكنه لم يسمع صوت المطر . . .

بحلول الساعة الثامنة كانت الرياح تهب أكثر قوة ولكن لومبارد لم يسمعها ، فقد غط فى النوم من جديد .

فى الساعة التاسعة والنصف كان يجلس على حافة فراشه ناظرًا إلى ساعته ثم وضعها على أذنه ، وبعدها كشر عن أنيابه بابتسامة ذئب مثيرة للفضول ، وقال لنفسه بهدوء :

" أعتقد أن الوقت قد حان لفعل شيء ما " .

فى الساعة العاشرة إلا خمسًا وعشرين دقيقة كان يطرق باب غرفة بلور المغلق وقد فتحه الآخر بحرص وبدا شعره أشعث وعيناه لا تزالان مغلقتين إثر النوم .

قال فيليب لومبارد بود :

" هل تنام طيلة اليوم ؟ حسناً ، يبدو أن ضميرك مرتاح " .

قال بلور باقتضاب :

" ما الأمر ؟ " .

أجابه بلور :

" هل دعاك أحد أو أحضر لك الشاى ؟ هل تعلم كم الساعة الآن ؟ " .

نظر بلور إلى الخلف إلى حيث المنبه الموضوع بجوار الفراش وقال :

" العاشرة إلا خمسًا وعشرين دقيقة . لم أكن لأصدق أننى نمت كل ذلك الوقت . أين روجرز ؟ " .

قال فيليب لومبارد :

" إنها حالة من تردد صدى السؤال نفسه ، أين ؟ " .

سأل الآخر بحدة : " ماذا تعنى ؟ " .

قال لومبارد :

" أعنى أن روجرز مفقود ، فهو ليس فى غرفته أو فى أى مكان آخر وليس هناك براد موضوع ، بل ولم تشعل نار المطبخ حتى الآن " .

لعن بلور بأنفاس مبهورة وقال :

" أين يمكن أن يكون بحق السماء ؟ بالخارج فى مكان ما من الجزيرة ؟ انتظر " .

أومأ فيليب لومبارد برأسه إيجابًا وتحرك بمحاذاة صف الأبواب المغلقة ووجد أرمسترونج مستيقظاً وكاد يكمل ملبسه ، بينما كان السيد جاستيس وارجريف ، مثل بلور ، فى انتظار من يوقظه من نومه ، أما فيرا كلايثورن فقد ارتدت ملابسها بالفعل وكانت غرفة إميلى برنت خالية .

تحركت المجموعة الصغيرة خلال المنزل ، وبداخل غرفة روجرز لم يكن يوجد أحد كما أكد فيليب لومبارد بالفعل ، وكان الفراش غير مرتب وكانت المنشفة والصابون لا يزالان رطبين .

قال لومبارد :

" لقد استيقظ بالفعل" .

قالت فيرا بصوت منخفض حاولت أن تجعله صارمًا ومطمئناً :

" ألا تعتقد أنه يختبئ فى مكان ما فى انتظارنا ؟ " .

قال لومبارد :

" فتاتى العزيزة أنا على استعداد لأن أظن أى شىء فى أى شخص ! ونصيحتى لك هى أن نظل معا حتى نجده " .

قال أرمسترونج :

" لابد أنه بالخارج فى مكان ما من الجزيرة " .

ارتدى بلور الذى انضم إليهم ملابسه ولكنه لم يكن قد حلق ذقنه بعد وقال :

" أين يمكن أن تكون الآنسة برنت . . هذا لغز آخر ؟ " .

ولكن فور أن وصلوا إلى الردهة كانت إميلى برنت قد قدمت من الباب الأمامى ، وكانت ترتدى معطف المطر وقالت :

" إن البحر مرتفع بشدة ولا أظن أن أى قارب يمكن أن يظهر اليوم " .

قال بلور :

" هل كنت تتجولين فى الجزيرة بمفردك يا آنسة برنت ؟ ألا تدركين أن ذلك فعل بالغ الحماقة ؟ " .

قالت إميلى برنت :

" أؤكد لك يا سيد بلور أننى كنت محترسة بشدة" .

أصدر بلور صوتاً ساخرًا وقال :

" هل رأيت روجرز ؟ " .

ارتفع حاجبا الآنسة برنت وقالت :

" روجرز ؟ لا لم أره هذا الصباح " .

كان السيد جاستيس وارجريف قد حلق ذقنه وانتقل إلى غرفة الطعام المفتوحة وقال :

" آه ، لقد أعد الطاولة للإفطار كما أرى " .

قال لومبارد :

" ربما يكون قد فعل ذلك الليلة الماضية " .

انتقلوا جميعًا إلى داخل الغرفة ناظرين إلى الأطباق وأدوات المائدة المرصوصة بدقة . . وصف الفناجين الموضوعة على الطاولة الجانبية . . إلى القواعد الليفية المعدة فى مكانها بانتظار براد القهوة .

كانت فيرا هى من رأى ذلك أولا وأمسكت بذراع القاضى وقد أشارت بإصبعها على نحو جعل القاضى ينكمش اغتمامًا وهى تصيح :

" انظروا ! التماثيل الهندية " . كانت هناك ستة تماثيل فخارية فقط فى منتصف المنضدة .

٢

وجدوه بعد ذلك بقليل .

كان فى محل الغسيل الصغير عبر الساحة وكان يجمع الحطب استعدادا لإشعال نار المطبخ . كانت قاطعة الخشب لا تزال فى يده . . كانت أداة كبيرة وثقيلة وكان يستند إلى الباب الذى ظهر على معدنه بقعة بنية باهتة تلاءمت تماما مع الجرح الغائر فى مؤخرة رأس روجرز . . .

٣

قال أرمسترونج : " الأمر واضح تمامًا . لابد أن القاتل قد تسلل من خلفه ورفع قاطعة الخشب مرة واحدة وهوى بها على رأسه بينما كان منحنيًا " .

كان بلور منشغلاً بمقبض القاطعة وغربال الدقيق اللذين أحضرهما من المطبخ .

سأل السيد جاستيس وارجريف :

" هل احتاج الأمر إلى قوة كبيرة أيها الطبيب ؟ " .

قال أرمسترونج بجدية :

" يمكن لامرأة أن تفعله إذا كان هذا ما ترمى إليه " .

ثم ألقى نظرة خاطفة من حوله . وكانت فيرا كلايثورن وإميلى برنت قد ذهبتا إلى المطبخ .

" يمكن للفتاة أن تفعله بمنتهى السهولة . . إنها من النوع الرياضى ، فمن ناحية المظهر تبدو الآنسة برنت ضعيفة ولكن ذلك النوع من النساء لديه غالبًا قوة كبيرة ولك أن تتذكر أن أى شخص يتمتع بقوة عقلية سليمة لديه قدر كبير من القوة البدنية دون شك " .

أومأ القاضى برأسه مفكرًا .

نهض بلور من وضعه الرابض مطلقا تنهيدة وقال :

" لا توجد بصمات ، فقد تم مسح المقبض بعد ذلك " .

سمع صوت ضحك فالتفتوا جميعًا بحدة . كانت فيرا كلايثورن تقف فى الساحة وقد صاحت بصوت أجش مرتفع وهى تهتز فى نوبة جامحة من الضحك قائلة :

" هل يحتفظون بنحل فى هذه الجزيرة ، قولوا لى ذلك . أين يمكن أن نذهب لنحضر العسل ؟ ها ها ! ! " .

حدقوا إليها بغير فهم ، وبدا كما لو كانت تلك الفتاة المتزنة العاقلة قد جنت أمام أعينهم ، استمرت فى

الحديث بذلك الصوت المرتفع غير الطبيعى : " لا تحدقوا إلىّ هكذا ؟ كما لو كنتم تظنونى مجنونة . إن ما أسأل عليه عاقل للغاية . إننى أسأل عن النحل ، خلايا النحل ! ألا تفهمون ؟ ألم تقرأوا تلك القصيدة الغبية ؟ إنها هناك بأعلى فى جميع غرفكم . موضوعة هناك كى تتمعنوا فيها ! ربما نكون قد جئنا إلى هنا مباشرة لو كنا نتمتع بالفهم . سبعة صبية هنود صغار يقطعون الحطب وفى المقطع التالى . . أقول لكم إننى أحفظ القصيدة كلها عن ظهر قلب ! ستة صبية هنود صغار يلعبون بخلية نحل ولذا أسأل . . هل يحتفظون بنحل فى هذه الجزيرة ؟ . . أليس هذا مضحكًا ؟ . . أليس هذا مضحكًا بشدة . . ؟ "

شرعت فى نوبة من الضحك الجامح من جديد وتقدم الدكتور أرمسترونج إلى الأمام ورفع يده ثم صفعها .

نظرت إليه مبهورة الأنفاس ثم انتابتها الفواقة وازدردت ريقها ووقفت دون حراك لمدة دقيقة ثم قالت :

" شكرا لك . . . أنا بخير الآن " .

عاد صوتها إلى طبيعته الهادئة المتزنة مرة أخرى . . صوت مدرسة الألعاب الماهرة .

التفتت وذهبت عبر الساحة ومنها إلى المطبخ وهى تقول :

" سوف أعد أنا والآنسة برنت الإفطار هل يمكنكم أن تحضروا بعض الحطب لإشعال النار ؟ " .

كانت آثار لطمة الطبيب لا تزال ظاهرة على خدها بخطوط حمراء .

بينما ذهبت إلى المطبخ قال بلور :

" حسنا ، لقد تعاملت مع الأمر بشكل جيد أيها الطبيب " .

قال أرمسترونج معتذرا :

" كان علىّ أن أفعل ذلك ! فنحن لا نأمل فى إصابة أحدنا بالهيستريا فوق كل ما نعانيه " .

قال فيليب لومبارد :

" إنها ليست من النوع المصاب بالهيستريا " .

وافقه أرمسترونج قائلاً :

" نعم . إنها فتاة عاقلة تتمتع بصحة جيدة ولكنها الصدمة الفجائية والتى يمكن أن تصيب أى فرد " .

كان روجرز قد قطع كمية محددة من الحطب قبل أن يقتل وقد جمعوها كلها وأخذوها إلى المطبخ . كانت كل من فيرا وإميلى منشغلتين وقد راحت الآنسة برنت تقلب حطب الموقد بينما كانت فيرا تقطع الطبقة المغلفة للحم وقالت إميلى برنت :

" شكرا لك سنعمل بأقصى سرعة . أمامنا حوالى نصف ساعة لإعداد الإفطار " .

٤

قال المفتش السابق بلور بصوت خفيض حازم لفيليب لومبارد :

" هل تعلم فيم أفكر ؟ " .

" حيث إنك ستقول ما تريده لى الآن ، فلا يستحق الأمر عناء التخمين " .

كان المفتش السابق بلور رجلا جادًا لا تفوته أية لمحة دون فهم وقد استأنف حديثه بصعوبة :

" كانت هناك قضية فى أمريكا ؛ كان هناك رجل عجوز وزوجته قد قتلا باستخدام فأس . فى منتصف الصباح لم يكن هناك من أحد فى المنزل سوى ابنتهما والخادمة ، وقيل إن الخادمة لا يمكن أن تكون الفاعلة ، وكانت الفتاة عانساً محترمة فى منتصف العمر وبدا الأمر مستحيلاً ، لدرجة أنهم برأوها ولكنهم لم يجدوا تفسيرًا قط " .

توقف برهة ثم قال :

" فكرت فى ذلك عندما رأيت الفأس ورأيت تلك الفتاة قد انتابتها حالة هيستيرية . حسناً ، ذلك نوع طبيعى من الأمور التى قد تتوقعها ألا تعتقد ذلك ؟ " .

قال فيليب لومبارد متحسرًا :

" ربما " .

أردف بلور قائلاً :

" ولكن الأخرى ! كانت أنيقة ومهندمة وقد ارتدت المريلة . مريلة السيدة روجرز وأفترض أنها قالت : سيكون الإفطار معدا خلال نصف ساعة أو نحوه ولو سألتنى فسأقول إن تلك المرأة بالغة الجنون ! فكثير من العوانس كبيرات السن يفقدن عقولهن بهذه الطريقة . . ولا أعنى أنهن يقمن بجرائم قتل على مدى واسع ، ولكنهن يفكرن بغرابة . وللأسف ، فقد سلكت هى ذلك الطريق . إنها مولعة بالدين . وتظن نفسها أداة الخالق أو شيئاً من هذا القبيل ! إنها تجلس فى غرفتها كما تعلم وهى تقرأ فى الكتاب المقدس " .

تنهد فيليب لومبارد وقال :

" إن هذا لا يمكن أن يشكل دليلاً إيجابيًا على اختلال العقل يا بلور " .

لكن بلور استأنف قائلاً بتحفظ :

" ثم لقد كانت بالخارج بمعطف المطر وقالت إنها كانت بأسفل تنظر إلى البحر " .

هز الآخر رأسه وقال :

" لقد قتل روجرز بينما كان يقطع الحطب ، أى أن ذلك حدث أول شيء بعد أن استيقظ ولم تكن الآنسة برنت فى حاجة للتجول بالخارج فى الجزيرة لساعات بعدها . لو سألتنى عن رأيى فإن قاتل روجرز سوف يهتم كثيراً بأن يكون فى فراشه يغط فى نوم عميق " .

قال بلور :

" إنك لا تنتبه إلى نقطة ما يا سيد لومبارد . لو كانت المرأة بريئة لكانت قد ذعرت بشدة من مجرد التجول بمفردها ، ولن تفعل ذلك إلا لو كانت تعلم أنه ليس هناك ما تخاف منه ؛ أى أنها هى نفسها المجرمة " .

قال فيليب لومبارد :

" هذه نقطة جيدة . . . . نعم ، لم أفكر فيها " .

ثم أضاف بابتسامة باهتة :

" أنا سعيد أنك لم تعد تشك بى " .

قال بلور وقد بدا على وجهه الخجل :

" لقد بدأت أفكر فيك بالفعل . . ذلك المسدس . . وتلك القصة الغريبة التى أخبرتنا بها أو لم تخبرنا . لقد أدركت الآن أن ذلك كان فى الحقيقة واضحًا جدًا " .

توقف قليلاً ثم قال :

" آمل أن تشعر بالشىء نفسه حيالى " .

قال فيليب لومبارد مفكرًا :

" ربما أكون مخطئاً بالطبع ولكننى لا أشعر أنك تمتلك الخيال الكافى للقيام بهذا العمل ، وكل ما يمكننى قوله هو أنك لو كنت المجرم فإنك ممثل جيد جدًا أرفع له قبعتى " .

خفض صوته ثم قال :

" ضع فى الاعتبار أننا قد نصبح جثتين قبل أن ينقضى يوم آخر ، أفترض أنك ارتكبت جريمة الحنث باليمين تلك ، أليس كذلك ؟ " .

عدّل بلور قدميه بغير راحة وقال أخيرًا :

" لا يبدو أن ذلك سيحدث فرقاً الآن . آه ، نعم . كان لاندور بريئاً بما يكفى وقد دفعت لى العصابة ، وفى الحقيقة وضعناه فى السجن ، ولكن انتبه ، إننى لا أقر . "

أنهى لومبارد جملة الأخير بابتسامة قائلاً : " لو كان هناك أى شهود . حسنا آمل أن تكون قد جنيت مالاً جيدًا من هذا " .

" لم أجن ما كان يجب أن أحصل عليه ، أعنى من العصابة . . عصابة برسل ولكننى حصلت على الترقية مع ذلك " .

" وأدين لاندور ومات فى السجن " .

تساءل بلور :

" لم أكن أعلم أنه سوف يلقى حتفه . هل كان بإمكانى ذلك ؟ " .

" لا ، كان هذا حظك العثر " .

" حظى أنا ؟ تعنى حظه هو " .

" حظكما أنتما الاثنان ، لأنه كنتيجة لذلك يبدو كما لو كانت حياتك سوف تختزل بشكل غير مبهج " .

حدق إليه بلور قائلاً :

" حياتى ؟ هل تعنى أننى سوف أموت مثل روجرز وبقية الضحايا ؟ ليس أنا ! أقول لك إننى أحترس لنفسى جيدًا " .

" آه حسنا . إننى رجل غير مقامر وعلى أية حال لو مت فلن يدفع لى أحد " .

" انتظر يا سيد لومبارد ، ماذا تعنى ؟ " .

كشف له فيليب لومبارد عن أسنانه وقال :

" أعنى يا عزيزى بلور أنه فى رأيى أنه ليست لديك أية فرصة ! " .

" ماذا ؟ " .

" إن افتقارك للتخيل سوف يجعلك مستهدفاً لا محالة ، وأن مجرماً بخيال يو إن أوين يمكن أن يوقع بك متى أحب " .

احمر وجه بلور وتساءل غاضباً :

" وماذا عنك ؟ " .

تصلب وجه فيليب لومبارد وظهرت عليه علامات الخطر وقال :

" إن لدىّ قدرًا كبيرًا من الخيال ، فقد كنت فى أماكن أكثر خطورة قبل الآن ونجوت منها ! أعتقد أننى لن أقول أكثر من هذا ولكننى أظن أننى سأفلت من هذه المكيدة " .

٥

كان البيض فى المقلاة وفكرت فيرا بينما كانت تقف إلى جانب الموقد :

" لماذا جعلت من نفسى حمقاء ، أتصرف بشكل هيستيرى ؟ لقد كانت تلك غلطة . اهدئى أيتها الفتاة اهدئى " .

فعلى كل حال لطالما افتخرت بحكمتها !

" إن الآنسة كلايثورن كانت رائعة . . لقد حافظت على هدوئها وشرعت فى السباحة خلف سيريل على الفور " .

لماذا تفكر فى ذلك الآن ؟ لقد انتهى كل هذا . . لقد كان سيريل قد اختفى منذ وقت طويل قبل أن تقترب من الصخرة ، وقد شعرت بالتيار يأخذها إلى هناك . . يجذبها نحو البحر وتركت نفسها تسبح معه بهدوء وتطفو حتى وصل القارب أخيرًا . . .

لقد امتدحوا شجاعتها وتمالكها لنفسها . . .

ولكن ليس هوجو . لقد اكتفى هوجو بالنظر إليها . . .

أين كان ؟ ماذا كان يفعل ؟ هل خطب أو تزوج ؟

قالت إميلى برنت بحدة :

" فيرا ! إن ذلك اللحم يحترق " .

أفاقت فيرا من شرودها قائلة :

" آسفة يا آنسة برنت نعم إنه يحترق ، كم أنا غبية " .

قالت فيرا وهى تضع قطع لحم جديدة فى المقلاة بفضول :

" إنك هادئة بشكل تحسدين عليه يا آنسة برنت " .

قالت إميلى برنت وهى تزم شفتيها معًا :

" لقد تربيت على الهدوء وعدم التذمر " .

فكرت فيرا بشكل آلى :

" لقد تم كبتها وهى طفلة . . . إن ذلك يفسر الكثير " ، ثم قالت :

" ألست خائفة ؟ " .

توقفت قليلاً ثم أضافت :

" أو أنك لا تمانعين فى الموت ؟ " .

الموت ! كما لو كان منشار صغير قد نفذ فى مخ إميلى برنت المتجلط الجامد . الموت ؟ ولكنها لن تموت ! سيموت الآخرون . . نعم ولكن ليست هى . . لن تموت إميلى برنت . إن تلك الفتاة لا تفهم ! إن إميلى لم تكن خائفة بشكل طبيعى . . فلم يكن أحد أفراد عائلة برنت يخاف . لقد كان جميع أهلها من العاملين فى الخدمة العسكرية وقد واجهوا الموت بشجاعة . لقد عاشوا حياة مستقيمة مثلها هى إميلى برنت . . لقد عاشت حياة مستقيمة . . . فلم تفعل أى شىء تخجل منه أبدًا . . . وبالتالى وبشكل طبيعى فلن تموت . . .

" إن الله يصون عباده ، فلا تخافن من الفزع ليلاً ولا من السهم المنطلق نهارًا . . . " ، لقد كان الوقت نهارًا الآن وليس هناك فزع . " لن يغادر أى منا الجزيرة " . من قال تلك الجملة ؟ جنرال مكارثر بالطبع . لقد بدا أنه لا يهتم ، بل بدا وكأنه فى الواقع يرحب بالفكرة !

خبيث ! غير تقى على الإطلاق ليشعر بهذه الطريقة ، إن بعض الناس يفكرون قليلاً فى الموت حتى إنهم فى الواقع يقضون على حياتهم . بياتريس تايلور .

. . لقد حلمت الليلة الماضية ببياتريس . . حلمت أنها بالخارج تضغط بوجهها على النافذة وتتألم وتطلب الدخول ولكن إميلى برنت لم ترد لها الدخول لأنها لو فعلت فإن شيئاً فظيعاً سيحدث . .

استفاقت إميلى فجأة . لقد كانت تلك الفتاة تنظر إليها بغرابة وقالت بصوت سريع :

" كل شيء جاهز ، أليس كذلك ؟ سوف نأخذ الإفطار إلى الداخل " .

٦

كان الإفطار وجبة مثيرة للفضول ؛ فقد كان الجميع يتمتع بالتهذيب . "هل لى بالحصول على المزيد من القهوة يا آنسة برنت ؟ " .

" قطعة لحم أخرى ؟ " .

كان هناك ستة أشخاص بدوا جميعا متمالكين أنفسهم وطبيعيين .

ولكن من داخلهم ؟ كانت هناك أفكار تدور فى دائرة كأنهم سناجب فى قفص .

"ماذا بعد ؟ ماذا بعد ؟ من ؟ ماذا ؟ " .

"هل سيجدى الأمر ؟ أتساءل ، إنه يستحق المحاولة ، لو كان هناك وقت ، يا إلهى لو كان هناك وقت فقط . . . " .

"الولع بالدين . إنه عنوان فقط . . . يصعب التصديق مع ذلك عند النظر إليها . . . أفترض أننى مخطئ . . . "

"إنه جنون . . كل شىء مجنون . سوف أصاب بالجنون . إن الصوف يختفى وكذلك الستائر الحريرية . . إن الأمر غير مفهوم . ليس بمقدورى أن أفهمه . . . "

"ذلك الأحمق . . لقد صدق كل كلمة قلتها له . لقد كان الأمر يسيرًا . . . يجب أن أكون حريصًا مع ذلك ، حريصاً جدًا " .

"هل ستبقى تلك التماثيل الفخارية الصغيرة ستة بحلول الليل ؟ . . . "

" من سيتناول البيضة الأخيرة ؟ " .

" مربى ؟ " .

" شكرًا ، هل لى أن أعطيك بعض اللحم ؟ " .

ستة أشخاص كانوا يتصرفون بشكل طبيعى على الإفطار . . .

الفصل ١٢

١

ستة أشخاص فقط . كم سيكون عددهم كبيرًا .

انتهت الوجبة وتنحنح السيد جاستيس وارجريف وقال بصوته السلطوى الصغير :

" إننى أفضل أن نجتمع لمناقشة الوضع ، هل نفترض فعل ذلك خلال نصف ساعة فى غرفة الضيوف ؟ " .

أصدر كل منهم صوتاً يوحى بالموافقة وبدأت فيرا فى جمع الأطباق معًا وقالت : "سوف أرفع الأطباق وأغسلها " .

قال فيليب لومبارد : "سوف نحضر لك الأغراض من مخزن الطعام" .

" شكرا " ، هبت إميلى برنت واقفة على قدميها ثم جلست مرة أخرى قائلة :

" يا إلهى " .

قال القاضى :

" هل حدث شىء يا آنسة برنت ؟ " .

قالت إميلى معتذرة :

" آسفة لقد كنت أود أن أساعد الآنسة كلايثورن ولكننى لا أدرى كيف ذلك ، أشعر ببعض الدوار " .

قال دكتور أرمسترونج :

" دوار ؟ إن الأمر طبيعى تمامًا . إنها صدمة متأخرة يمكننى أن أعطيك شيئاً ما " .

" لا ! " .

انطلقت الكلمة من فمها باندفاع كقذيفة متفجرة .

لقد فاجأت الجميع واحمر وجه دكتور أرمسترونج خجلاً .

بدا واضحًا على وجهها ملامح الخوف والشك ، فقال لها بصرامة :

" كما تشائين يا آنسة برنت " .

قالت :

" لا أود أن أتناول أى شىء . أى شىء على الإطلاق سوف أجلس هنا فقط بهدوء حتى ينتهى الدوار " .

انتهوا من رفع أطباق الإفطار وقال بلور :

" إننى رجل من النوع الأسرى سوف أساعدك يا آنسة كلايثورن " .

قالت فيرا :

" شكرًا لك " .

تركوا إميلى برنت بمفردها فى غرفة الطعام ولوهلة سمعت غمغمة أصوات بسيطة قادمة من مخزن الطعام .

كانت تتعافى من الدوار وقد شعرت بالرغبة فى النوم الآن كما لو كان من اليسير عليها أن تنام .

كان هناك صوت طنين فى أذنها ، أم هل كان هناك صوت طنين حقيقى فى الغرفة ؟ فكرت :

" إنها مثل نحلة . . أو زنبور " .

لقد رأت النحلة الآن وكانت تزحف على النافذة .

كانت فيرا كلايثورن تتحدث عن النحل هذا الصباح .

النحل والعسل .

إنها تحب العسل . العسل الموجود فى قرص العسل وتحب أن تجذبه بنفسها من خلال حقيبة من الشاش . . نقطة ، فنقطة ، فنقطة .

كان هناك شخص ما على باب الغرفة . . . إنها بياتريس تيلور وقد جاءت من النهر . . . .

كان عليها فقط أن تلف رأسها وسوف تراها .

ولكنها لم تكن تستطيع أن تلف رأسها .

إذا أمكنها أن تصيح . . .

ولكنها لا تستطيع الصياح . . .

لم يكن هناك غيرها فى المنزل . كانت وحيدة تماماً .

سمعت صوت خطوات . . خطوات متثاقلة هادئة تأتى من خلفها . . خطوات متعثرة على القرميد لفتاة إغريقية .

كانت هناك رائحة رطبة فى أنفها .

كان هناك شخص ما رطب ومبلل ويقطر ماء . .

على النافذة كان الزنبور يطن ويطن ثم شعرت باللسعة .

لقد لسعها الزنبور على جانب رقبتها .

٢

كان الجميع فى غرفة الضيوف ينتظرون إميلى برنت .

قالت فيرا كلايثورن :

" هل أذهب لإحضارها " .

قال بلور سريعًا :

" لحظة واحدة " .

جلست فيرا ثانية ونظر الجميع نظرة استفسار إلى بلور الذى قال :

" انظروا جميعًا ، إن رأيى هو أننا لا نحتاج إلى المزيد من البحث عن المسئول عن تلك الوفيات سوى فى غرفة الطعام فى اللحظة الحالية ، أكاد أجزم أن تلك المرأة هى التى نبحث عنها ! " .

قال أرمسترونج :

" وما الدافع ؟ " .

" الولع بالدين ، فماذا تقول أيها الطبيب ؟ " .

قال أرمسترونج :

" إنه ممكن تمامًا وليس لدىّ شىء ضده ولكن بالطبع فإننا لا نملك دليلا " .

قالت فيرا :

" لقد كانت غريبة جدًا فى المطبخ عندما كنا نعد الإفطار ، كانت عيناها . . " .

سرت الرعدة فى جسدها .

قال لومبارد :

" لا يمكنك أن تحكمى عليها كذلك ؛ إننا جميعا لسنا فى حالتنا الطبيعية الآن ! " .

قال بلور :

" هناك أمر آخر ، إنها الوحيدة التى لم تعط تفسيراً بعد تسجيل الفونوغراف . لِمَ ؟ لأنها ليس لديها ما تقوله " .

تململت فيرا فى مقعدها قليلاً وقالت :

" هذا ليس صحيحاً تمامًا ، فقد أخبرتنى بعدها " .

قال وارجريف :

" ماذا أخبرتك يا آنسة كلايثورن ؟ " .

كررت فيرا على مسامعهم قصة بياتريس تيلور .

قال السيد جاستيس وارجريف ملاحظاً :

" إنها قصة مستقيمة تمامًا . أنا شخصيًا لم أكن لأشعر بأى إحساس بالذنب ، وهل كانت تشعر بالذنب أو الندم على سلوكها فى ذلك الأمر ؟ " .

قالت فيرا :

" على الإطلاق ، بل إنها لم تتأثر قط " .

قال بلور :

" إن هؤلاء العوانس المستقيمات قلوبهن كالحجارة ! إنهن حاسدات فى الغالب ! " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" إن الساعة الآن الحادية عشرة إلا خمس دقائق وأعتقد أننا يجب أن نحضر الآنسة برنت كى تنضم إلى اجتماعنا " .

قال بلور :

" ألن تتخذوا أى إجراء ؟ " .

قال القاضى :

" أعجز عن معرفة أى إجراء يجب أن نتخذه ، إن أفكارنا فى اللحظة الحالية لا تزال مجرد شكوك ، ومع ذلك سوف أطلب من الدكتور أرمسترونج أن يراقب سلوك الآنسة برنت بكل الحرص . والآن دعونا نذهب إلى غرفة الطعام " .

عثروا على إميلى برنت جالسة على مقعدها الذى تركوها عليه ومن خلفها لم يروا أية فوضى فيما عدا أنها بدت وكأنها لم تسمع صوت دخولهم إلى الغرفة .

ثم رأوا وجهها . كان ملطخاً بالدماء . ذا شفتين زرقاوين وعينين محملقتين .

قال بلور :

" يا إلهى ، لقد ماتت ! " .

٣

قال الصوت الهادئ الصغير للسيد جاستيس وارجريف :

" واحد آخر منا تتم تبرئته بعد فوات الأوان ! " .

انحنى أرمسترونج فوق المرأة المتوفاة واشتم شفتيها وهز رأسها ثم نظر فى جفونها .

قال لومبارد بنفاد صبر :

" كيف ماتت أيها الطبيب ؟ لقد كانت على ما يرام عندما تركناها هنا ! " .

استرعى انتباه أرمسترونج علامة على الجانب الأيمن من رقبتها وقال :

" إن تلك علامة حقنة تحت الجلد " .

كان هناك صوت طنين قادم من النافذة فصاحت فيرا :

" انظروا . . إنها نحلة . . زنبور . هل تذكرون ما قلته لكم هذا الصباح ! " .

" لم تكن تلك النحلة هى من لسعها ! لقد كانت يد بشرية هى التى أمسكت بالحقنة " .

سأل القاضى :

" ما هو نوع السم الذى تم حقنها به ؟ " .

أجابه أرمسترونج قائلاً :

" بالتخمين إنه أحد مركبات السيانيد وهو على الأرجح سيانيد البوتاسيوم . الشىء نفسه مثل أنتونى

مارستون . لا بد أنها قد لقيت حتفها مباشرة بالإسفكسيا " .

صاحت فيرا :

" ولكن ذلك الزنبور ؟ لا يمكن أن يكون الأمر مصادفة ؟ " .

قال لومبارد بابتسامة :

" حقاً ، إنها ليست مصادفة ! إنه القاتل المحلى ! إنه وحش عابث يحب أن يتمسك بأنشودة الأطفال اللعينة قدر الإمكان ! " .

للمرة الأولى كان صوته غير عادى أشبه بصوت مبحوح ، بدا كما لو كانت أعصابه قد انهارت أخيرا بعد ما خاضه من حياة مهنية طويلة زاخرة بالمجازفات والالتزامات الخطرة .

قال بعنف :

" إنه أمر مجنون ! . . مجنون بالطبع . . كلنا مجانين ! " .

قال القاضى بهدوء :

" ما زال لدينا كما آمل قوانا العقلية ، هل أحضر أى منكم حقنة تحت الجلد إلى المنزل ؟ " .

قال دكتور أرمسترونج متمالكا نفسه وبصوت لم يكن مطمئناً بما يكفى :

" نعم أنا فعلت " .

تركزت أربعة أزواج من العيون عليه ، بينما أعد هو نفسه لنظرة الشك العدائية فى أعينهم وقال :

" إننى دائمًا أسافر بواحدة معى ، فكذلك يفعل أغلب الأطباء " .

قال السيد جاستيس وارجريف بهدوء :

" كذلك تمامًا ، هلا أخبرتنا أيها الطبيب أين هى تلك الحقنة الآن ؟ " .

" إنها فى الحقيبة فى غرفتى " .

قال وارجريف :

" ربما نود أن نتأكد من تلك الحقيقة " .

صعدوا جميعاً إلى أعلى فى مسيرة صامتة .

تم تفريغ محتويات الحقيبة على الأرض ولم تكن الحقنة موجودة .

٤

قال أرمسترونج بحدة :

" لابد أن أحداً أخذها ! "

ساد الصمت فى الغرفة .

وقف أرمسترونج وظهره موجه إلى النافذة وكانت أربعة أزواج من العيون تتركز عليه وقد ملأها الشك والاتهام .

قلب نظره من وارجريف إلى فيرا ثم كرر الأمر بضعف ويأس :

" أقول لكم إنه لا بد أن أحداً أخذها " .

كان بلور ينظر إلى لومبارد الذى بادله النظر وقال القاضى :

" هناك خمسة منا فى هذه الغرفة وأحدنا هو القاتل . إن الوضع محفوف بالخطر العظيم ويجب أن يتم اتخاذ كل احتياطات تأمين أربعة منا الذين هم من الجرم براء . سوف أسألك الآن يا دكتور أرمسترونج ، ما هى العقاقير التى بحوزتك ؟ "

" إن لدىّ حقيبة طبية صغيرة هنا ويمكنكم فحصها وسوف تجدون بعض الأقراص المنومة من أقراص الترايونال والسالفونال وعلبة من البروميد وبيكربونات الصوديوم ولا يوجد شىء آخر . ليس لدىّ أى سيانيد بحوزتى " .

قال القاضى :

" أنا نفسى لدى بعض أقراص السالفونال المنومة وأعتقد أن الباقين كذلك ، وأفترض أنها ستكون قاتلة إذا ما تم إعطاء جرعة كبيرة بما يكفى منها ، وأنت يا سيد لومبارد لديك مسدس بحوزتك " .

قال فيليب لومبارد بحدة :

" وماذا لو كان لدىّ ؟ " .

" ذلك فقط اقتراح بأن يتم تجميع ما بحوزة الطبيب من العقاقير وأقراص السالفونال الخاصة بى ومسدسك وأى

شىء آخر مثل العقاقير أو المسدسات معا ووضعها فى مكان آمن ، وبعد القيام بهذا يجب أن يخضع كل منا لتفتيش ـ ذاتى ولمتعلقاتنا " . قال لومبارد :

" لن أسلم مسدسى ! " .

قال وارجريف بحدة :

" سيد لومبارد ، إنك شخص قوى البنية وشاب قوى وكذلك المفتش السابق بلور لديه بنية قوية ولا أعلم ماذا ستكون نتيجة الشجار بينكما ولكن سأقول لكم هذا ، إذا وقفنا إلى جانب بلور نساعده بأقصى ما بوسعنا فسوف يفوز . لذا أقدر أن الاحتمالات ضدك إذا ما اخترت أن تقاوم ستكون كبيرة إلى حد ما " .

ألقى لومبارد برأسه إلى الخلف وكشر عن أنيابه مصدرا صوتاً غاضباً وقال :

" حسنا إذن ستخرجون ما عندكم " .

أومأ السيد جاستيس وارجريف برأسه قائلاً : " إنك شاب عاقل . أين هو مسدسك هذا ؟ " .

" فى درج المنضدة بجوار فراشى " .

" جيد "

" سوف أحضره " .

" أعتقد أنه سيكون من الأفضل لو ذهبنا معك " .

قال فيليب لومبارد بابتسامة كانت لا تزال أشبه بصوت غاضب :

" يا لك من شيطان متشكك ؟ " .

ذهبوا جميعًا عبر الممر إلى غرفة لومبارد وخطا فيليب بخطا واسعة باتجاه المنضدة المجاورة لفراشه وفتح الدرج ثم تراجع مذهولاً ، لقد كان درج المنضدة المجاورة لفراشه خاليًا .

٥

سأل لومبارد : " هل أنت راض الآن ؟ " .

كان قد تجرد من ثيابه وتم تفتيشه هو وغرفته تفتيشاً دقيقاً من قبل الرجال الثلاثة الآخرين بينما كانت فيرا كلايثورن بالخارج فى الممر . تمت متابعة البحث بشكل منهجى ، وفى المقابل خضع أرمسترونج والقاضى وبلور للتفتيش نفسه .

خرج الرجال الأربعة من غرفة بلور واقتربوا من غرفة فيرا وكان القاضى هو من تحدث :

" آمل أن تتفهمى يا آنسة كلايثورن أننا لا نستطيع أن نقوم بأى استثناءات . لابد من إيجاد هذا المسدس وأفترض أن لديك زى سباحة معك ، أليس كذلك ؟ " .

أومأت فيرا برأسها إيجابًا .

" سأطلب منك إذن أن تدخلى إلى غرفتك وترتديه ثم تخرجى إلينا هنا " .

دلفت فيرا إلى غرفتها وأغلقت الباب وعادت للظهور من جديد خلال أقل من دقيقة مرتدية زى سباحة حريريًا لاصقًا متجعدًا .

أومأ وارجريف برأسه فى قبول وقال :

" شكرا لك يا آنسة كلايثورن والآن إذا ظللت هنا فسوف ندخل لتفتيش غرفتك " .

انتظرت فيرا بصبر فى الممر حتى خرجوا ثم ذهبت إلى الداخل وارتدت ثيابها وخرجت إلى حيث كانوا ينتظرون .

قال القاضى :

" إننا الآن واثقون من أمر واحد ، أنه ليست هناك أسلحة قاتلة أو عقاقير فى حوزة أحدنا نحن الخمسة ، وتلك نقطة جيدة . سوف نضع العقاقير الآن فى مكان آمن ، أعتقد أن هناك صندوقاً فضياً فى مخزن الطعام ، أليس كذلك ؟ " .

قال بلور :

" هذا جيد جدًا ولكن من سيحصل على المفتاح ؟ أفترض أنه أنت " .

لم يصدر من السيد جاستيس وارجريف أى جواب .

ذهب إلى أسفل حيث مخزن الطعام وتبعه الآخرون وكان هناك صندوق صغير مصمم بغرض حفظ الفضيات والأطباق وبتوجيهات القاضى تم وضع العقاقير المختلفة فيه والإغلاق عليها . ثم بتوجيهات وارجريف أيضا تم

رفع الصندوق إلى خزانة الأطباق وإغلاقها هى الأخرى . ثم أعطى القاضى مفتاح الصندوق لفيليب لومبارد وأعطى مفتاح الخزانة إلى بلور ، وقال :

" إنكما أنتما الاثنان الأقوى بنية وسيكون من العسير على كل منكما أن يحصل على المفتاح من الآخر وسيكون مستحيلاً بالنسبة لأى منا نحن الثلاثة أن نفعل ذلك . ولكى يتم كسر الخزانة أو صندوق الأطباق ستحدث جلبة كبيرة كما أنه ثقيل ولا يمكن حمله دون لفت الأنظار إلى ما يحدث" .

توقف برهة ثم استأنف :

" إننا لا نزال نواجه مشكلة كبيرة جدًا وهى ماذا حل بمسدس السيد لومبارد ؟ " .

قال بلور :

" يبدو لى أن مالكه هو أفضل من يعرف ذلك " .

بدت على فيليب لومبارد ملامح الغضب وقال :

" أيها الأحمق الغبى الملعون ! أقول لك إن أحداً ما قد سرقه منى " .

سأل وارجريف :

" متى كانت آخر مرة رأيته فيها ؟ " .

" الليلة الماضية . لقد كان فى الدرج عندما خلدت إلى النوم وكان معدًا فى حال حدوث أى شىء " .

أومأ القاضى برأسه إيجابًا وقال :

" لابد أنه قد أخذ ذلك الصباح خلال جلبة البحث عن روجرز أو بعد اكتشاف جثته " .

قالت فيرا :

" لابد أنه مخبأ فى مكان ما فى المنزل . لابد أن نبحث عنه " .

طرق السيد جاستيس وارجريف ذقنه بإصبعه ثم قال :

" أشك فى أن بحثكم سيتمخض عن أية نتائج . إن قاتلنا لديه وفرة من الوقت كى يبتكر مخبأ ولا أتخيل أننا سنعثر على هذا المسدس بسهولة " .

قال بلور بقوة :

" لا أعرف أين هو المسدس ولكننى أراهن أننى أعلم أين يوجد شىء آخر . تلك الحقنة ، اتبعونى " .

فتح الباب الأمامى وقاد الطريق حول المنزل .

على بعد مسافة قليلة من شباك غرفة الطعام وجد الحقنة .

وإلى جانبها كان هناك تمثال فخارى محطم . تمثال خامس لصبى هندى .

قال بلور بصوت راض :

" هذا هو المكان الوحيد الذى يمكن أن توجد به ، فبعد أن قتلها فتح النافذة وألقى منها الحقنة والتقط التمثال الفخارى من فوق المنضدة وألقى به هو الآخر " .

لم تكن هناك بصمات على الحقنة فقد تم مسحها بعناية .

قالت فيرا بصوت حاسم :

" والآن دعونا نبحث عن المسدس " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" بكل السبل ولكن دعونا نحرص على التواجد مع بعضنا البعض أثناء ذلك ، وتذكروا أنه فى تفرقنا ستتاح الفرصة للقاتل " .

قاموا بتفتيش المنزل بدقة من العلية إلى القبو ولكن دون نتيجة كان المسدس لا يزال مفقودًا .

الفصل ١٣

١

واحد منا ... واحد منا ... واحد منا ...

ثلاث كلمات ظلت تتردد بشكل لا نهائى وتقحم أنفسها ساعة بعد ساعة فى عقول مستعدة لاستقبالها .

خمسة أشخاص . . خمسة أشخاص خائفين . . خمسة أشخاص يراقبون بعضهم البعض ولم يعد أحد منهم الآن يتجشم عناء محاولة إخفاء حالته من التوتر العصبى .

صار هناك القليل من الادعاء الآن . . ولم تعد هناك محادثة رسمية . بل صاروا خمسة أعداء تربطهم ببعضهم البعض غريزة الحفاظ على الحياة المتبادلة .

وبدا جميعهم فجأة أقل بشرية . . لقد كانوا يتحولون إلى حالة أكثر بهيمية . وكسلحفاة عجوز تعبة كان السيد جاستيس وارجريف يجلس أحدب الظهر بلا حراك وقد بدت عيناه حريصة ومتيقظة . وبدا المفتش السابق بلور أكثر غلظة وإهمالا فى مظهره . وصارت مشيته تشبه مشية حيوان بدين بطىء وبدت عيناه شديدتى الحمرة اختلطت

بها نظرة الشراسة والحماقة ، لقد كان كحيوان يتحفز للانقضاض على فريسته ، أما فيليب لومبارد ، فقد بدت حواسه كأنها قد ارتقت لا تقلصت ؛ فأضحت أذناه تسمع أضعف الأصوات وقدماه تخطو بخطى أخف وأسرع وجسده أكثر رشاقة وليونة وكان يبتسم من حين لآخر حيث تنكشف شفتاه المتعرجتان عن أسنان طويلة بيضاء .

أما فيرا كلايثورن ، فقد كانت شديدة الهدوء وكانت تجلس أغلب الوقت رابضة على المقعد تحملق بعينيها أمامها فى الفراغ . كانت تبدو مذهولة . . كانت كطير ارتطم رأسه بالزجاج ثم تناولته أيد بشرية ، فجلس رابضًا مذعورًا غير قادر على الحركة آملا فى إنقاذ نفسه بعدم حركته .

لكن أرمسترونج كان فى حالة يرثى لها من التوتر . فقد كان يتشنج ويداه تهتزان ويشعل السيجارة تلو الأخرى وينفثها كلها فى الحال . وكان موقفهم الإجبارى من عدم التصرف يشعره بمرارة التحمل أكثر من الآخرين وصار بين الحين والآخر ينفجر فى حديث متوتر .

" إننا .. إننا لا يجب أن نكتفى بمجرد الجلوس هكذا دون أن نفعل شيئًا ! لابد أن هناك شيئًا .. يقيناً .. يقيناً هناك شىء يمكننا فعله ؟ ربما لو أشعلنا نارًا للإشارة .. " .

قال بلور بتثاقل :

" فى ذلك الطقس ؟ " .

كانت الأمطار تنهمر انهمارًا وتهب الرياح باندفاعات هائلة وكاد صوت زخات المطر المنهمر المحبط يصيبهم بالجنون .

وبالموافقة الصامتة تبنوا خطة القيام بحملة ؛ جلسوا جميعًا فى غرفة الضيوف الكبيرة وكان أحدهم يغادر الغرفة فى كل مرة بينما يظل الأربعة الآخرين فى انتظار عودة خامسهم .

قال لومبارد :

" إنها فقط مسألة وقت . سوف يتحسن الجو ثم يمكننا أن نفعل شيئاً . نشعل نيرانًا للإشارة إلى مكاننا أو نصنع طوفًا أو أى شىء ! " .

قال أرمسترونج بنوبة مباغتة من الضحك :

" مسألة وقت . . وقت؟ إننا لا نستطيع أن نتحمل مرور الوقت ! سوف نموت جميعنا ... " .

قال السيد جاستيس وارجريف وقد بدا صوته الصغير الواضح زاخرا بالحسم :

" ليس إن كنا حذرين . يجب أن نظل حذرين جدًا " .

تم تناول وجبة منتصف اليوم فى وقتها ولكن لم تكن هناك تلك السمة الرسمية التقليدية المعتادة فيها ؛ فقد ذهب الخمسة إلى المطبخ ووجدوا فى المخزن كمية كبيرة من الطعام المعلب ففتحوا علبة من اللسان المعلب وعلبتين من الفاكهة وتناولوا طعامهم وهم واقفون حول مائدة المطبخ

ثم عادوا إلى غرفة الضيوف وهم مجتمعون إلى جانب بعضهم البعض ليجلسوا هناك يراقبون بعضهم البعض ...

والآن صارت الأفكار التى تجول فى رؤوسهم غير عادية .. محمومة .. مريضة ...

" إنه أرمسترونج ... لقد رأيته ينظر إلىّ بجانب عينيه ذلك الوقت وقد بدت عيناه تفيضان بالجنون ... مجنون تمامًا ... ربما لم يكن طبيبًا على الإطلاق ... نعم هذا هو الأمر بالطبع ! ... إنه مجنون هارب من مصحة طبيب ما ويدعى أنه طبيب ... ذلك صحيح ... هل أخبرهم بذلك ؟ ... هل أصرخ ؟ ... لا ، فلن يجدى نفعًا أن نضعه تحت الحراسة ... بالإضافة إلى أنه يمكن أن يبدو عاقلاً تماماً ... كم الساعة الآن ؟ ... الثالثة والربع فقط ... يا إلهى سوف أجن أنا نفسى ... نعم ، إنه أرمسترونج ... إنه يراقبنى الآن ...

" لن ينالوا مني ! يمكننى الاعتناء بنفسى ... فقد كنت فى أماكن صغيرة محكمة من قبل ... أين ذلك المسدس بحق السماء ؟ من سرقه ؟ ... من حصل عليه ؟ ... لم يحصل عليه أحد ونحن نعلم ذلك . لقد تم تفتيشنا جميعًا ... لا يمكن أن يكون بحيازة أحد ... . ولكن أحدًا يعلم أين هو ... "

" إنهم يفقدون عقولهم ... يفقدون عقولهم ... إنهم خائفون من الموت ... جميعهم خائفون من الموت ... أنا نفسى خائف من الموت ... نعم ولكن ذلك لن يمنع الموت

من المجىء ... إن عربة الموتى بالخارج يا سيدي ، أين قرأت ذلك؟ الفتاة ... سوف أراقب الفتاة ، نعم سأراقب الفتاة ...

" الرابعة إلا الثلث . فقط الرابعة إلا الثلث ... ربما توقفت الساعة عن العمل ... . أنا لا أفهم . لا ، لا أفهم .... إن ذلك الشىء لا يمكن حدوثه ... . لكنه يحدث .... لماذا لا نستيقظ ؟ استيقظوا من أجل يوم القيامة .. لا ليس هذا ! لو تمكنت من التفكير فقط ... . إن رأسى .. شىء ما يحدث فى رأسى . . سوف ينفجر . سوف ينشطر ... لا يمكن لهذا الشىء أن يحدث ... .

كم الساعة ؟ آه يا إلهي ! إنها فقط الرابعة والربع " .

" لابد أن أحتفظ بهدوئى ... لابد أن أحتفظ بهدوئى ... لو تمكنت فقط من الحفاظ على هدوئى ... إن الأمر كله واضح تمامًا ـ لقد نجح كل شىء ولكن لا يجب أن يشك أحد . ربما تجدى الحيلة ، لابد أن تجدى الحيلة ! أى واحد ؟ هذا هو السؤال .. أى واحد ؟ أعتقد . نعم . أعتقد فى الغالب .. نعم هو " .

عندما دقت الساعة الخامسة قفزوا جميعهم من مقاعدهم وقالت فيرا :

" هل يرغب أحدكم فى تناول الشاى ؟ " .

سادت لحظة صمت ثم قال بلور :

" أود أن أتناول فنجانًا " .

نهضت فيرا وقالت :

" سوف أذهب لأعده ويمكنكم جميعا المكوث هنا " .

قال السيد جاستيس وارجريف برفق :

" أعتقد يا آنستى العزيزة أننا جميعا نفضل أن نأتى ونشاهدك تعدينه " .

حدقت فيرا فى دهشة ثم أطلقت ضحكة هستيرية قصيرة وقالت :

" بالطبع يمكنكم ذلك ! " .

ذهب الخمسة إلى المطبخ وتم إعداد الشاى وتناوله كل من فيرا وبلور ، بينما تناول الثلاثة الآخرين شرابًا باردًا وقد فتحوا زجاجة جديدة باستخدام مثقاب تم نزعه من أحد الصناديق .

غمغم القاضى بابتسامة مقيتة قائلاً :

" يجب أن نكون حذرين جدًا ... " .

عادوا جميعًا إلى غرفة الضيوف ثانية وعلى الرغم من أن الوقت كان صيفاً إلا أن الغرفة كانت مظلمة ، أضاء لومبارد الأضواء ولكنها لم تضئ فقال :

" بالطبع ! لم يتم تشغيل المحرك اليوم حيث إن روجرز لم يعد موجودًا ليعتنى بذلك " .

تردد ، ثم قال :

" أفترض أننا يجب أن نذهب للخارج لتشغيله " .

قال السيد جاستيس وارجريف :

" هناك علب من الشمع فى المخزن ، لقد رأيتها ومن الأفضل استخدامها " .

ذهب لومبارد بينما جلس الأربعة الآخرون يراقبون بعضهم البعض .

عاد ومعه صندوق من الشمع وكومة من صحون الفناجين وتم إشعال خمس شمعات ووضعها فى الغرفة .

صار الوقت السادسة إلا الربع .

٢

فى السادسة والثلث شعرت فيرا بأنها لم تعد تحتمل الجلوس هناك أكثر من ذلك وأنها سوف تذهب إلى غرفتها لتغسل رأسها بمياه باردة .

نهضت وذهبت نحو الباب ثم تذكرت وعادت لتحصل على شمعة من الصندوق وأشعلتها ثم سكبت بعض الشمع فى الصحن وألصقت الشمعة به بثبات . ثم ذهبت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها تاركة الرجال الأربعة بالداخل .

صعدت السلم وسارت بمحاذاة الممر المؤدى إلى غرفتها .

ومالبثت أن فتحت الباب حتى توقفت بغتة وتجمدت فى مكانها .

ارتعد أنفها ..

البحر ... إنها رائحة البحر فى سان تريدنيك ...

كانـت تلـك هـى الرائحـة ، لا يمكنهـا أن تخطئهـا . بالطبع إن المرء يشم رائحة البحر وهو على متن الجزيرة على أية حال ولكن تلك الرائحة كانت مختلفة . لقد كانت تلك الرائحة الموجودة على الشاطئ فى ذلك اليوم عندما فاض المد وغطى الصخور بأعشاب البحر التى جفت فى الشمس .

" هـل يمكننـى أن أسبح حتـى الجزيـرة يـا آنسة كلايثورن ؟ " .

" لماذا لا يمكننى أن أسبح إلى الجزيرة ... ؟ " .

يا له من طفل صغير مدلل لحوح مثير للفزع ! لو لم يكن هو لكان هوجو قد صار ثريًا ... واستطاع أن يتزوج الفتاة التى يحب .

هوجو ...

بالتأكيد . . بالتأكيد . . هل كان هوجو إلى جانبها ؟ لا . لقد كان ينتظرها فى الغرفة ...

تقدمت خطوة إلى الأمام . اشتد التيار القادم من النافذة ووصل إلى الشعلة . فتراقصت ثم انطفأت .

فى الظلام شعرت فجأة بالخوف ...

حدثت فيرا كلايثورن نفسها قائلة :

" لا تكونى حمقاء . لا بأس إن الآخرين بأسفل . الرجال الأربعة جميعهم بأسفل وما من أحد فى الغرفة . لا يمكن ذلك ، إنك تتخيلين أشياء أيتها الفتاة .. " .

ولكن الرائحة .. رائحة الشاطئ فى سان تريدنيك تلك ... لم تكن متخيلة ... لقد كانت حقيقية ...

وقد كان هناك شخص فى الغرفة ... لقد سمعت شيئاً . . بالتأكيد سمعت شيئاً ...

ثم ، وبينما كانت تقف هناك تنصت . . لمست حلقها يد باردة رطبة . . يد مبللة تفوح منها رائحة البحر ... .

٣

صرخت فيرا وصرخت ... صرخات رعب هائل . . صرخات مجنونة بائسة طلباً للمساعدة .

ولكنها لم تسمع أصواتًا قادمة من أسفل . لم تسمع صوت مقعد يقلب أو باب يفتح أو صوت أقدام رجال تصعد السلم ، لقد كانت مدركة فقط لرعبها الهائل .

ثم بعد أن استعادت رشدها تراقصت الأضواء فى الممر .. أضواء الشموع .. وهرع الرجال إلى داخل الغرفة .

" ماذا كان هذا ؟ " .

" ماذا حدث ؟ " .

" يا إلهى ، ماذا حدث ؟ " .

ارتعدت وتقدمت خطوة ثم انهارت على الأرض .

كانت نصف مدركة فقط لشخص ينحنى فوقها وشخص ما يدفع برأسها ما بين ركبتيها .

ثم وبتعبير تعجب مفاجئ سريع :

" يا إلهى ، انظروا لهذا ! " .

عاد إليها صوابها . فتحت عينيها ورفعت رأسها ورأته .. رأت الرجال يحملون الشموع وينظرون إليه .

كان هناك وشاح عريض من أعشاب البحر المبللة يتدلى من السقف . وكان هذا ما تلامس مع حلقها فى الظلام وكان هذا ما ظنته يدًا مبللة .. يد غريق أتت من الموت لتعتصر الحياة منها !

بدأت تضحك بشكل هيستيرى وقالت :

" لقد كان عشبًا بحريًا .. فقط عشبًا بحريًا .. وهذه رائحته التى شممتها " ... ثم أغشى عليها ثانية ... نوبات ونوبات من فقدان الوعى ومن جديد راحت يد تأخذ برأسها وتدفع بها بين ركبتيها .

بدا وكأن دهرًا من الزمن قد مر وكانوا يعرضون عليها شيئا لتشربه .

كانت على وشك أن تشرب المشروب عندما لاحت فى رأسها فجأة فكرة وكأنها جرس إنذار يدق فى رأسها . جلست ثم دفعت الكأس بعيدًا وقالت بحدة :

" من أين أتى هذا ؟ " .

أجابها صوت بلور الذى حدق للحظة مندهشاً قبل أن يتحدث قائلاً :

" حصلت عليه من أسفل " .

صاحت فيرا :

" لن أشربه " .

كانت هناك لحظة صمت ، ثم ضحك لومبارد وقال مقدرًا موقفها :

" ذلك أفضل لك يا فيرا ! فلديك عقلك . حتى ولو كنت فزعة لدرجة الموت . سوف أحضر لك زجاجة جديدة لم يتم فتحها بعد " .

ثم ذهب مسرعًا إلى الخارج .

قالت فيرا فى غير يقين :

" أنا على ما يرام الآن . سوف أتناول بعض الماء فقط" .

ساعدها أرمسترونج على النهوض بينما كانت تكافح للوقوف على قدميها . ثم ذهبت إلى الحوض وهى تترنح ممسكة بها ومستندة إليه وفتحت الماء البارد وملأت الكوب . قال بلور بامتعاض :

" إن هذا المشروب ليس به شىء " .

قال أرمسترونج :

" وكيف لك أن تعلم ؟ " .

قال بلور غاضبًا :

" أنا لم أضع أى شىء به إذا كان هذا ما ترمى إليه " .

قال أرمسترونج :

" أنا لم أقل إنك أنت الفاعل ، ربما تكون قد فعلت ذلك وربما عبث غيرك بالزجاجة " .

أتى لومبارد مسرعًا إلى الغرفة .

كانت معه زجاجة جديدة من الشراب فى يديه ومثقاب ، وفتح غطاء الزجاجة على مرأى ومسمع من فيرا قائلاً :

" ها هى يا فتاتى ، لا خداع على الإطلاق " .

ثم أزال الغطاء المعدنى وسحب السدادة مستأنفاً :

" من حسن الحظ أن هناك كمية جيدة من المشروبات فى المنزل ، يا له من رجل كريم ذلك السيد يو إن أوين " .

ارتجفت فيرا بشدة .

أمسك أرمسترونج الكأس بينما سكب فيليب الشراب به وقال :

" من الأفضل لك أن تشربى هذا يا آنسة كلايثورن فقد تعرضت لصدمة كبيرة " .

شربت فيرا قليلاً من المشروب وعاد إلى وجهها لونه الطبيعى ، فقال فيليب لومبارد ضاحكاً :

" حسنا ها هى جريمة قتل لا تتماشى مع الخطة ! " .

قالت فيرا هامسة :

" هل تعتقد أن ذلك الحدث قصد منه ذلك بالفعل ؟ " .

أومأ لومبارد برأسه إيجابًا :

" لقد توقعت منك أن تلقى حتفك من فرط الرعب ! فكثير من الناس يفعلون ، أليس كذلك أيها الطبيب ؟ " .

لم يورط أرمسترونج نفسه ، بل قال متشككاً :

" إمم ، ليس من الممكن أن نقول بذلك . فأمامنا شابة تتمتع بالصحة وليس لديها ضعف فى القلب . فهذا أمر غير مرجح ومن ناحية أخرى ... " .

تناول كأس الشراب الذى أحضره بلور ووضع إصبعه به وتذوقه بحرص ولم يتغير تعبير وجهه بل قال مرتاباً :

" إمم . يبدو على ما يرام " .

تقدم منه بلور خطوة فى غضب وهو يقول :

" إن كنت تقول إننى عبثت بهذا فسوف أضربك فى رأسك الوقح " .

استعادت فيرا رشدها بعد أن تناولت الشراب وحولت مجرى الحديث بقولها :

" أين القاضى ؟ " .

نظر الرجال الثلاثة إلى بعضهم البعض .

" هذا غريب ... ظننت أنه صعد معنا " .

قال بلور :

" وكذلك أنا ... . ما الأمر أيها الطبيب ؟ لقد صعدت الدرج خلفى " .

قال أرمسترونج :

" لقد ظننت أنه كان يتبعنى ... بالطبع فسوف يكون ملزماً بالصعود أبطأ منا ، فهو رجل عجوز " .

نظروا إلى بعضهم البعض ثانية وقال لومبارد :

" ذلك غريب جدًا " .

صاح بلور :

" يجب أن نبحث عنه " .

توجه نحو الباب وتبعه الثلاثة الآخرون وتلتهم فيرا . وبينما كانوا ينزلون الدرج نظر أرمسترونج إلى الخلف وقال :

" بالطبع ربما يكون قد مكث فى غرفة المعيشة " .

عبروا الردهة وصاح أرمسترونج بأعلى صوته :

" وارجريف . وارجريف أين أنت ؟ " .

لم تكن هناك إجابة . بل ملأ الصمت المميت أرجاء المنزل بغض النظر عن صوت زخات المطر الرقيقة .

ثم وفى مدخل باب غرفة الضيوف تجمد أرمسترونج فى مكانه وتجمع الآخرون ينظرون من خلفه وصرخ أحدهم .

كان السيد جاستيس وارجريف يجلس فى مقعده ذى الظهر المرتفع فى نهاية الغرفة وقد احترقت شمعتان على كلا جانبيه ولكن ما صدم وأدهش الناظرين هو أنه كان يجلس مربوطاً بحبال قرمزية وقد وضعت قبعة القاضى على رأسه ...

أشار دكتور أرمسترونج للآخرين بالتراجع وسار هو نفسه نحو ذلك الشخص الصامت المحدق بخطى وئيدة مترنحة كشخص ثمل . انحنى عليه ناظراً فى الوجه

الصامت ثم وبحركة سريعة رفع القبعة فسقطت على الأرض لتكشف عن جبهة عريضة خالية من الشعر ظهرت فى منتصفها علامة دائرية كانت تقطر شيئاً ما ... رفع دكتور أرمسترونج يده وجس النبض ثم التفت إلى الآخرين وقال بصوت بعيد خال من التعبير :

" لقد تم إطلاق الرصاص عليه " .

قال بلور :

" يا إلهى ، المسدس ! " .

كان صوت الطبيب لا يزال يخلو من أى تعبير عندما قال :

" لقد أصابته فى الرأس مباشرة " .

انحنت فيرا لتلتقط القبعة وقالت وصوتها يرتعد من الخوف :

" إنها البكرة الرمادية المفقودة الخاصة بالآنسة برنت " .

قال بلور :

" والستارة القرمزية التى فقدت من الحمام ... " .

همست فيرا قائلة :

" لهذا الغرض احتاجوها إذن" .

ضحك فيليب لومبارد بغتة ضحكة عالية غير طبيعية وقال :

" كان خمسة صبية هنود يمارسون القانون . قبض على أحدهم فى المحكمة ثم بقى أربعة . هذه هى نهاية السيد

جاستيس وارجريف الدموى إذن . لن يعود قادرًا على النطق بالحكم على أحد! لن يعود قادرًا على ارتداء القبعة السوداء ! تلك هى المرة الأخيرة التى يجلس فيها فى محكمة ! لن يعود هناك المزيد من الاجتماعات وإرسال الرجال الأبرياء إلى حتفهم! كم كان إدوارد سيتون سيضحك لو كان هنا! يا إلهى كم كان سيضحك ! ".

أذهلت نوبته الهستيرية من الضحك هذه الجميع وصدمتهم .

وصاحت فيرا :

" هذا الصباح فقط كنت تقول إنه الفاعل ! " .

تغير وجه فيليب لومبارد واكتست ملامحه بالجدية وقال بصوت خفيض :

" أعلم أننى فعلت ... حسناً . لقد كنت مخطئاً وها هو أحدنا من جديد تثبت براءته بعد فوات الأوان ! " .

الفصل ١٤

١

حملوا السيد جاستيس وارجريف إلى غرفته وأرقدوه على فراشه ثم نزلوا ثانية ووقفوا فى الردهة ينظرون إلى أحدهم الآخر . قال بلور بتثاقل :

" ماذا يجب أن نفعل الآن ؟ ".

قال لومبارد سريعاً :

" نتناول شيئاً فيجب أن نأكل أليس كذلك" .

ومن جديد ذهبوا إلى المطبخ وفتحوا علبة من اللسان المعلب وتناولوا طعامهم بشكل تلقائى دون حتى أن يتذوقوه .

قالت فيرا :

" لن آكل هذا الطعام مرة أخرى أبدًا " .

أنهوا وجبتهم وجلسوا حول مائدة المطبخ يحدقون إلى بعضهم البعض .

قال بلور :

" والآن صرنا أربعة . . . من سيكون التالى ؟".

حدق أرمسترونج فى دهشة وقال بشكل تلقائى :

" يجب أن نكون حذرين للغاية . . . " .

ثم توقف .

أومأ بلور بالإيجاب وقال :

" هذا ما قاله . . . والآن هو ميت ! " .

قال أرمسترونج :

" أتساءل كيف حدث هذا ؟ " .

أقسم لومبارد قائلاً :

" إنها خدعة بالغة المهارة ! إن ذلك الشئ الذى كان موضوعا فى غرفة الآنسة كلايثورن واستخدم فى الوقت الذى قصد فيه استخدامه . لقد هرع الجميع إلى هناك معتقدين أنها قتلت وبالتالى ، وخلال ذلك الارتباك ، انفرد أحدهم بالعجوز " .

قال بلور :

" لماذا لم يسمع أحدنا صوت إطلاق رصاص ؟ " .

هز لومبارد رأسه وقال :

" كانت الآنسة كلايثورن تصرخ وكانت الرياح تهدر وكنا نهرع ونصيح . لا . لم يكن صوت إطلاق الرصاص مسموعًا " .

توقف برهة ثم استأنف :

" لكن الخدعة لن تنطلى علينا مرة ثانية فسوف يجرب شيئا آخر فى المرة القادمة " .

قال بلور :

" سيفعل ذلك على الأرجح " .

كان هناك نبرة غير مبهجة فى صوته ونظر الرجلان إلى أحدهما الآخر وقال أرمسترونج :

" لقد صرنا أربعة الآن ولكننا لا نعرف من الفاعل" .

قال بلور :

" أعلم ... " .

وقالت فيرا :

" ليس لدىّ أدنى شك " .

وقال أرمسترونج ببطء :

" أفترض أننى أعرف حقاً " .

وقال فيليب لومبارد :

" أعتقد أن لدىّ فكرة جيدة الآن ... " .

ومن جديد شرعوا ينظرون إلى بعضهم البعض ...

نهضت فيرا مترنحة ثم قالت :

" أشعر بأننى لست على ما يرام سأخلد للنوم ... إننى مرهقة بشدة " .

قال لومبارد :

" ربما أذهب للنوم أنا الآخر فلا جدوى من بقائنا لشاهدة أحدنا الآخر " .

وقال بلور :

" لا أمانع فى ذلك ..." .

غمغم الطبيب قائلاً :

" إن ذلك أفضل ما نفعله على الرغم من أننى أشك أن أيًا منا سوف يستطيع النوم " . تحركوا جميعًا نحو الباب وقال بلور :

" *أتساءل ، أين المسدس الآن ؟* " .

٢

صعدوا جميعهم الدرج وكانت الحركة التالية وكأنها مشهد من مسرحية هزلية . فقد وقف أربعتهم وقد وضع كل منهم يده على مقبض باب غرفة نومه ثم ، وكأنهم كانوا فى انتظار إشارة ما ، تقدم كل منهم إلى داخل غرفته وأغلق الباب وسمعت أصوات إغلاق المتاريس وتحريك الأثاث .

لقد تم حبس الأربعة المذعورين بالداخل حتى الصباح .

٣

تنفس فيليب لومبارد الصعداء بعد أن انتهى من وضع المقعد أسفل مقبض الباب .

مشى بتثاقل نحو طاولة الزينة .

وعلى ضوء الشمعة المتراقص تمعن بفضول فى وجهه ثم قال لنفسه برفق :

" نعم لقد أزعجك هذا الأمر بما فيه الكفاية " .

تلاشت ابتسامة الذئب الفجائية من فوق شفتيه ثم سرعان ما خلع ملابسه وذهب إلى الفراش واضعا ساعته على المنضدة المجاورة للفراش .

ثم فتح درج المنضدة ووقف هناك محدقاً بالأسفل فى المسدس الذى كان موجودًا بالداخل .

إنه . . . .

٤

رقدت فيرا كلايثورن فى فراشها وكانت الشمعة لا تزال مشتعلة بجانبها ولكنها لم تستطع استجماع شجاعتها لتطفئها .

لقد كانت خائفة من الظلام ...

قالت لنفسها مرارًا وتكرارًا :

" ستكونين بخير حتى الصباح . فلم يحدث شىء الليلة الماضية وكذلك لن يحدث شىء الليلة . لا يمكن أن يحدث شىء فأنت فى غرفتك والباب والمتراس مغلقان لا يمكن أن يقترب منك أحد ...

وفكرت بغتة :

" بالطبع ! يمكننى أن أبقى هنا ! أبقى هنا مغلقا علي ! لا يهم الطعام حقاً ! يمكننى أن أمكث هنا بأمان

حتى تأتى النجدة ! حتى ولو امتد الأمر ليوم أو اثنين ... " .

تمكث هنا . نعم . ولكن هل بمقدورها المكوث هنا ؟ تمر عليها الساعة تلو الأخرى دون أن تتحدث إلى أحد .. دون أن تفعل شيئًا سوى التفكير ...

بدأت تفكر فى كورنوال . . فى هوجو . فى . . فيما قالته لسيريل .

ذلك الصبى الصغير المزعج المفزع ، الذى دائمًا ما كان يضايقها .

" آنسة كلايثورن ، لماذا لا يمكننى السباحة حتى الصخرة ؟ يمكننى ذلك . أعرف أنه بإمكانى " .

هل كان صوتها هو من أجابه ؟

" بالطبع يمكنك يا سيريل حقاً ، أعرف ذلك " .

" هل يمكننى الذهاب إذن يا آنسة كلايثورن ؟ " ،

" حسنا ، اسمع يا سيريل . إن والدتك تتوتر كثيرا بشأنك . سوف أخبرك ماذا تفعل . غدا يمكنك أن تسبح حتى الصخرة وسوف أتحدث إلى والدتك على الشاطئ وأشتت انتباهها ثم عندما تنظر إليك ستكون هناك واقفا على الصخرة تلوح لها ! سيكون الأمر مفاجأة لها ! " .

قالتها الآن . غدا ! كان هوجو ذاهبا إلى نيوكواى وعندما يعود سيكون كل شىء قد انتهى .

نعم . ولكن نفترض أنه لم ينته ؟ نفترض أن الأمر لم يسر على ما يرام ؟ ربما يتم إنقاذ سيريل وقتها ثم . ثم سيقول :

" قالت الآنسة كلايثورن إنه بإمكانى ذلك " .

حسنًا . وماذا لو حدث هذا ؟ لابد أن يتحمل المرء بعض المجازفة ! لو حدث هذا سوف تواجهه بجرأة :

" كيف يمكنك أن تكذب تلك الكذبة الخبيثة يا سيريل ؟ " بالطبع لم أقل لك شيئاً من هذا القبيل ! " .

سوف يصدقونها فعلاً ، فغالباً ما كان سيريل يحكى قصصًا . لقد كان طفلاً كاذباً . ولكن سيريل سيعرف بالتأكيد ولكن ذلك لا يهم ... وعلى كل حال سوف يسير كل شىء على ما يرام . وسوف تتظاهر بالسباحة خلفه ولكنها ستصل بعد فوات الأوان ... لن يشك أحد أبدًا ...

هل شك هوجو ؟ هل كان هذا هو السبب فى نظرته إليها بتلك الطريقة الغريبة البعيدة . . . هل عرف هوجو ؟

هل كان هذا هو السبب فى رحيله بعيدًا بسرعة بعد الاستجواب ؟

إنه لم يجب على ذلك الخطاب الذى كتبته له . . . هوجو . . .

تقلبت فيرا فى فراشها مؤرقة . لا . لا . لا يجب أن تفكر فى هوجو . إن ذلك يؤلمها كثيرًا ! لقد انتهى كل هذا ، انتهى ، وانتهت منه .

يجب أن تنساه . . .

لماذا شعرت فجأة ذلك المساء بأن هوجو كان بالغرفة معها ؟ حدقت إلى السقف وحدقت إلى الخطاف الأسود الموضوع فى منتصف الغرفة .

لم تلحظ قط ذلك الخطاف من قبل.

لقد كان عشب البحر يتدلى من ذلك الخطاف ...

ارتعدت عندما تذكرت تلك اللمسة الباردة الرطبة على رقبتها ...

هوجو ...

لم يرق لها ذلك الخطاف فى السقف .. إنه يجذب عينيها .. يسحرها ... خطاف أسود كبير .

٥

جلس المفتش السابق بلور على حافة فراشه وقد بدت عيناه الصغيرتان الحمراوان المتعبتان فى حالة يقظة فى وجهه وكان كخنزير برى مستعد للانقضاض .

لم يشعر بأية رغبة فى النوم .

لقد كان التهديد قريبًا جدًا الآن . . . فقد مات ستة من عشرة !

ومع كل حكمة وحرص ودهاء القاضى العجوز ، فقد راح ضحية كالآخرين .

أصدر بلور صوتًا ساخرًا بنوع من الرضا الهمجى قائلاً :

" ما هذا الذى قاله العجوز ؟ " .

" يجب أن نظل حذرين للغاية ... " .

يا له من عجوز متكبر منافق يجلس فى قاعة المحكمة ويشعر أنه إله . لقد حصل على ما يستحقه ... لم يعد يهتم به .

والآن قد تبقى أربعة منهم ؛ الفتاة ولومبارد وأرمسترونج وهو نفسه .

قريب جدًا سيرحل أحدهم ... ولكنه لن يكون ويليام هنرى بلور . سوف يحرص على ذلك تمامًا .

(ولكن المسدس ... ماذا عن المسدس ؟ لقد كان ذلك عاملاً مزعجًا .. المسدس !)

جلس بلور على فراشه وقد صار حاجباه أشعثين وأضحت عيناه تتجعدان وتضيقان بينما كان يتأمل مشكلة المسدس ...

فى وسط الصمت كان بإمكانه سماع دقات الساعة بأسفل . إنه منتصف الليل .

استرخى قليلا الآن . بل وتمادى فى استرخائه لدرجة الرقود على الفراش ولكنه لم يخلع ملابسه . .

بل رقد هناك يفكر ويقلب الأمر برمته فى رأسه من البداية بشكل منهجى وبالتفصيل كما لو كان سيفعل وهو

فى منصبه كشرطى وكانت الدقة هى ما تحقق الجدوى فى النهاية .

كانت الشمعة تحترق وبينما كان يبحث ليرى إذا ما كانت أعواد الثقاب قريبة بما يكفى ليسهل الحصول عليها انطفأت الشمعة .

ومن الغريب أنه وجد الظلام مزعجًا . لقد كان الأمر كما لو استيقظت مخاوف آلاف الأعوام وكافحت من أجل السيطرة على رأسه . طافت الوجوه فى الهواء .. وجه القاضى وهو يعلق على تلك البكرة الرمادية كنوع من السخرية منه .. وجه السيدة روجرز المتوفى البارد .. وجه أنتونى مارستون الأزرق المتشنج .

كان هناك وجه آخر شاحب يرتدى نظارة وبه شارب صغير أشقر ...

وجه رآه فى وقت من الأوقات ولكن أين ؟ ليس على متن هذه الجزيرة لا بل أبعد من ذلك كثيرا ... فى الزمن .

من الغريب أنه لم يجد اسماً له . حقاً لقد بدا ذلك الشخص مألوفاً . نعم بالطبع !

كان تذكره للاسم بمثابة صدمة حقيقية .

لاندور !

نوع سخيف من الوجوه .

من الغريب أن يفكر أنه قد نسى شكل وجه لاندور تمامًا . لقد كان يحاول تذكر وجهه أمس فقط ولم

يستطع . وها هو الآن وقد وضح كل ملمح فيه كما لو كان قد رآه أمس فقط . . .

كان لدى لاندور زوجة . امرأة نحيلة ذات وجه قلق وكان هناك طفل أيضا ـ فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها ولأول مرة يتساءل ماذا حل بهما .

(المسدس . ماذا حل بالمسدس ؟ كان هذا أكثر أهمية . . .)

كلما فكر أكثر فى المسدس زادت حيرته . لم يكن يفهم أمر هذا المسدس . . .

لابد أن أحدا فى المنزل لديه المسدس . . .

بالأسفل دقت الساعة الواحدة .

اختزلت أفكار بلور وجلس على الفراش منتبهًا فجأة . فقد سمع صوتاً ضعيفاً بمكان ما خارج باب غرفته .

كان هناك شخص ما يتحرك فى الظلام .

كان هناك شخص ما يتحرك فى المنزل المظلم .

تصببت جبهته بالعرق ، من كان هذا الشخص الذى يتحرك خلسة فى الظلام بين الممرات ؟ هل هو شخص مستيقظ حتى الآن دون فائدة ؟ يراهن على ذلك !

ودون صوت وعلى الرغم من جسده الثقيل نزل من فوق الفراش وبخطوتين واسعتين صار بجوار الباب ينصت .

لكن الصوت لم يعد ثانية ومع ذلك كان بلور مقتنعاً أنه لم يكن مخطئاً ، لقد سمع صوتًا ضعيفًا خارج بابه تمامًا ، اقشعر جسده وراوده الخوف من جديد . . .

كان هناك شخص ما يسير خلسة فى الليل .

أنصت ولكن الصوت لم يتكرر .

والآن هاجمه إغراء . . لقد أراد بشدة أن يخرج ويتحرى عن ذلك . لو استطاع فقط أن يرى من كان يتجول فى الظلام ولكن فتحه للباب سيكون من قبيل الأفعال الحمقاء . بل ومن المرجح جدًا أن يكون هذا هو ما ينتظره الآخر تمامًا ، ربما يكون الآخر قد قصد أن يسمع بلور ما سمعه معتمدًا على خروجه للتحرى عنه .

وقف بلور متجمدًا فى مكانه منصتاً . كان يسمع أصواتاً فى كل مكان الآن . أصوات طقطقة وقرقعة وهمس غامض . لكن عقله الواقعى أدرك أن ذلك كله من نسج خياله المحموم .

ثم فجأة سمع صوت شىء لم يكن من نسج خياله . سمع صوت دبيب خطى وئيدة بالغة الحرص ولكنه كان مسموعًا لدى شخص ينصت بآذان صاغية مثلما كان بلور . جاءت هذه الأقدام برفق بمحاذاة الممر (كانت غرفتا كل من لومبارد وأرمسترونج أبعد عن الدرج من غرفته) . مرت الأقدام بجانب بابه دون تردد .

وخلال ذلك الوقت حسم بلور أمره .

لقد قصد أن يعرف من كان هذا ! لقد مرت القدمان قطعًا بجانب بابه فى طريق صاحبهما إلى الدرج . إلى أين كان الرجل ذاهبًا ؟

عندما تصرف بلور كان تصرفه سريعًا وبشكل مدهش بالنسبة لرجل يبدو ثقيلاً وبطيئاً مثله . خطا على أطراف أقدامه عائدًا إلى فراشه مرة أخرى ووضع الثقاب فى جيبه ثم فصل قابس المصباح الكهربى المجاور لفراشه ذى القاعدة المصنوعة من خام الإبونيت الثقيلة . والتى تصلح كسلاح ثم أسرع عبر الغرفة دون ضجيج ونقل المقعد من أسفل مقبض الباب وبحرص شديد فتح الباب والمتراس وخطا إلى خارج الممر . كان هناك صوت ضعيف فى الردهة بأسفل . جرى بلور دون ضجيج إلى أعلى الدرج .

وفى تلك اللحظة أدرك لماذا سمع كل تلك الأصوات بكل وضوح ؛ فقد كانت الرياح قد هدأت تمامًا ولابد أن تكون السماء قد صفت . كان ضوء القمر ينفذ إلى داخل النافذة المطلة على الدرج وقد أضاء الردهة بأسفل ولمح بلور فى الحال بشكل سريع ذلك الشخص الذى كان يمر لتوه خلال الباب الأمامى .

وخلال عدوه هابطاً الدرج ليتبعه توقف .

مرة أخرى كان يتصرف بحماقة ! لقد كانت تلك مصيدة ربما لإغرائه بالخروج من المنزل !

ولكن ما لم يكن الرجل الآخر يدركه هو أنه قد أخطأ وأرسل نفسه بكل لطف إلى يدى بلور .

لأنه من بين الغرف الثلاث المسكونة الموجودة بأعلى يجب أن تكون إحداها خالية الآن وكان كل ما عليه فعله الآن هو التأكد من أيها هى الخالية !

عاد بلور سريعًا إلى الممر .

توقف أولا عند باب غرفة أرمسترونج وطرق عليها ولم تكن هناك إجابة .

انتظر دقيقة ثم ذهب إلى غرفة فيليب لومبارد وهنا أتته الإجابة على الفور .

" من هناك ؟ " .

" إنه أنا بلور . لا أعتقد أن أرمسترونج فى غرفته . انتظر دقيقة " .

ثم ذهب إلى الباب الموجود فى نهاية الممر وطرق ثانية :

" آنسة كلايثورن ، آنسة كلايثورن " .

أجابه صوت فيرا فى ذهول .

" من الطارق ؟ ما الأمر ؟ " .

" لا بأس يا آنسة كلايثورن ، انتظرى دقيقة . سوف أعود " .

عاد مسرعًا إلى غرفة لومبارد وانفتح الباب عند عودته وكان لومبارد واقفاً هناك حاملاً شمعة فى يده اليسرى وقد ارتدى سرواله فوق بيجامته . بينما استقرت يده اليمنى على جيب سترة بيجامته وقال بحدة :

" ما الخطب من هذا كله بحق السماء ؟ " .

فسر بلور الأمر سريعًا وبرقت عينا لومبارد .

" أرمسترونج ، أليس كذلك ؟ هو من نبحث عنه إذن ! " .

انتقل إلى باب غرفة أرمسترونج قائلاً :

" آسف يا بلور ولكننى لا أثق فى أى شىء " .

أمسك بالمقبض بحدة وهو يقول :

" أرمسترونج . . أرمسترونج " .

لم تكن هناك إجابة .

هبط لومبارد على ركبتيه ونظر من ثقب الباب وأدخل إصبعه الصغير بحرص داخل القفل وقال :

" إن المفتاح ليس فى الباب من الداخل" .

قال بلور :

" هذا يعنى أنه أغلقه من الخارج وأخذ المفتاح معه" .

أومأ فيليب برأسه إيجابًا وقال :

" إنه إجراء احتياطى معتاد . سوف نقبض عليه . . . سنقبض عليه هذه المرة ! خلال نصف ثانية " .

هرع إلى غرفة فيرا قائلاً :

" فيرا " .

"نعم " .

" سوف نطارد أرمسترونج . إنه خارج غرفته الآن . أيًا كان ما تفعلينه لا تفتحى الباب . مفهوم ؟ " .

" نعم ، مفهوم" .

" إن أتى لك أرمسترونج وقال إننى قد قتلت أو أن بلور قد قُتل لا تستمعى له . أتفهمين ؟ افتحى الباب فقط ، إن تحدثت لك أنا أو بلور ، فهمت ؟ " .

قالت فيرا :

" نعم أنا لست حمقاء" .

قال لومبارد :

" جيد" .

انضم إلى بلور وقال :

" والآن دعونا نطارده ! فقد حان وقت المطاردة ! " .

قال بلور :

" من الأفضل أن نكون حريصين . فلديه مسدس أتذكر" .

ضحك فيليب لومبارد وهو يهبط الدرج سريعًا وقال :

" أنت مخطئ فى هذا " .

وفتح الباب الأمامى ملاحظاً :

" لقد أعاد المزلاج إلى مكانه حتى يستطيع الدخول ثانية بسهولة " .

ثم أردف :

" إن المسدس بحوزتى ! " .

ثم أظهر منتصفه خارج جيبه بينما كان يتحدث مستأنفاً :

" لقد وجدته فى مكانه فى الدرج الليلة" .

تجمد بلور فى مكانه على درجة السلم وتغير وجهه ورآه فيليب لومبارد فقال بنفاد صبر :

" لا تكن أحمق يا بلور ! لن أطلق الرصاص عليك ! عد إلى غرفتك واحبس نفسك إن شئت ! سوف أخرج خلف أرمسترونج" .

خرج فى ضوء القمر وتبعه بلور بعد دقيقة من التردد وفكر :

" أفترض أننى من يسعى لذلك ولكن على أية حال .. " .

على أية حال ، لقد تولى أمر مجرمين مسلحين بمسدسات قبل الآن .

أيا كان ما يفتقده بلور لم تكن تعوزه الشجاعة . فقط عندما يشعر بالخطر فإنه يتولى أمره بجرأة . لم يكن يخشى الخطر فى الخلاء ، بل كان يخشى الخطر غير المحدد ذا اللمحة الخارقة للطبيعة .

٦

ظلت فيرا فى انتظار النتائج فنهضت وارتدت ملابسها وألقت نظرة مرة واثنتين على الباب . كان باباً متيناً ومغلقاً بالقفل والمتراس وقد وضع مقعد من خشب قوى أسفل مقبضه .

لا يمكن كسره بالقوة ولن يستطيع دكتور أرمسترونج فعل ذلك بالتأكيد فلم يكن رجلاً قوى البنية .

لو كانت هى أرمسترونج الذى يعتزم القتل فسوف توظف الدهاء لا القوة .

أخذت تفكر فى الوسيلة التى قد يستخدمها .

ربما يقوم كما اقترح فيليب بالإعلان أن أحد الرجلين الآخرين قد قتل أو ربما يدعى إصابته بجرح قاتل ويجذب نفسه على الأرض متألماً بجوار بابها .

كان هناك احتمالان ؛ ربما يعلمها بأن المنزل يحترق . أو الأكثر من ذلك أن يقوم هو نفسه بحرق المنزل . . نعم ربما يكون ذلك احتمالاً . يغرى الرجلين الآخرين بالبقاء خارج المنزل ثم بعد أن يكون قد وضع مسبقا بعض البنزين فى المنزل ربما يشعل النار فيه وسوف تظل هى كالغبية محتجزة فى غرفتها حتى فوات الأوان .

عبرت باتجاه النافذة وفكرت أنها ليست سيئة فيمكن الهروب بتلك الطريقة . سيعنى هذا سقطة ولكن كان هناك حوض زهور أسفلها يمكن أن يخفف من أثرها .

جلست والتقطت مفكرتها وبدأت تكتب فيها بيد طليقة واضحة .

يجب أن يمر الوقت .

فجأة تصلبت فى مكانها منتبهة ؛ فقد سمعت صوتاً . كان هذا الصوت كما ظنت أشبه بزجاج ينكسر وربما جاء من أسفل . أنصتت ولكن الصوت لم يتكرر .

سمعت أو اعتقدت أنها سمعت أصوات أقدام تسير خلسة وصوت طقطقة السير على الدرج وهسيس الملابس ولكن لم يكن هناك شىء محدد وانتهت كما

فعل بلور مسبقاً إلى أن تلك الأصوات نابعة من خيالها .

ولكنها سمعت الآن أصوات المزيد من الطبيعة الصامتة وأناس يتحركون على الدرج وغمغمة أصوات ثم صوت مؤكد لشخص يصعد الدرج وصوت أبواب تفتح وتغلق وأقدام تذهب إلى العلية والمزيد من الضوضاء من هناك .

وأخيرا سارت الأقدام فى الممر وأتاها صوت لومبارد يقول :

" فيرا ؟ هل أنت على ما يرام ؟ ".

" نعم ، ماذا حدث ؟ ".

قال بلور :

" هل تسمحين لنا بالدخول ؟ " .

ذهبت فيرا إلى الباب وأزاحت المقعد وفتحت القفل المتراس ثم فتحت الباب وكان الرجلان مبهورى الأنفاس وكانت أقدامهما والأجزاء السفلى من سرواليهما غارقة فى المياه .

قالت ثانية :

" ماذا حدث ؟ " .

قال لومبارد :

" لقد اختفى أرمسترونج" .

٧

قالت فيرا :

" ماذا ؟ " .

قال لومبارد :

" تلاشى من فوق سطح الجزيرة " .

وأردف بلور :

" نعم تلاشى هذه هى الكلمة الصحيحة ! وكأنه استخدم حيلة سحرية ما " .

قالت فيرا بنفاد صبر :

" هراء ! إنه يختبئ فى مكان ما ! " .

قال بلور :

" لا . ليس مختبئاً ! أقول لك إنه لا مكان للاختباء على الجزيرة . فهى مكشوفة مثل يديك ! فضوء القمر يغمر المكان بالخارج وكأنه ضوء النهار ولم نعثر عليه" .

قالت فيرا :

" لقد عاد إلى المنزل " .

قال بلور :

" لقد فكرنا فى ذلك وبحثنا فى المنزل أيضا . مؤكد أنك سمعتنا . إنه ليس هنا أؤكد لك . لقد ذهب .. تلاشى .. اختفى سريعًا ... " .

قالت فيرا غير مصدقة :

" أنا لا أصدق ذلك " .

قال لومبارد :

" إنه صحيح يا عزيزتى " .

وتوقف هنيهة ثم أضاف :

" وهناك حقيقة واحدة صغيرة أخرى . تم تحطيم نافذة غرفة الطعام ولم يعد هناك سوى ثلاثة صبية هنود على المائدة " .

الفصل ١٥

١

جلس ثلاثة أشخاص يتناولون الإفطار فى المطبخ .

وبالخارج كانت الشمس ساطعة وكان اليوم جميلاً ولكن فجأة هبت العاصفة التى أخذت تذكرهم بالماضى .

ومع التغير فى الطقس حدث تغير فى مزاج المسجونين على متن الجزيرة .

لقد شعروا الآن أنهم قد استيقظوا لتوهم من كابوس . نعم ، كان الخطر لا يزال قائمًا ولكنه كان خطرًا فى ضوء النهار ، أما ذلك الجو المجمد من الخوف الذى التف حولهم كالغطاء ليلة أمس بينما كانت الرياح تهدر بالخارج ، فقد انتهى .

قال لومبارد :

" سوف نجرب إصدار إشارة اليوم باستخدام مرآة فى أعلى نقطة فى الجزيرة . وآمل أن يتعرف أحد الرجال الأذكياء الموجودين على الحافة الصخرية على إشارة " أنقذوا أرواحنا " عندما يراها . وفى الليل يمكننا أن

نجرب إشعال نار إشارة . . فهناك القليل من الأشياء الصالحة لذلك ، ولكن ربما فقط يعتقدون أننا نغنى ونرقص " .

قالت فيرا :

" بالطبع يمكن لشخص ما أن يقرأ شفرة مورس ثم يأتوا بعدها لإنقاذنا من هنا قبل المساء" .

قال لومبارد :

" لقد صفا الجو بالفعل ولكن البحر لم يهدأ بعد ، فلا يزال هناك ارتفاع رهيب فى المياه ! ولن نتمكن من العثور على قارب بالقرب من الجزيرة قبل الغد " .

صاحت فيرا :

" ليلة أخرى فى هذا المكان ! " .

هز لومبارد كتفيه قائلاً :

" ربما نقضيها هنا بالفعل ! أعتقد أن أربعًا وعشرين ساعة سوف تفى بالغرض ، فلو أمكننا أن نبقى أحياء فى تلك الليلة فسنكون على ما يرام " .

تنحنح بلور وقال :

" من الأفضل أن نتوصل إلى فهم أفضل ، ماذا حدث لأرمسترونج ؟ " .

قال لومبارد :

" حسنا . إن لدينا دليلاً واحدًا وهو أن هناك ثلاثة تماثيل فقط للصبية الهنود على المائدة ويبدو وكأن أرمسترونج قد لقى حتفه " .

قالت فيرا :

" لماذا لم نجد جثته إذن ؟ " .

قال بلور :

" بالضبط " .

هز لومبارد رأسه وقال :

" إنه أمر شديد الغرابة ولا نستطيع التغاضى عنه" .

قال بلور مرتاباً :

" ربما تكون قد ألقيت فى البحر" .

قال بلور بحدة :

" مِن قبل مَنْ ؟ أنت ؟ أنا ؟ لقد رأيته يخرج من الباب الأمامى وأتيت ووجدتنى فى غرفتى وخرجنا نحن الاثنين للبحث معًا . فأين كان لدىّ الوقت لأقتل وأحمل جثته سائرًا بها فى الجزيرة ؟ " .

قال بلور :

" لا أدرى ، لكننى أعلم شيئًا واحدًا " .

قال لومبارد :

" وما هو ؟ " .

قال بلور :

" المسدس ، إن لديك مسدسك وهو بحوزتك الآن وليس هناك ما يظهر أنه لم يكن بحوزتك من قبل " .

" على رسلك يا بلور ، لقد تم تفتيشنا جميعًا " .

" نعم ، لقد خبأته على أى حال قبل أن يحدث ذلك وبعدها أخذته ثانية " .

" يا إلهى أقسم لك أنه قد وضع ثانية فى الدرج وكانت المفاجأة الأكبر التى قابلتنى فى حياتى عندما وجدته هناك " .

قال بلور :

" هل تطلب منا أن نصدق شيئا كهذا ؟ لماذا بحق السماء يقوم أرمسترونج أو غيره بشىء كهذا .. ؟ " .

رفع لومبارد كتفيه فى يأس قائلا :

" ليست لدىّ أدنى فكرة . إنه أمر جنونى وآخر شىء كنت أتوقعه ، إنه شىء غير مفهوم " .

وافقه بلور قائلاً :

" نعم ، غير مفهوم وربما من الأفضل أن تفكر فى قصة أفضل من ذلك " .

" أتقصد دليلاً على أننى أقول الحقيقة ، أليس كذلك ؟ " .

" أنا لا أنظر إليها بهذه الطريقة " .

قال فيليب :

" إنك لا تفعل " .

قال بلور :

" اسمع يا سيد لومبارد . لو كنت رجلاً شريفاً كما تدعى . " .

غمغم فيليب مقاطعًا :

" منذ متى ادعيت بأننى رجل شريف ؟ لا بالفعل إننى لم أدّع ذلك " .

استأنف بلور حديثه غير مبال :

" لو كنت تقول الحق فهناك أمر واحد يجب فعله ؛ طالما أن لديك المسدس فإننى والآنسة كلايثورن تحت رحمتك . ومن العدل أن نضع المسدس مع الأشياء الأخرى الموضوعة فى الصندوق وسوف نظل نحمل أنا وأنت المفتاحين " .

أشعل فيليب لومبارد سيجارًا ونفث دخانها بينما قال الآخر :

" لا تكن أحمق " .

" لا لن أكون كذلك . إن ذلك المسدس ملكى وأنا أحتاجه للدفاع عن نفسى وسوف أحتفظ به " .

قال بلور :

" فى هذه الحالة فإننا مضطران للتوصل إلى نتيجة " .

" وهى أننى هذا الشخص الذى يدعى يو إن أوين ؟ فكر كما تشاء ولكننى سأسألك إن كان الأمر كذلك فلماذا لم أطلق الرصاص عليك الليلة الماضية ؟ لقد واتتنى الفرصة لذلك أكثر من عشرين مرة " .

هز بلور رأسه قائلاً :

" لا أعلم وهذه حقيقة ربما كان لديك سبب آخر " .

لم تشارك فيرا فى تلك المناقشة ولكنها تحركت الآن وقالت :

" أعتقد أن كليكما يتصرف بحماقة " .

نظر إلى لومبارد قائلاً :

" ما هذا ؟ " .

قالت فيرا :

" لقد نسيتم أمر أنشودة الأطفال ، ألا ترون فيها دليلاً ؟ " .

أنشدت بصوت هادف :

" *ذهب أربعة صبية هنود إلى البحر وابتلعت أحدهم سمكة حمراء ، ثم بقى ثلاثة* " .

واستأنفت قائلة :

" *سمكة حمراء* . هذا هو الدليل الأساسى . إن أرمسترونج لم يمت . لقد أخذ التمثال الهندى الفخارى ليجعلكما تعتقدان ذلك . قولا ما تشاءان ولكن أرمسترونج لا يزال على الجزيرة . وإن اختفاءه مجرد أمر يهدف إلى جذب الانتباه " .

جلس لومبارد ثانية وقال :

" أتعلمين أنك قد تكونين على حق " .

قال بلور :

" نعم ولكن لو كان الأمر كذلك ، فأين هو ؟ لقد بحثنا فى كل مكان بالخارج والداخل " .

قالت فيرا باستهزاء :

" لقد بحثنا جميعنا عن المسدس ، أليس كذلك ؟ ولم نستطع إيجاده ولكنه كان موجودًا طوال الوقت " .

غمغم لومبارد قائلاً :

" هناك فارق طفيف فى الحجم يا عزيزتى بين الرجل والمسدس " .

قالت فيرا :

" لا أهتم ، فأنا متأكدة من أننى على صواب " .

" إنه يشى بنفسه بهذه الطريقة . أليس كذلك ؟ إن ذكر السمكة الحمراء فى القصيدة حقيقة . . كان من الممكن أن يُكتب شىء آخر مختلف " .

صاحت فيرا :

" ولكن ألا ترون . إنه مجنون ؟ الأمر برمته جنوني ! أمر الالتزام بالقصيدة فى كل شىء هو أمر مجنون ! وضعه للقبعة على رأس القاضى . وقتله لروجرز بينما كان يقطع الحطب وتخدير السيدة روجرز حتى تذهب فى نوم عميق والترتيب لظهور زنبور عندما ماتت الآنسة برنت ! إنه مثل طفل فظيع يلعب لعبة حيث لا بد أن يتفق كل شىء مع القصيدة " .

قال بلور :

" نعم . أنت على حق " .

وفكر لدقيقة وقال :

" على أية حال فليست هناك حديقة حيوان فى الجزيرة وسوف يجد صعوبة فى التغلب على ذلك " .

صاحت فيرا :

" ألا تفهم ؟ إننا حديقة الحيوان ... لم نكن نشبه البشر الليلة الماضية . إننا حديقة الحيوان ... " .

٢

أمضوا الصباح على الحواف الصخرية يتعاقبون على إعطاء إشارة بالمرآة نحو البلدة الرئيسية .

لم تكن هناك أية إشارات تدل على أن أحدًا رآهم . . لم تكن هناك إشارات إجابة ، كان الطقس فى النهار لطيفًا مع القليل من الرطوبة . بينما بأسفل كان البحر يجيش بارتفاع هائل ولم تكن هناك أية قوارب .

قاموا بمحاولة عقيمة أخرى للبحث على الجزيرة ولم تكن هناك أية إشارة للطبيب المفقود .

نظرت فيرا إلى المنزل من المكان الذى كانوا يقفون فيه وقالت وقد بدت أن أنفاسها تأتيها باكتشاف ما :

" إن المرء ليشعر بالأمان هنا بالخارج فى الخلاء . . . لا تدعونا نعد إلى داخل المنزل ثانية " .

قال لومبارد :

" ليست فكرة سيئة ، إننا بأمان هنا فلا يمكن لأحد أن يصل إلينا دون أن نراه على بعد مسافة قبل ذلك " .

قالت فيرا :

" سوف نبقى هنا " .

قال بلور :

" يجب أن نمضى الليل فى مكان ما وسنضطر للعودة إلى المنزل وقتها " .

ارتجفت فيرا قائلة :

" لا أستطيع تحمل ذلك ، لا يمكننى أن أمضى ليلة أخرى فيه ! " .

قال فيليب :

" ستكونين بأمان لو أغلقت باب غرفتك" .

غمغمت فيرا قائلة :

" أفترض ذلك " .

بسطت يديها وغمغمت :

" من المبهج أن نشعر بالشمس ثانية " .

وفكرت :

" كم هو غريب هذا الأمر ... أعتقد أننى سعيدة ومع ذلك فإننى أفترض أننى حقيقة فى خطر . . . يبدو وكأن لا شىء يهم الآن . ليس فى ضوء النهار . . أشعر أننى مليئة بالقوة . . أشعر أننى لن أموت " .كان بلور ينظر إلى ساعة يده وقال :

" إنها الساعة الثانية ، ماذا عن الغداء ؟ ".

قالت فيرا بعناد :

" لن أعود إلى المنزل ، سوف أظل هنا فى الخلاء " .

" آه ، على رسلك يا آنسة كلايثورن . يجب أن تحتفظى بقوتك ، أليس كذلك " .

قالت فيرا :

" إن مجرد رؤيتى لساناً معلباً سوف يشعرنى بالمرض ! لا أريد أى طعام . إن بعض الناس يمضون أيامًا دون طعام أحياناً عندما يتبعون حمية " .

قال بلور :

" حسناً . ولكننى أحتاج إلى وجباتى العادية ، ماذا عنك يا سيد لومبارد ؟ " .

قال فيليب :

" إننى لا أستحسن فكرة اللسان المعلب على وجه الخصوص ، سوف أبقى هنا مع الآنسة كلايثورن " .

تردد بلور وقالت فيرا :

" سأكون على ما يرام ولا أعتقد أنه سوف يطلق الرصاص علىّ بمجرد أن تدير ظهرك إذا كان هذا ما تخشاه " .

قال بلور :

" لا بأس ما دمت قلت ذلك ولكننا متفقون على ألا نفترق " .

قال فيليب :

" أنت من يريد الذهاب إلى عرين الأسد ، سوف آتى معك لو شئت " .

قال بلور :

" لا ، لن تفعل . سوف تبقى هنا " .

ضحك فيليب قائلاً :

" ألا تزال خائفاً مني ؟ لِمَ ؟ كان من الممكن أن أطلق الرصاص عليك فى هذه اللحظة لو أردت " .

قال بلور :

" نعم ولكن ذلك لن يسير وفق الخطة . فقط يُقتل واحد فى كل مرة ويجب أن يتم ذلك بطريقة محددة " .

قال فيليب :

" حسنا ، يبدو أنك تعرف كل شىء عن الأمر " .

قال بلور : بالطبع . إنه لمن قبيل المجازفة أن أذهب إلى المنزل وحدى ... " .

قال فيليب برفق :

" وبالتالى هل أعطيك مسدسي ؟ الإجابة هى لا ، لن أفعل ! ليس الأمر بهذه البساطة التى تظنها " .

هز بلور كتفيه وشرع فى قطع طريقه خلال المنحدر باتجاه المنزل .

قال لومبارد برفق :

" إنه وقت الطعام فى حديقة الحيوان ! إن الحيوانات منظمة جدًا فى عاداتها ! " .

قالت فيرا بقلق :

" أليس هذا خطرًا جدًا . ماذا يفعل ؟ " .

" بالمعنى الذى تقصدينه لا . لا أعتقد أنه كذلك ! إن أرمسترونج ليس مسلحًا كما تعلمين وعلى أية حال فإن بلور يبلغ ضعف حجمه الجسدى . كما أنه يحترس لنفسه

كثيرًا . وعلى أية حال فإنه من غير المحتمل أن يكون أرمسترونج داخل المنزل ، أعلم أنه ليس هناك " .

" ولكن ما الحل الآخر ؟ " .

قال فيليب برفق :

" هناك بلور" .

" آه هل تعتقد حقاً أنه . . " .

" أنصتى إلىّ يا فتاتى . لقد سمعت قصة بلور وعليك أن تقرى أنها لو كانت حقيقية لما كانت لى أية علاقة باختفاء أرمسترونج . إن قصته تبرئنى ولكنها لا تبرئه . لدينا فقط كلمته بأنه سمع دبيب خطوات ورأى شخصًا يهبط الدرج ويخرج من الباب الأمامى . ربما يكون الأمر كله كذبة وقد يكون قد تخلص من أرمسترونج قبل ذلك بساعتين " .

" كيف ؟ " .

" هذا ما لا نعرفه ولكن إن سألتنى فهناك خطر واحد يجب أن نخاف منه ؛ وهذا الخطر هو بلور ! ماذا نعرف عن هذا الرجل ؟ أقل القليل ! إن قصة مفتش الشرطة السابق تلك يمكن أن تكون وهمية ! ربما يكون أى شخص ، رجل أعمال مخبولاً أو نزيلاً هارباً من مستشفى أمراض نفسية ، ولكن هناك شىء واحد أكيد . إنه من الممكن أن يكون قد اقترف كل هذه الجرائم " .

شحب وجه فيرا وقالت بصوت مبهور :

" ومع افتراض أنه أمسك بنا ؟ " .

قال لومبارد برفق وهو يربت على مسدسه فى جيبه :

" سوف أهتم به جيدًا أكثر مما يهتم بنفسه " .

ثم نظر إليها بفضول وقال :

" هل تختبرين إخلاصى يا فيرا ؟ هل تتأكدين من أننى لن أطلق الرصاص عليك ؟ " .

قالت فيرا :

" يجب أن يثق المرء بشخص ما . . . حقيقة أعتقد أنك مخطئ بشأن بلور ، فلا أزال أظن أنه قتل أرمسترونج" .

التفتت إليه فجأة وقالت :

" ألا تشعر طوال الوقت أن هناك شخصًا ما ... شخصًا ما يراقبك ويتربص بك ؟ " .

قال لومبارد بهدوء :

" إنه توتر فقط " .

قالت فيرا بشغف :

" إذن لقد شعرت بذلك ؟ " .

ارتجفت واقتربت منه قليلاً وقالت :

" أخبرنى .. ألا تعتقد .. " .

توقفت ثم استأنفت :

" لقد قرأت قصة ذات مرة عن قاضيين أتيا إلى مدينة أمريكية صغيرة من المحكمة العليا وطبقا العدالة المطلقة لأنهما لم يأتيا من هذا العالم على الإطلاق " .

رفع لومبارد حاجبيه وقال :

" زوار من السماء ؟ لا ، لا أعتقد فى هذه الخرافات إن هذا الأمر بشرى جدًا " .

قالت فيرا بصوت منخفض :

" أحيانا لا أكون واثقة ... " .

نظر إليها لومبارد قائلاً :

" هذا هو الضمير ... " .

وبعد دقيقة صمت قال لها بهدوء :

" إذن فقد أغرقت هذا الطفل على أية حال ؟ " .

قالت فيرا بعنف :

" لم أفعل ! لم أفعل ! وليس لديك الحق فى قول ذلك ! " .

ضحك قائلاً :

" آه نعم . نعم فعلت يا فتاتى الطيبة ! لا أعلم لِمَ . فلا يمكننى أن أتخيل . من المحتمل أن هناك رجلاً فى الأمر ، أليس كذلك ؟ " .

شعرت فيرا بإرهاق مفاجئ فى أطرافها . . إرهاق كبير يسرى فيها وقالت بصوت وئيد :

" نعم كان هناك رجل فى الأمر" .

قال لومبارد بهدوء :

" شكرا لك . ذلك ما كنت أود معرفته " .

نهضت فيرا بغتة وقالت متعجبة :

" ماذا كان هذا ؟ أكانت هزة أرضية ؟ " .

قال لومبارد : " لا لا . هذا غريب على الرغم من أن هناك ضربة هزت الأرض وأعتقد . . هل سمعت صوت صيحة ؟ لقد سمعت " .

حملقا فى المنزل وقال لومبارد :

" لقد جاءت من هناك ومن الأفضل أن نذهب لنرى" .

" لا . . لا لن أذهب " .

٣

أمسك فيليب بكتفها وقال وقد بدا صوته حاسمًا وصارمًا :

" هذا يحسم الموضوع . إن أرمسترونج يختبئ فى مكان ما من المنزل وسوف أمسك به" .

لكن فيرا تعلقت به وصاحت :

" لا تكن أحمق . لم يبق غيرنا الآن وسنكون التاليين ! إنه يريدنا أن نبحث عنه ! فهو يعتمد على ذلك ! " .

توقف فيليب وقال بتمعن :

" هناك شئ فى هذا الأمر" .

صاحت فيرا :

" على الأقل فإنك تقر الآن أننى كنت على صواب " .

أومأ بالإيجاب وقال :

" نعم أنت تفوزين ! إنه أرمسترونج بالفعل ولكن أين يختبئ بحق السماء ؟ لقد مشطنا المكان بأكمله تمشيطاً دقيقاً " .

قالت فيرا بحسم :

" إن لم تجده الليلة الماضية فسوف تجده الآن . . . " .

" سوف أفعل " .

قالت فيرا يائسة :

" حسنا ، سوف آتى معك " .

سارا بأعلى المنحدر الموصل إلى المنزل وبدت الشرفة هادئة ومسالمة فى ضوء الشمس . ترددا لحظة فى الدخول ثم بدلاً من الدخول من الباب الأمامى . قاما بجولة دائرية بحذر حول المنزل . وجدا بلور وكان ممددًا على حجر الشرفة فى الجانب الشرقى وقد تحطم رأسه وتشوه بكتلة هائلة من الرخام الأبيض .

نظر إليها فيليب وقال :

" لمن هذه النافذة التى تقع فوقنا مباشرة ؟ " .

قالت فيرا بصوت مرتجف خفيض :

" إنها نافذتى وتلك هى الساعة الموضوعة على رف المدفأة الخاص بى وقد كانت على هيئة دب " .

ثم كررت وصوتها يهتز ويرتجف :

" كانت على هيئة دب ... " .

قال لومبارد بإحجام :

" نعم ولكن . . "

" لابد أنه قد أعد لنفسه مخبأ سرياً وهو أمر طبيعى بالطبع . فهذا هو ما سوف يفعله " .

" لكن هذا ليس منزلاً قديماً من هذا الطراز " .

" يمكنه أن يقوم بصنع واحد " .

هز فيليب لومبارد رأسه وقال :

" لقد قام بقياس المكان ذلك الصباح . أقسم أنه لم يكن هناك مكان لم نبحث فيه " .

قالت فيرا :

" لابد أن يكون هناك مكان " .

قال لومبارد : " أود أن أرى . . " .

صاحت فيرا :

" نعم تود أن ترى ! وهو يعلم هذا ! إنه بالداخل هناك فى انتظارك " .

قال لومبارد وهو يكاد يخرج مسدسه من جيبه :

" إن لدىّ هذا كما تعلمين " .

" لقد قلت إن بلور كان بالفعل أكثر من نِدّ لأرمسترونج وقد كان كذلك من الناحية الجسدية وكذلك فى مظهره . ولكن ما لا تدركه هو أن أرمسترونج مجنون ! ولدى الرجل المجنون جميع المزايا . وهو أكثر دهاء من أى شخص عاقل " .

وضع لومبارد المسدس فى جيبه مرة أخرى وقال :

" هيا بنا نذهب إذن " .

٤

قال لومبارد أخيرًا :

" ماذا سنفعل عندما يأتى الليل ؟ " .

لم تجب فيرا فاستأنف قائلاً باتهام :

" ألم تفكرى فى هذا ؟ " .

قالت بيأس :

" ماذا يمكننا أن نفعل ؟ آه يا إلهى كم أنا خائفة " .

قال فيليب لومبارد مفكرًا :

" إن الطقس جميل وسوف يكون القمر مضيئاً وسنجد مكاناً بأعلى على قمة الحواف الصخرية . يمكننا أن نجلس هناك وننتظر الصباح فلا يجب أن ننام ... يجب أن نبقى متيقظين طوال الوقت وإن اقترب أحد منا فسوف أطلق النار ! " .

توقف ثم قال :

" ستشعرين بالبرد ربما مع ارتدائك لهذا الفستان الخفيف " .

قالت فيرا بضحكة ماجنة :

" برد ؟ سأكون أكثر برودة لو صرت ميتة ! " .

قال فيليب لومبارد بهدوء :

" نعم هذا صحيح " .

تحركت فيرا بقلق وقالت :

" سوف أجن لو مكثت هنا لفترة أطول ، دعنا نتحرك " .

" لا بأس " .

تحركا بخطى بطيئة جيئة وذهابًا بمحاذاة خط الصخور المطل على البحر . كانت الشمس تتجه نحو الغرب وكان الضوء ذهبياً لطيفاً وقد غلفهما بوهج ذهبى .

قالت فيرا بضحكة عصبية مباغتة :

" من المؤسف أننا لا نستطيع الحصول على حمّام ... " .

كان فيليب ينظر بأسفل على البحر وقال فجأة :

" ما هذا الذى هناك ؟ ألا ترينه بجوار تلك الصخرة الكبيرة ؟ هناك أبعد قليلا إلى اليمين " .

حدقت فيرا بدهشة وقالت :

" تبدو وكأنها ملابس شخص ما ! " .

ضحك لومبارد وقال :

" شخص يستحم أليس كذلك ؟ غريب ولكن أفترض أنها مجرد أعشاب بحرية " .

قالت فيرا :

" دعنا نذهب ونلق نظرة " .

قال لومبارد ، بينما كان يقترب :

" إنها ملابس . كومة من الملابس . إنه قارب تعالى دعينا نتحرك إلى هناك " .

تحركا فوق الصخور سريعًا وتوقفت فيرا فجأة وقالت :

" إنها ليست ملابس ، إنه رجل ... ".

كان الرجل محشورًا بين صخرتين وقد ألقى هناك بفعل المد فى وقت مبكر من اليوم .

وصل لومبارد وفيرا إلى هناك فى حركة سريعة وانحنيا .

كان وجهاً أزرق اللون . وجهاً بشعاً لشخص غارق . . .

قال لومبارد :

" يا إلهي ! إنه أرمسترونج " .

الفصل ١٦

١

مرت دهور . . دار العالم ودار . . . وصار الوقت متجمدًا لا يمر . . . . توقف وكأنه يمر كآلاف الدهور الثقيلة .

لا . لقد كان هذا منذ دقيقة أو نحو ذلك . . . .

كان هناك شخصان ينظران إلى رجل ميت . . .

ببطء . . ببطء شديد رفعت فيرا كلايثورن وفيليب لومبارد رأسيهما ونظر كل منهما فى عينى الآخر .

٢

ضحك لومبارد وقال :

" إذن هذا هو الأمر ، أليس كذلك يا فيرا ؟ " .

قالت فيرا :

" لا يوجد أحد . أى أحد على متن الجزيرة سوانا نحن الاثنين . . . " .

كان صوتها أقرب إلى الهمس .

وقال لومبارد :

" بالضبط . إذن فنحن نعلم أين نحن أليس كذلك ؟ " .

قالت فيرا :

" كيف نجحت تلك الخدعة باستخدام الدب الرخامى ؟ " .

هز كتفيه وقال : " خدعة سحرية يا عزيزتى . خدعة بارعة جدًا . . " .

التقت عيناهما ثانية وفكرت فيرا :

" لماذا لم أر وجهه بالشكل الملائم من قبل .. ؟ وجه ذئب .. نعم هذا هو .. وجه ذئب ... تلك الأسنان البشعة ... " .

قال لومبارد وقد صار صوته مهددًا خطرًا :

" تلك هى النهاية وأنت تفهمين ذلك . لقد فهمنا وصلنا إلى الحقيقة الآن وتلك هى النهاية ... " .

قالت فيرا بهدوء :

" أفهم . . . " .

حدقت فى البحر . كان جنرال مكارثر يحدق إلى البحر أمس فقط ؟ أم هل كان ذلك أمس الأول ؟

هو أيضا قال :

" هذه هى النهاية ... " .

لقد قال ذلك بقبول . بل وبترحيب .

لكن كلمات فيرا ... ولدت عندها التمرد . لا . لا يجب أن تكون النهاية . نظرت إلى الرجل الميت الملقى فى البحر وقالت :

" مسكين دكتور أرمسترونج " .

بدت على وجه لومبارد ملامح الازدراء وقال :

" ماهذا ؟ رثاء المرأة ؟ " .

قالت فيرا :

" لِمَ لا ؟ أليست لديك أية شفقة عليه ؟ " .

قال :

" ليست لدىّ شفقة عليه . لا تتوقعى منى ذلك ! " .

نظرت فيرا إلى أسفل ثانية نحو الجسد وقالت :

" يجب أن ننقله ونحمله إلى المنزل " .

" أفترض أن ذلك بهدف انضمامه إلى الضحايا الآخرين ، أليس كذلك ؟ ولكننى أعتقد أنه من الأفضل أن يظل أينما هو " .

قالت فيرا :

" دعنا على الأقل نخرجه من البحر " .

ضحك لومبارد وقال :

" كما تشائين " .

انحنى لومبارد يجذب الجسد وانحنت فيرا أمامه تساعده وتجذب بكل ما أوتيت من قوة ، قال لومبارد لاهثاً :

" ليست بالمهمة السهلة ".

نجحا فى ذلك على أية حال وجذبا الجسد بعيدا عن المياه المرتفعة .

قال لومبارد بينما كان يعدل قامته :

" هل أنت راضية الآن ؟ ".

قالت فيرا :

" نعم " .

كانت نبرة صوتها محذرة فدار حولها وحتى عندما كان يضع يده على جيبه كان يعلم أنه سيجده خاليًا .

تحركت خطوة أو خطوتين بعيدا عنه ، ثم واجهته وبيدها المسدس .

قال لومبارد :

" إذن هذا هو السبب فى شفقتك الأنثوية ! لقد أردت التقاط المسدس من جيبى ". أومأت برأسها إيجابًا ورفعت المسدس بثبات ودون اهتزاز . كان الموت قريبًا من فيليب لومبارد الآن . بل لم يكن أقرب إليه أكثر من الآن وقد علم ذلك ، ومع ذلك ، لم يكن قد هزم بعد فقال بصوت متسلط :

" أعطينى هذا المسدس ".

ضحكت فيرا .

قال لومبارد :

" هيا أعطينى إياه ".

كان عقله يعمل سريعًا . . أية طريقة ، أية وسيلة ؟ هل يباغتها أم يدللها ويعطيها الأمان أم يدفعها سريعًا . . لطالما كان لومبارد يسلك المخاطر طوال حياته وقد سلك المنحنى الخطر الآن .

تحدث ببطء وقال على نحو مجادل :

" والآن اسمعى يا فتاتى العزيزة ، أنصتى إلىّ فقط . . ".

ثم وثب بسرعة نمر . وكأنه مخلوق ينتمى إلى عائلة القطط . . وبشكل آلى ضغطت فيرا على الزناد .

لكن جسد لومبارد القافز قد بقى متوازناً ثم فى منتصف القفزة هوى على الأرض بشدة .

تقدمت منه فيرا بحذر وبيدها المسدس ولكن لم يكن هناك حاجة للحذر .

كان فيليب لومبارد قد مات متأثرا برصاصة فى قلبه .

٣

تملكت الراحة فيرا . . . راحة بالغة تامة .

أخيرا انتهى الأمر .

لم يعد هناك المزيد من الخوف . . لا مزيد من التوتر لأعصابها . . .

كانت وحدها على الجزيرة . . .

وحدها مع تسع جثث . .

ولكن ذلك لا يهم ؟ لقد كانت حية . . .

جلست هناك بسعادة تامة . . بسلام تام .

لا مزيد من الخوف . . .

٤

كانت الشمس تغرب ، عندما تحركت فيرا في النهاية . لقد جعلها رد الفعل ساكنة بلا حراك ولم يعد هناك مجال داخلها لأى شىء سوى الإحساس العظيم بالأمان .

أدركت الآن أنها كانت جائعة وراغبة فى النوم . ولكنها كانت ترغب فى النوم بشكل أساسى . أرادت أن تلقى بنفسها على الفراش وتنام وتنام وتنام . . .

ربما سيأتون غدا لإنقاذها ولكنها لا تعبأ بذلك حقاً .

إنها لا تمانع من البقاء هنا بعد أن صارت وحيدة . . .

آه ! يا للسلام المبارك .

لم يعد هناك ما تخاف منه ! لم تعد المخاوف تتربص بها ! مجرد منزل عادى عصرى ذى بناء جيد ، ولكن فى وقت مبكر من هذا اليوم لم تكن تستطيع النظر إليه دون أن تسرى الرجفة فى جسدها . . .

الخوف . . يا له من شعور غريب ذلك الخوف . . .

حسناً . لقد انتهى الآن ؛ فقد تغلبت وانتصرت على أكثر المخاطر بشاعة من خلال سرعة بديهتها ومهارتها . لقد قلبت الموقف ضد من كان سيدمرها .

بدأت فى السير نحو المنزل .

كانت الشمس تغرب وكانت السماء من جهة الغرب مزدانة بخطوط حمراء وبرتقالية . كانت هادئة وجميلة .

فكرت فيرا :

" ربما يكون الأمر كله حلمًا " .

كم كانت تعبة . . تعبة بشدة . كانت أطرافها تؤلمها وجفونها متثاقلة . لم يعد هناك ما تخشاه .

ستنام . . . . تنام . . . .

ستنام بأمان حيث إنها كانت وحدها على متن الجزيرة . صبى هندى صغير ترك وحده .

ابتسمت لنفسها .

ذهبت إلى الباب الأمامى . لقد بدا المنزل هو الآخر هادئاً بشكل غريب .

فكرت فيرا :

" فى العادة لن يهتم المرء بالنوم حيث توجد جثة فى كل غرفة نوم تقريبًا ! " .

هل يجب أن تذهب إلى المطبخ وتحضر لنفسها شيئاً تأكله ؟

ترددت لحظة ثم قررت أنها كانت تعبة جدًا بالفعل .

توقفت عند باب غرفة الطعام وكان هناك ثلاثة أشكال فخارية صغيرة فى منتصف المائدة .

ضحكت فيرا قائلة :

" أنتما متأخران جدًا يا عزيزىّ " .

ثم التقطت اثنين منهما وألقت بهما من النافذة وسمعتهما يتحطمان على صخر الشرفة .

التقطت التمثال الثالث وأمسكته بيديها وقالت :

" يمكنك المجىء معى . لقد ربحت يا عزيزى ! لقد ربحت ! " .

كانت الردهة معتمة فى ضوء النهار الذاوى .

ستنام . . تنام . . . .

بدأت فيرا تصعد الدرج وهى قابضة بيدها على التمثال الهندى الصغير . كانت تصعد ببطء لأن قدميها كانتا متعبتين جدًا .

" صبى هندى صغير تُرك وحيدًا " كيف انتهت ؟ نعم ! " لقد تزوج ثم لم يبق أحد " .

تزوج . . . غريب . . لقد شعرت فجأة بأن هوجو لا يزال فى المنزل . . .

انتابها شعور قوى جدا بأن هوجو بأعلى الدرج ينتظرها .

قالت فيرا لنفسها :

" لا تكونى حمقاء . إنك تعبة جدًا لدرجة أنك تتخيلين أكثر الأشياء وهما . . . " .

صعدت الدرج ببطء .

وفى أعلى الدرج سقط شىء من يدها دون أن يحدث أية ضوضاء على البساط الناعم المرتفع . لم تلحظ أنها قد أسقطت المسدس بل كانت مدركة فقط للتمثال الفخارى الصغير .

كم كان المنزل هادئاً ومع ذلك لم يبد وكأنه منزل خالٍ .

. . . هوجو بأعلى الدرج ينتظرها . . . .

" ترك صبى هندى صغير وحده " ماذا كان السطر الأخير ثانية ؟ كان شيئاً يتعلق بكونه تزوج . أم هل كان شيئاً آخر ؟

كانت قد وصلت إلى باب غرفتها الآن ، كان هوجو ينتظرها بالداخل . . لقد كانت متأكدة من ذلك .

فتحت الباب . . .

أطلقت شهقة . . .

ماذا كان هذا المتدلى من الخطاف الموجود فى السقف ؟ حبل منته بعقدة معدة بالفعل ؟ ومقعد للوقوف عليه . . مقعد يمكن ركله . . . .

لقد كان هذا ما يريده هوجو .

بالطبع كان هذا هو آخر سطر فى القصيدة .

" ذهب وشنق نفسه ثم لم يبق أحد " .

سقط التمثال الصغير من يدها ودار على الأرض وكُسِر رأسه ثم تحطم بعد أن ارتطم بسور المدفأة .

تقدمت فيرا إلى الأمام وكأنها آلة وكانت تلك هى النهاية . . هنا حيث لمست اليد الباردة المبتلة (يد سيريل بالطبع) حلقها . . . .

" يمكنك أن تذهب إلى الصخرة يا سيريل " .

كانت جريمة القتل هكذا . . بتلك السهولة !

ولكن فيما بعد استمرت فى التذكر . . . .

تسلقت المقعد وعيناها تحدقان أمامها مثل من يسير وهو نائم . . . وضعت عقدة الحبل حول رقبتها .

كان هوجو هناك ليرى أنها فعلت ما كان عليها أن تفعله .

ركلت المقعد بعيدًا . . . .

الخاتمة

قال السير توماس ليج مساعد المفوض فى سكوتلانديارد باضطراب :

" ولكن الأمر كله لا يصدق ! " .

قال المفتش مين باحترام :

" أعلم يا سيدى " .

استأنف مساعد المفوض قائلاً :

" عشرة أشخاص متوفين على الجزيرة وما من روح واحدة حية هناك ، إن ذلك غير معقول ! " .

قال المفتش مين بجدية :

" ومع ذلك حدث هذا يا سيدى " .

قال سير توماس ليج :

" اللعنة على هذا يا مين ، لابد أن أحدا قتلهم " .

" تلك هى مشكلتنا يا سيدى " .

" ألا يوجد ما يساعد فى تقرير الطبيب ؟ " .

" لا يا سيدى . تم إطلاق الرصاص على وارجريف ولومبارد ؛ الأول فى رأسه والثانى فى قلبه . وتوفى كل من الآنسة برنت ومارستون بأثر سم السيانيد وتوفيت السيدة روجرز بجرعة زائدة من مادة الكلورال . وفتحت رأس روجرز وسحقت رأس بلور . بينما توفى أرمسترونج غريقا وكسرت جمجمة مكارثر بسبب ضربة على مؤخرة الرأس وشنقت فيرا كلايثورن " .

انكمش مساعد المفوض وقال :

" يا له من عمل مجنون بأكمله " .

تفكر لدقيقة أو اثنتين وقال باضطراب :

" هل تعنى أن تقول إنك لم تتمكن من الحصول على أى شىء يساعدك من سكان ستيكلن هافن ؟ غير معقول . لا بد أنهم يعلمون شيئاً " .

هز المفتش مين كتفيه وقال :

" إنهم بحارون عاديون محترمون وكانوا يعلمون أن الجزيرة قد اشتراها شخص يدعى السيد أوين وهذا كل ما يعلمونه " .

" من الذى قام بتجهيز الجزيرة وإجراء الترتيبات الضرورية فيها ؟ " .

" شخص يدعى موريس . . إسحاق موريس " .

" ماذا قال عن الأمر برمته ؟ " .

" لا يمكنه أن يقول أى شىء يا سيدى ، لقد لقى حتفه " .

عبس مساعد المفوض وقال :

" هل تعلم أى شىء عن موريس هذا ؟ " .

" آه ، نعم يا سيدى نحن نعرفه . لم يكن سيداً شريفاً تماما ذلك السيد موريس ؛ فقد كان متورطاً فى النصب على السمسار بينيتو منذ ثلاث سنوات . إننا على يقين من ذلك ولكننا لم نستطع إثباته . كما أنه متورط فى تجارة المخدرات . ومن جديد ليس لدينا دليل على ذلك . لقد كان موريس هذا رجلاً بالغ الحرص " .

" وكان هو من تسبب فى أحداث الجزيرة ؟ " .

" نعم يا سيدى . لقد أتم صفقة البيع بنجاح رغم أنه أعلن أنه يشترى الجزيرة الهندية لصالح طرف ثالث مجهول " .

" بالتأكيد هناك ما يمكن العثور عليه فى الناحية المالية أليس كذلك ؟ " .

ابتسم المفتش مين وقال :

" ليس إن كنت تعرف موريس ! يمكنه أن يعبث بالأرقام بحيث يربك أفضل محاسب فى البلاد . لقد واجهنا ذلك فى موضوع بينيتو . لا ، لقد أخفى معلومات رب عمله جيدًا " .

تنهد الرجل الآخر وأردف المفتش مين :

" لقد كان موريس هو من أجرى كل الترتيبات فى ستيكل هافن وقدم نفسه على أنه ممثل عن السيد أوين وكان هو من فسر للناس ثمة أن هناك تجربة ما هناك . .

شىء عن وجود رهان بشأن العيش على " جزيرة مهجورة " لمدة أسبوع وأنه لا يجب الالتفات إلى أى طلب للمساعدة يأتى من هناك " .

تململ السير توماس ليج بعدم ارتياح وقال :

" وتقول لى إن الناس هناك لم يشكوا فى الأمر ؟ ولو حتى بعد ذلك ؟ " .

هز مين كتفيه قائلاً :

" إنك تنسى يا سيدى أن الجزيرة الهندية كانت فيما مضى تخص الشاب الأمريكى إلمر روبسون . وقد أقام أكثر الحفلات غرابة هناك . وما من شك لدىّ أن أعين المحليين اندهشوا لكنهم اعتادوا على الأمر وبدأوا يشعرون أن كل ما يتعلق بالجزيرة الهندية لا بد أن يكون مستحيلاً . إن الأمر طبيعى يا سيدى عندما تفكر فيه " .

أقر مساعد المفوض بإحباط أنه يفترض ذلك .

قال مين :

" لقد قال فريد ناركوت . ذلك الرجل الذى أقَلَّ المجموعة إلى هناك ، شيئاً يوضح الأمر ؛ قال إنه اندهش لرؤية نوع الناس الذين أقلهم . فهم ليسوا على الإطلاق مثل أصدقاء السيد روبسون . وأعتقد أن حقيقة أنهم كانوا جميعا طبيعيين وهادئين هى التى جعلته يخالف أوامر موريس ويستقل قاربًا إلى الجزيرة بعد أن سمع بإشارات " أنقذوا أرواحنا " المنبعثة من هناك " .

" متى ذهب هو والرجال الآخرون ؟ " .

" تمت رؤية الإشارات من قبل بعض الشباب المستكشفين فى صباح اليوم الحادى عشر ولم تكن هناك من إمكانية للخروج فى ذلك اليوم . ووصل الرجال إلى هناك بعد ظهر اليوم الثانى عشر فى أول فرصة ممكنة لاستقلال قارب للوصول إلى هناك وكلهم على يقين من أن أحدا لم يتمكن من مغادرة الجزيرة قبل أن يصلوا إليها ، فقد كان البحر مرتفعًا بعد العاصفة " .

" ألم يمكن لأحدهم أن يسبح حتى الشاطئ ؟ " .

" إنه على بعد ميل وصولا إلى الساحل وقد كان البحر مرتفعًا بالإضافة إلى وجود أمواج هائلة بالقرب من الشاطئ وكان هناك الكثير من الناس ، حيث يوجد الشباب المستكشفون وغيرهم ، على الصخور ينظرون إلى الجزيرة ويراقبونها " .

تنهد مساعد المفوض وقال :

" ماذا عن مسجل الفونوغراف الذى وجد فى المنزل ؟ ألم تتمكنوا من وضع أيديكم على أى شىء هناك يمكنه المساعدة ؟ " .

قال المفتش مين :

" لقد بحثت فى هذا الأمر . لقد وفرته شركة تقوم بالكثير من الأمور المتعلقة بمؤثرات الأفلام وقد أرسل إلى السيد يو إن أوين ، عناية إسحاق موريس ، وفهم أنه

مطلوب لأداء مجموعة من الهواة لمسرحية لم تمثل من قبل وقد تم إعادة النص مع التسجيل " .

قال ليج :

" وماذا عن مادة هذا التسجيل ؟ " .

قال المفتش مين بجدية :

" سأصل إلى ذلك يا سيدى " .

تنحنح وقال :

" لقد بحثت فى أمر تلك الاتهامات بقدر ما استطعت من تفصيل ولنبدأ بآل روجرز اللذين كانا أول من وصل إلى الجزيرة . فقد كانا فى خدمة الآنسة برادى التى توفيت فجأة ولم نستطع التوصل إلى أى أمر مؤكد من الطبيب الذى فحصها ، فقد قال إنهما لم يقوما بإعطائها سمًّا أو أى شيء من هذا القبيل ولكن اعتقاده الشخصى هو أن هناك أمراً غريباً . . وهو أنها ماتت بسبب إهمالهما ويقول إنه الأمر الوحيد الذى يمكن إثباته .

ثم هناك السيد جاستيس وارجريف . وذلك مقبولاً فقد كان القاضى الذى حكم على سيتون بالإعدام وبالمناسبة فقد كان سيتون مذنبًا . . مذنبًا لا محالة ، فقد أثبت النائب العام بعد شنقه أنه مذنب بما لا يدع مجالاً للشك ولكن كان هناك الكثير من التعليقات فى ذلك الوقت . فقد كان كل تسعة من عشرة أشخاص يظنون أن سيتون برىء وأن حكم القاضى كان انتقاميًا .

أما عن فيرا كلايثورن فقد كانت - كما اكتشفت - مربية لدى أسرة حدثت فيها وفاة بسبب الغرق . ومع ذلك ، فلا يبدو أن لديها أية علاقة بالأمر ، بل فى الحقيقة لقد تصرفت جيدا بأن سبحت لإنقاذ الغريق وتم حملها خارج البحر وإنقاذها فى الوقت المناسب " .

قال مساعد المفوض متنهدًا : " أكمل " .

تنفس مين بعمق وقال :

" والآن الطبيب أرمسترونج . لقد كان رجلا ذا شهرة وكانت لديه عيادة استشارية فى شارع هارلى وقد كان مستقيمًا وفوق مستوى الشبهات تماما فى مهنته ولم نتمكن من تتبع أى سجل لعملية غير شرعية قام بها أو أى شيء من هذا القبيل . صحيح أنه كانت هناك امرأة تدعى كليز قام بإجراء جراحة لها عام ١٩٢٥ فى لايثمور عندما كان ملحقاً بالعمل فى مستشفى هناك وقد كانت مصابة بالتهاب الغشاء البريتونى ولقيت حتفها على طاولة العمليات . ربما لم يكن ماهرًا جدًا فى ذلك الوقت أو لم تكن لديه الخبرة الكافية . ولكن على كل فإن ضعف الخبرة ليس جريمة يعاقب عليها القانون فلم يكن هناك أى دافع للقتل .

ثم هناك الآنسة إميلى برنت ، كانت الفتاة بياتريس تيلور تعمل فى خدمتها وقد حملت وطردتها سيدتها فذهبت وأغرقت نفسها . ليس بالأمر الجيد ولكن من جديد فإنه ليس جريمة يعاقب عليها القانون " .

قال مساعد المفوض : " تبدو هذه وكأنها النقطة التى تعامل معها يو إن أوين ؛ أى الحالات التى لم يستطع القانون النيل منها " .

استمر مين فى مواصلة قائمته بجدية :

" أما الشاب مارستون . فقد كان سائق سيارة متهورًا وقد سحبت رخصته مرتين وكان عليه أن يمنع من القيادة فى رأيى . وهذا كل ما يتعلق به . أما عن اسمى جون ولوسى كومبس . فقد كانا هما الطفلين اللذين دهسهما بسيارته وقتلهما فى كامبريدج . وقد قام بعض أصدقائه بالشهادة لصالحه وأطلق سراحه بعد أن دفع غرامة . ، وبالنسبة للجنرال مكارثر ، فلم يمكننى أن أجد أى شئ مؤكد فيما يتعلق به ؛ فقد كان لديه سجل جيد للخدمة فى الحرب وما إلى ذلك . وكان أرثر ريتشموند يخدم تحت سلطته فى فرنسا ثم قتل فى الحرب . ولم يكن هناك أى عداء من أى نوع بينه وبين الجنرال . بل لقد كانا صديقين حميمين حقيقة وقد كانت هناك بعض الأخطاء التى ارتكبت فى ذلك الوقت من قيام الضباط القادة بالتضحية بالرجال بشكل غير ضرورى ومن المحتمل أن يكون هذا خطأ من هذا النوع " .

قال مساعد المفوض : " ربما " .

" والآن . فيليب لومبارد فقد كان متورطا فى بعض جرائم القتل وقد اشتهر بجرأته وأنه لا يتمتع بالمبادئ .

إنه ذلك النوع من الرجال الذى يمكن أن يقوم بعدة جرائم قتل فى بقعة هادئة بعيدة " .

تردد مين ثم قال : " ثم نأتى إلى بلور ، فلقد كان بالطبع واحداً منا " .

تدخل الرجل الآخر وقال بقوة :

" بلور ؟ أكان بلور شخصاً سيئاً ! " .

" هل تعتقد ذلك يا سيدى ؟ " .

قال مساعد المفوض :

" لطالما ظننت ذلك ولكنه كان بارعا بما يكفى للإفلات بأفعاله . لقد كان رأيى أنه قد ارتكب خطأ عندما أعطى شهادة باطلة فى قضية لاندور ، ولم أكن سعيدًا بهذا الأمر فى وقتها ولكننى لم أستطع أن أعثر على شئ . ففوضت هاريس بالأمر ولكنه لم يستطع التوصل إلى شئ . ومع ذلك فمازلت عند رأيى بأنه كان هناك أمر يمكن التوصل إليه إذا ما علمنا كيف نبحث ؛ فلم يكن الرجل مستقيما " .

صمتنا برهة ثم قال السير توماس ليج :

" وقد مات إيزاك موريس كما تقول ؟ متى توفى ؟ "

" أعتقدت أنك ستصل إلى ذلك سريعًا يا سيدى . لقد مات إيزاك موريس فى ليلة الثامن من أغسطس بتناول جرعة زائدة من منوم . . أحد مركبات الباربيتوريت كما فهمت . ولم يكن هناك ما يبين ما إذا كان ذلك حادثاً أم انتحاراً " .

قال ليج بهدوء :

" هل تريد معرفة ما فى اعتقادى يا مين ؟ " .

" ربما يمكننى أن أخمن يا سيدى " .

قال ليج بتثاقل :

" إن وفاة موريس لهى مشهد لعين حدث فى الوقت المناسب تمامًا ! " .

أومأ المفتش مين برأسه إيجاباً وقال :

" اعتقدت أنك ستقول هذا يا سيدى ؟ " .

دق مساعد المفوض بقبضته على المنضدة وصاح :

" إن الأمر كله مستحيل . لقد قتل عشرة أشخاص فى جزيرة مهجورة ولا نعلم من فعل ذلك أو لِمَ أو كيف " .

سعل مين وقال :

" حسنا . إن الأمر ليس كذلك بالضبط يا سيدى . فعلى الأقل إننا نعلم لِمَ . فهناك شخص متعصب مهووس بتطبيق العدالة وقد عمل على إحضار الأشخاص الذين لم يطلهم القانون . فاختار عشرة منهم . سواء كانوا مذنبين أم لا فلا يهم . " .

تململ مساعد المفوض وقال بحزم :

" أليس كذلك ؟ يبدو لى . " .

ثم توقف وانتظر المفتش مين باحترام . لكن ليج هز رأسه متنهدًا وقال :

" استمر فى كلامك . لقد ظننت للحظة أننى قد أصل إلى شىء ما وأننى كما بدا لى حصلت على دليل لشىء ما ولكنه ذهب الآن . استمر فيما كنت تقوله " .

استأنف مين قائلا :

" دعنا نفترض أنه كان هناك عشرة أشخاص سيتم إعدامهم وقد تم إعدامهم ؛ فقد أنجز يو إن أوين هذه المهمة وبطريقة أو بأخرى اختفى من تلك الجزيرة " .

قال مساعد المفوض :

" إنها حيلة اختفاء من الدرجة الأولى ولكن أتعلم يا مين ، يجب أن يكون هناك تفسير ما " .

قال مين :

" إنك تعتقد يا سيدى أنه لو لم يكن هذا الرجل فى الجزيرة لما استطاع مغادرتها ووفقا لشهادة الشهود المهتمين بالأمر فلم يكن على الجزيرة ، حسناً إذن فإن التفسير الوحيد الممكن هو أنه كان أحد هؤلاء العشرة " .

أومأ مساعد المفوض برأسه إيجابًا .

قال مين بجدية :

" لقد فكرنا فى ذلك يا سيدى وعملنا عليه والآن . فإننا لسنا جاهلين تمامًا بما حدث فى الجزيرة الهندية . فقد احتفظت فيرا كلايثورن بمفكرة وكذلك إميلى برنت وكتب وارجريف العجوز بعض الملاحظات من النوع

القانونى البحث غير المفهوم ولكنها كانت واضحة تمامًا . وقد كتب بلور ملاحظاته أيضا . وقد اتفقت كل تلك الملاحظات على أن جميع الوفيات حدثت بالترتيب التالى : مارستون ، السيدة روجرز ، مكارثر ، روجرز ، الآنسة برنت ، وارجريف وبعد وفاته تدون فيرا كلايثورن أن أرمسترونج قد غادر المنزل فى الليل وأن بلور ولومبارد قد ذهبا خلفه وكان لدى بلور جملة إضافية فى دفتر ملاحظاته من كلمتين : اختفى أرمسترونج . والآن يا سيدى بدا لى مع وضع كل شىء فى الاعتبار أننا قد نجد هنا حلاً جيدًا تمامًا . لقد تم إغراق أرمسترونج كما تذكر ومع افتراض أن أرمسترونج كان مجنونا فما الذى كان يمنعه من قتل الآخرين جميعهم ثم ارتكاب جريمة انتحار بإلقاء نفسه فوق الصخرة أو ربما حاول أن يسبح إلى البلدة الرئيسية ؟ " .

" إن هذا حل جيد ولكنه لا يصلح . لا يا سيدى لن يصلح . فبداية هناك دليل الطب الشرعى الذى وصل إلى الجزيرة فى الصباح الباكر من يوم الثالث عشر من أغسطس ولم يستطع أن يقول الكثير لمساعدتنا . وإنما كان كل ما استطاع قوله هو أن كل الأشخاص كانوا قد توفوا قبل ذلك بست وثلاثين ساعة على الأقل بل ومن المحتمل أن يكون ذلك قد حدث منذ فترة أطول . ولكنه كان واثقاً تماما بشأن أرمسترونج . فقد قال إنه يجب أن يكون قد مكث فى الماء لمدة تتراوح بين ثمان إلى عشر ساعات قبل

أن يتم إخراج جثته من البحر . وبالتالى فإن أرمسترونج يجب أن يكون قد قفز فى البحر فى وقت ما خلال ليلة العاشر أو الحادى عشر من أغسطس وسوف أفسر لِمَ . لقد وجدنا نقطة فى جسده تم فيها حمل جسده من خلال الماء . حيث حشر بين صخرتين وكان هناك بعض من الملابس والشعر . إلخ عليهما ولابد أنه قد وضع هناك فى المياه المرتفعة فى ليلة الحادى عشر من أغسطس فى حوالى الساعة الحادية عشرة صباحًا وبعد ذلك هدأت العاصفة وكانت علامات المياه المرتفعة التالية لها أقل بقدر كبير .

أفترض أنك ربما تقول إن أرمسترونج نجح فى قتل الثلاثة الآخرين قبل أن يقفز فى البحر تلك الليلة . ولكن هناك نقطة أخرى لا يمكنك التغاضى عنها . إن جسد أرمسترونج قد تم جذبه بعيدا عن علامة المياه المرتفعة . فقد وجدناه بعيدًا كثيرًا عن المد وقد وضعت جثته بشكل مستقيم على الأرض بنظام .

" إذن فهذا يحسم نقطة واحدة تماما ؛ وهى أنه كان هناك شخص واحد حى فى الجزيرة بعد وفاة أرمسترونج " .

توقف هنيهة ثم استأنف :

" وإلام يوصلنا هذا تحديدا ؟ هذا هو الوضع فى صباح اليوم الحادى عشر . اختفى أرمسترونج ويترك

لنا هذا ثلاثة أشخاص : لومبارد وبلور وفيرا كلايثورن .

تم إطلاق الرصاص على لومبارد وقد حمل البحر جثته لتستقر بالقرب من جثة أرمسترونج ووجدت فيرا كلايثورن مشنوقة فى غرفة نومها . بينما كانت جثة بلور فى الشرفة وقد سحق رأسه باستخدام ساعة رخامية ثقيلة يبدو من المعقول افتراض أنها قد أُسقطت من النافذة بأعلى " .

قال مساعد المفوض بحزم :

" لمن كانت النافذة ؟ " .

" كانت نافذة غرفة فيرا كلايثورن . والآن يا سيدى دعنا نتناول كلاً من هذه القضايا على حدة . أولا فيليب لومبارد . دعنا نقل إنه دفع بكتلة الرخام على رأس بلور ثم خدر فيرا كلايثورن وعلقها هناك وأخيرا ذهب إلى الشاطئ وأطلق الرصاص على نفسه .

" ولكن لو كان الأمر كذلك . فمن الذى أخذ منه المسدس ؟ فقد عُثر على المسدس فى المنزل داخل الباب تماما بأعلى الدرج فى غرفة وارجريف " .

قال مساعد المفوض :

" هل كانت هناك أية بصمات عليه ؟ " .

" نعم يا سيدى بصمات فيرا كلايثورن " .

" ولكن الرجل كان حيًا ثم . . " .

" أعلم ما ستقول يا سيدى . أن فيرا كلايثورن هى الفاعلة وأنها أطلقت الرصاص على لومبارد وأخذت المسدس إلى المنزل ثم ألقت بالكتلة الرخامية على بلور وبعدها شنقت نفسها " .

" وهذا صحيح تمامًا وصولاً إلى نقطة ما ، أن هناك مقعداً فى غرفتها وعليه وجدت آثار أعشاب بحرية تشبه تلك التى وجدت فى حذائها تمامًا . ويبدو وكأنها قد اعتلت المقعد وثبتت الحبل حول عنقها ثم ركلت المقعد .

" ولكن ذلك المقعد لم يعثر عليه مركولاً على الأرض . بل كان مثل جميع المقاعد موضوعاً بنظام بجوار الجدار وقد تم فعل هذا بعد وفاة فيرا كلايثورن من قبل شخص آخر " .

" هذا يجعلنا نفكر فى بلور ، وإن كنت تحاول أن تقول لى إنه بعد أن أطلق الرصاص على لومبارد ودفع فيرا كلايثورن لشنق نفسها أسقط على نفسه تلك الكتلة الرخامية الهائلة من خلال استخدام حبل أو شىء من هذا القبيل ، فسأقول ببساطة إننى لا أصدقك . إن الرجال لا يرتكبون جرائم الانتحار بهذه الطريقة والأكثر من ذلك الرجال من نوع بلور . إننا نعرف بلور ولم يكن من ذلك النوع من الرجال الذى قد تتهمه أبدًا بالرغبة فى تطبيق العدالة المجردة " .

قال مساعد المفوض :

" أتفق معك " .

قال المفتش مين :

" وبالتالى يا سيدى يجب أن يكون هناك شخص آخر على متن الجزيرة . شخص قام بتنظيم الأمر برمته ولكن أين كان طوال الوقت وأين ذهب ؟ إن سكان ستيكل هافن على يقين تام من أن أحدا لم يتمكن من مغادرة الجزيرة قبل أن يصل قارب الإنقاذ إلى هناك ولكن فى تلك الحالة . . " .

ثم توقف .

قال مساعد المفوض :

" فى تلك الحالة . . . " .

تنهد وهز رأسه ثم مال إلى الأمام قائلاً :

" فى تلك الحالة مَنْ قتلهم ؟ " .

رسالة بخط اليد إلى سكوتلانديارد يسلمها مالك سفينة الصيد إيما جين

منذ شبابى وقد أدركت أن طبيعتى كانت كتلة من المتناقضات ؛ فقد كان لدىّ بداية خيال رومانسى مستعص وكانت عادة إلقاء زجاجة فى البحر تحمل مستندًا مهمًا بداخلها أمرًا لم يخفق في إثارتى عندما كنت أقرأ قصص المغامرات منذ كنت طفلاً . ومازالت تلك العادة تثيرنى ولهذا السبب فقد اتبعت ذلك المسار . كنت أكتب اعترافى ثم أضعه فى زجاجة وأغلقها وألقى بها لتحملها أمواج البحر وأفترض أن هناك احتمال مائة إلى واحد أن يتم العثور على اعترافى ثم يتم تفسير لغز جريمة قتل لم تكن قد حُلت بعد (أم هل أفاخر بنفسى ؟)

لقد ولدت بسمات أخرى إلى جانب خيالى الرومانسى . فلدىّ ابتهاج سادى مؤكد برؤية أو التسبب فى الوفاة وأتذكر تجاربى مع الزنابير ومع غيرها من حشرات الحديقة المتعددة . . . ومنذ كنت صبيًا عرفت بشدة شهوة القتل .

ولكن إلى جانب ذلك ، كانت هناك سمة أخرى وهى الإحساس القوى بالعدالة ، إنه أمر صعب بالنسبة لى أن يعانى شخص أو مخلوق برىء أو يموت بسببى ولطالما شعرت بشدة بأن الحق يجب أن يسود . ربما يفهم كما أعتقد أن طبيباً نفسياً قد يفهم أنه مع تركيبتى العقلية تلك فقد اتبعت القانون كمهنة لى .

وقد أشبعت مهنة تطبيق القانون غرائزى كلها تقريبًا .

لطالما سحرتنى نظرية الجريمة والعقاب وكنت أتمتع بقراءة كل أنواع قصص الإثارة والقصص البوليسية وقد دبرت لتسليتى الشخصية أكثر الطرق عبقرية لارتكاب جريمة قتل .

وعندما حان الوقت المناسب لرئاسة محكمة شجعتنى تلك الغريزة السرية داخلى على التمادى فى الأمر . كانت رؤيتى لمجرم بائس يتلوى فى قفص الاتهام ويعانى عذابات الشخص الملعون بينما يقترب قدره منه شيئاً فشيئاً سعادة بالغة بالنسبة لى . ويمكنكم ملاحظة أننى لا أجد أية متعة فى رؤية شخص برىء هناك ولكن فى حالتين على الأقل أوقفت قضايا كان المتهم فيها فى رأيى بريئاً تماماً موجهاً لجنة المحلفين إلى أنه لم تكن هناك قضية . ومع ذلك ، وبفضل عدالة وكفاءة شرطتنا ، فإن أغلب المتهمين الذين مثلوا أمامى لمحاكمتهم بجريمة القتل كانوا مذنبين ، وسوف أقول هنا إن تلك كانت القضية مع ذلك الرجل المدعو إدوارد سيتون . إن مظهره وأسلوبه كانا

مضللين وقد أحدث تأثيراً جيداً على هيئة المحلفين ولكن لم يكن الدليل وحده هو الواضح . على الرغم من أنه لم يكن واضحاً تماماً . ولكن معرفتى الشخصية بالمجرمين أخبرتنى دون أى شك أن ذلك الرجل قد ارتكب جريمة بالفعل اتهم بها وهى جريمة القتل الوحشية للسيدة العجوز التى وثقت به .

وقد اشتهرت بأننى قاضى الشنق ولكن ذلك لم يكن عادلاً ، فقد كنت عادلاً بشدة ولا أدع مجالاً للشك فى حكمى فى القضية .

كان كل ما فعلته هو حماية هيئة المحلفين من التأثير العاطفى للالتماسات العاطفية التى يقدمها مجلسنا الأكثر عاطفية ، كنت أجذب انتباههم إلى الدليل الحقيقى .

لعدة سنوات مضت كنت مدركاً لبعض التغير فى نفسى ، وقد تمثل فى تقلص الرغبة فى السيطرة والرغبة فى الفعل بدلاً من الحكم .

لقد أردت - دعونى أعترف بذلك صراحة - أن أقتل نفسى وقد عرفت فى ذلك رغبة الفنان فى التعبير عن نفسه ! لقد كنت فناناً فى الجريمة ! لقد تغلف خيالى ، الذى احتجز بشدة بسبب ضرورات مهنتى ، سرا بطبقة من القوة الهائلة .

يجب . يجب . يجب أن أرتكب جريمة قتل ! والأكثر من ذلك أنها لا يجب أن تكون جريمة قتل عادية ! بل يجب أن تكون جريمة قتل خيالية - شىء

هائل خارج نطاق العادة ! وفى ذلك السياق كنت لا أزال أفكر بخيال مراهق وقد أردت ارتكاب شىء درامى مستحيل !

لقد أردت أن أقتل . . . . نعم أردت أن أقتل .

ولكن . وكما سيبدو متناقضًا بالنسبة للبعض . فقد كنت مقيدًا ومعوقًا من قبل إحساسى الفطرى بالعدالة . فلا يجب أن يعانى أى برىء .

ثم فجأة تمامًا واتتنى الفكرة التى بدأت بملاحظة نطقت مصادفة خلال محادثة عادية . لقد كان طبيبًا هو من كنت أتحدث إليه . ممارس عام عادى غير معروف وقد ذكر أمامى مصادفة كم يتكرر أن يتم ارتكاب جريمة قتل لا تصل إليها يد القانون .

وقد ضرب مثالاً بقضية على وجه الخصوص ـ قضية سيدة عجوز مريضة لديه توفيت حديثاً . لقد كان هو نفسه كما قال مقتنعًا بأن وفاتها نتيجة لمنع عقار يمكن أن يحافظ على حياتها من قبل زوجين كانا يخدمانها واللذين كانا سينتفعان بشكل أساسى من موتها . وكان هذا النوع من الأشياء كما قال من المستحيل إثباته ولكنه كان مع ذلك على يقين تام منه فى عقله . وأضاف أنه كانت هناك العديد من القضايا ذات الطبيعة المشابهة التى تحدث طوال الوقت ـ قضايا قتل عمد وكلها لا تقع تحت طائلة القانون .

كانت هذه بداية الأمر برمته . وفجأة رأيت طريقى بوضوح وعزمت على ألا أرتكب جريمة قتل واحدة بل جرائم قتل على نطاق واسع .

تذكرت نشيد أطفال منذ طفولتى ـ نشيد الصبية الهنود الصغار العشرة . لقد أثر فىّ منذ كنت طفلاً فى الثانية من العمر .

بدأت أجمع ضحاياى بشكل سرى . . . .

لن أشغل المساحة هنا فى سرد تفاصيل كيفية حدوث ذلك . فقد كان لدىّ خط محادثة روتينى وظفته مع كل من قابلتهم تقريبا وكانت النتائج التى حصلت عليها مدهشة بالفعل . خلال الوقت الذى كنت فيه فى منزل رعاية جمعت قضية دكتور أرمسترونج ؛ حيث أخبرتنى ممرضة تراعينى عن رغبتها فى إثبات بعض مساوئ الشراب من خلال سرد قضية تعود إلى عدة سنوات فى مستشفى عندما قام طبيب تحت تأثير الكحول بقتل مريضة كان يجرى عليها جراحة . ومن خلال طرحى لسؤال لا مبال عن المكان الذى تدربت فيه المرضة ... إلخ ، حصلت على البيانات الضرورية وقد تتبعت الطبيب والمريضة المذكورة دون مشقة . وقادتنى محادثة بين ضابطين عسكريين من كبار السن فى نادى القضاة إلى طريق جنرال مكارثر . كما أعطانى رجل عاد مؤخرا من الأمازون تفصيلاً مذهلاً لنشاطات فيليب لومبارد هناك . وحكى لى رجل غاضب من مايوركا عن قصة إميلى برنت

وخادمتها البائسة . أما أنتونى مارستون ، فقد اخترته بنفسى من بين مجموعة كبيرة من المرتكبين لجرائم مشابهة . ولكن قسوته البالغة وعدم قدرته على الشعور بأية مسئولية حيال تلك الأرواح البريئة التى قضى عليها هى التى جعلتنى أفكر أنه نوع خطر على المجتمع ولا يستحق العيش فيه ، وبالنسبة للمفتش السابق بلور . فقد صادفتنى قضيته بشكل طبيعى تماما ؛ فقد كان بعض من أصدقائى فى المهنة يناقشون قضية لاندور بحرية وحماس وقد اعتقدت فى جرمه بشدة ؛ إذ يجب أن يكون رجال الشرطة ، بوصفهم خادمى القانون ، على درجة عالية من النزاهة ، فكلمتهم تطبق بالقوة بفضل مهنتهم .

وأخيرا هناك قضية فيرا كلايثورن . حدث عندما كنت أعبر المحيط الأطلسى وفى ساعة متأخرة من الليل . كان من بين شاغلى غرفة المدخنين أنا وشاب وسيم يدعى هوجو هاميلتون وكان يتناول جرعات كبيرة من الشراب . وكان فى مرحلة عاطفية سرية . ودون أى أمل فى الحصول على أية نتيجة بدأت محادثتى الروتينية بشكل آلى ولكن رد الفعل كان مذهلاً .

يمكننى أن أتذكر كلماته الآن . لقد قال : " إنك على حق . إن جريمة القتل ليست ما يعتقده الكثير من الناس من إعطاء جرعة من السم أو دفع الناس من فوقة صخرة فى البحر أو هذا النوع من الأمور" . مال إلى الأمام واضعًا وجهه قبالة وجهى وقال : " لقد كنت أعرف قاتلة .

أقول لك إننى كنت أعرفها والأكثر من ذلك أننى كنت متيمًا بها . . . فليساعدنى الله فأنا أعتقد أننى لا أزال كذلك . . . . إنه جحيم . أقول لك إنه جحيم ، فقد فعلت ذلك من أجلى بطريقة ما . . . ليس كما حلمت . إن النساء شياطين . . شياطين تمامًا . . فلن تفكر أن فتاة كهذه ، لطيفة مستقيمة مرحة ، لن تفكر فى أنها قد تفعل ذلك ، أليس كذلك ؟ إنها قد تأخذ طفلاً إلى البحر وتدعه يغرق ، لن تفكر فى أن امرأة قد تفعل ذلك ، أليس كذلك ؟ " .

قلت له :

" هل أنت على يقين من أنها فعلت ؟ " .

قال لى وخلال قوله بدا أنه قد عاد إلى رشده :

" أنا على يقين تام . فلم يفكر أحد فى ذلك أبدًا ولكننى عرفت فى اللحظة التى نظرت فيها إليها عندما عدت بعد . . . وقد علمت أننى عرفت . . . ولكن ما لم تدركه هو أننى كنت أحب ذلك الطفل . . . . " .

لم يقل المزيد ولكن كان من اليسير علىّ أن أتعقب القصة وأعيد بناءها .

كنت فى حاجة إلى ضحية عاشرة . وقد وجدته . كان رجلا يدعى موريس . لقد كان مخلوقاً صغيرًا مشكوكاً فى سلوكه . فقد كان مروج مخدرات وأشياء أخرى وكان مسئولا عن دفع ابنة أحد أصدقائى لتعاطى المخدرات وقد انتحرت فى عمر الواحدة والعشرين .

خلال كل ذلك الوقت من البحث كانت خطتى تنضج تدريجيًا فى ذهنى وقد صارت كاملة الآن وكان آخر جزء فيها هو مقابلة لى مع طبيب فى شارع هارلى وقد ذكرت أننى قد أجريت جراحة وقد خرجت من مقابلتى تلك فى شارع هارلى بأن جراحة أخرى لن تفيدنى وقد عرض علىّ مستشارى الطبى تلك المعلومة فى شكل لطيف ولكننى كنت معتادًا على الوصول إلى حقيقة الأمور .

لم أخبر طبيبى بقرارى بأن وفاتى يجب ألا تكون بطيئة وعلى مدى طويل كما لو سار الأمر بشكل طبيعى . لا . إن وفاتى يجب أن تحدث فى قمة الإثارة . سوف أعيش قبل أن أموت .

والآن إلى الآليات الحقيقية للجريمة فى الجزيرة الهندية . كان الحصول على الجزيرة من خلال استخدام المدعو موريس ليدارى حيلى أمرًا بسيطاً للغاية ؛ فقد كان خبيرًا فى ذلك النوع من الأمور . ومن خلال تنظيم المعلومات التى جمعتها عن ضحاياى المحتملين كنت قادرا على التوصل إلى طعم ملائم لكل منهم ولم تخفق أى من خططى . وصل جميع ضيوفى إلى الجزيرة الهندية فى اليوم الثامن من شهر أغسطس واشتملت تلك المجموعة علىّ أنا نفسى .

كان أمر موريس قد تم توليه بالفعل ؛ فقد كان يعانى من عسر هضم وقبل أن أغادر لندن أعطيته كبسولة لتكون آخر ما يتناوله فى الليلة التى ذكرتها والتى كانت تفعل

الأعاجيب فى حالة عصاراتى المعدية أنا شخصيًا . قبل الكبسولة دون تردد ، فقد كان شخصاً مصاباً بوسواس المرض ، ولم يكن لدى أدنى خوف من تركه لأية مستندات مساومة أو مذكرات خلفه فلم يكن ينتمى لذلك النوع من الرجال .

تم ترتيب أمر الوفاة على الجزيرة من قبلى ومن خلال تفكير وعناية خاصة . فقد كان بين ضيوفى ، كما تدبرت ، درجات مختلفة من الذنب . فهؤلاء الذين كانت جرائمهم أخف قررت أن أقتلهم أولا وألا يعانوا ذلك الضغط العقلى المطول والخوف الذى كان ليعانيه هؤلاء المجرمون من ذوى الأعصاب الباردة .

مات كل من أنتونى مارستون والسيدة روجرز أولاً ؛ فمات الأول فى الحال . بينما ماتت الأخرى خلال نوم هادئ . كان مارستون كما علمت من النوع الذى وُلد دون ذلك الشعور بالمسئولية الأخلاقية التى يتمتع بها أغلبنا ؛ فقد كان عديم الأخلاق . أما السيدة روجرز فلم يكن لدىّ أدنى شك فى أنها كانت تتصرف بشكل كبير تحت تأثير زوجها . وليست هناك حاجة لأصف على وجه الدقة كيف مات هذان الاثنان . فسوف تتمكن الشرطة من معرفة ذلك بسهولة ؛ فقد كان سيانيد البوتاسيوم مادة يمكن الحصول عليها بسهولة من قبل مالكى المنازل لقتل الزنابير وقد كان لدىّ بعض منها فى حوزتى وكان من

اليسير أن أضعها فى كأس مارستون الفارغ خلال فترة التوتر التى تلت أمر تشغيل الفونوغراف .

وربما أقول إننى شاهدت وجوه ضيوفى عن كثب خلال إطلاق الاتهامات ولم يكن لدىّ أدنى شك بعد خبرتى الطويلة بالمحاكم أنهم جميعهم كانوا مذنبين .

خلال نوبات الألم التى كانت تعترينى مؤخرًا كنت أطلب جرعات منومة من هيدرات الكلورال وكان من السهل على أن أحجبها حتى تتوفر لدىّ كمية قاتلة وعندما أحضر روجرز بعض الشراب لزوجته وضعه على المنضدة وخلال مرورى بها وضعت المادة فيها . كان الأمر سهلاً ، فخلال ذلك الوقت لم يكن الشك قد بدأ بعد .

لقى جنرال مكارثر حتفه دون ألم تمامًا . فلم يسمعنى حتى عندما أتيت من خلفه وكان علىّ بالطبع أن أختار الوقت الملائم لترك الشرفة بحرص ولكن كل شىء كان يسير بنجاح .

فكما توقعت تم تفتيش الجزيرة واكتشف عدم وجود أحد بها سوانا نحن السبعة المتبقين . وقد خلق ذلك فى حينه جواً من الشك . وفقا لخطتى كان علىّ أن أستعمل حليفاً بعد وقت قصير وقد اخترت دكتور أرمسترونج لهذا الدور ؛ فقد كان شخصاً ساذجاً وقد وثق بى من خلال سمعتى ولم يكن من المتصور بالنسبة له أن شخصًا فى مكانتى قد يكون بالفعل قاتلاً ! كانت جميع شكوكه موجهة نحو لومبارد وقد تظاهرت بأننى أشاركه رأيه .

وقد ألمحت إليه بأن لدىّ خطة يكون من الممكن من خلالها أن نوقع القاتل فى شرك إظهار جرمه .

وعلى الرغم من أن التفتيش قد شمل غرف الجميع . لم يكن قد تم تفتيش الأشخاص أنفسهم بعد ولكن ذلك كان سيحدث فى وقت لاحق .

قتلت روجرز فى صباح يوم العاشر من أغسطس وقد كان يقطع الحطب من أجل إشعال النار ولم يسمعنى عندما اقتربت منه وقد وجدت مفتاح باب غرفة الطعام فى جيبه . والتى كان قد أغلقها فى الليلة الماضية . وخلال جلبة حضور اكتشاف جثة روجرز دخلت غرفة لومبارد وأخذت مسدسه وكنت أعلم أنه سيحضر واحداً معه فى الحقيقة ؛ فقد أخبرت موريس أن يلمح له بذلك عند لقائه به .

عند الإفطار وضعت جرعتى الأخيرة من الكلورال فى قهوة الآنسة برنت عندما كنت أعيد ملء الكوب لها . وتركناها فى غرفة الطعام وقد تسللت أنا إلى هناك بعد ذلك بقليل حيث كانت غير مدركة تقريبًا وكان من اليسير بالنسبة لى أن أحقنها بمحلول قوى من السيانيد وكان أمر الزنبور طفولى بالفعل ولكنه أسعدنى إلى حد ما كما تعلمون ، فقد كنت أحب التمسك بشدة بكل وسيلة ممكنة بنشيد الأطفال .

بعد ذلك مباشرة حدث ما توقعته بالفعل . بل وأعتقد أننى اقترحته بنفسى ؛ فقد خضعنا جميعنا لتفتيش دقيق

وكنت قد خبأت المسدس بعيدًا فى مكان آمن ولم يكن لدىّ مزيد من السيانيد أو الكلورال فى حوزتى . وكان عندها أن ألمحت إلى أرمسترونج أننا يجب أن ننفذ خطتنا وكانت كالتالى : يجب أن أبدو وكأننى الضحية التالية وسوف يؤدى هذا فى الغالب إلى إرباك القاتل ولكن على الأقل فور أن يعتقد أننى مت فسأتمكن من التحرك فى المنزل والتجسس على القاتل المجهول بحريتى .

كان أرمسترونج معجباً بالفكرة وقد نفذتها فى المساء ؛ حيث وضعت القليل من الصلصال الأحمر على جبهتى واستخدمت الستارة الحمراء وبكر الصوف وتم إعداد مسرح الجريمة . كانت أضواء الشموع تتراقص بشدة وغير موضحة وكان الشخص الوحيد الذى بإمكانه فحصى عن كثب هو أرمسترونج .

نجحت الخطة وصرخت الآنسة كلايثورن وجمعت المنزل كله حولها عندما وجدت العشب البحرى الذى رتبت وجوده بتمعن فى غرفتها ، اندفعوا جميعًا إلى أعلى واتخذت أنا وضع الرجل المقتول .

أحدث اكتشافهم لى الأثر المطلوب ومثل أرمسترونج دوره بطريقة محترفة وحملونى إلى أعلى وأرقدونى فى فراشى ولم يقلق أحد بشأنى . وصاروا جميعهم مذعورين بشدة من بعضهم البعض .

كان لدىّ ميعاد مع أرمسترونج خارج المنزل فى الساعة الثانية إلا الربع ، وأخذته بعيدًا خلف المنزل على حافة

الصخرة وقلت له إننا يمكن أن نرى هنا إذا ما كان شخص سيقترب منا أم لا وأننا لا يجب أن نرى من المنزل حيث إن غرف النوم كانت تواجه الجانب الآخر . كان لا يزال غير متشكك فىّ ومع ذلك كان عليه أن يحذر ولو تذكر فقط كلمات الأنشودة : " ابتلعت سمكة حمراء واحدًا " وقد ابتلع الطعم جيدًا بالفعل وكان الأمر بسيطاً .

فقد أطلقت صيحة تعجب وانحنيت فوق الحافة الصخرية وطلبت منه أن ينظر إلى أسفل وسألت أليس ذلك مدخل كهف ؟ انحنى إلى الأسفل وكانت دفعة قوية سريعة كفيلة بإفقاده توازنه وسقوطه فى البحر الهائج بأسفل . عدت إلى المنزل ولابد أن بلور قد سمع وقع أقدامى . وبعد عدة دقائق من عودتى إلى غرفة أرمسترونج تركتها وأحدثت ضجيجاً هذه المرة بحيث يسمعنى أحدهم . سمعت صوت الباب يفتح بعد أن اختبأت أسفل السلم ولابد أنهم رأوا شكل شخص ما بعد أن ذهبت من الباب الأمامى .

ومرت دقيقة أو اثنتان قبل أن يتبعونى وقد درت حول المنزل مباشرة ثم دخلت من نافذة غرفة الطعام بعد أن تركتها مفتوحة . أغلقت النافذة ثم كسرت الزجاج بعد ذلك وصعدت إلى أعلى ورقدت فى فراشى من جديد .

حسبت أنهم سوف يفتشون المنزل من جديد ولكننى لم أعتقد أنهم سوف ينظرون بدقة فى أى من الجثث . وقد كان مجرد وضع الملاءة جانبًا كفيلاً بإقناعهم بأنه ليس

أرمسترونج من يتظاهر بأنه جثة وكان هذا ما حدث تماماً .

نسيت أن أقول إننى أعدت المسدس إلى غرفة لومبارد ، فربما يهم أحدهم أن يعرف أين كان مخبأ خلال البحث . كانت هناك كومة كبيرة من الطعام المعلب فى المخزن وقد فتحت قاعدة إحدى العلب وكان بها بسكويت كما أذكر ووضعت المسدس فى قاعها ووضعت شريط اللاصق عليها .

حسبت أن أحدا لن يفكر فى التفتيش فى كومة من الأغذية المعلبة التى لم يلمسها أحد . خاصة أن العلب الموجودة بأعلى الكومة كانت كلها محكمة الغلق .

أخفيت الستارة الحمراء من خلال وضعها بشكل مسطح على واحد من مقاعد غرفة الضيوف أسفل المفرش القطنى المطبوع وأخفيت الصوف فى وسادة المقعد بعد أن فتحت فيها فتحة صغيرة .

والآن جاءت اللحظة التى توقعتها . . ثلاثة أشخاص على الجزيرة كانوا شديدى الفزع من بعضهم البعض ومن حدوث أى شيء وكان لدى أحدهم مسدس . راقبتهم من نوافذ المنزل وعندما أتى بلور وحده كنت قد رفعت الساعة الرخامية الكبيرة بحيث تكون جاهزة لإسقاطها عليه ، وبعد أن خرج بلور . . . ومن نافذتى رأيت فيرا كلايثورن وهى تطلق الرصاص على لومبارد . يا لها من امرأة جريئة

واسعة الحيلة ولطالما ظننت أنها ند له وأكثر . بمجرد حدوث هذا جهزت مسرح الحدث فى غرفة نومها .

كانت تجربة سيكولوجية ممتعة . هل كان إدراكها لجريمتها ، وحالة التوتر العصبى المترتبة على رميها لتوها لرجل بالرصاص كافية ، بالإضافة إلى إيحاء التنويم المغناطيسى للجو المحيط بها ، لدفعها إلى القضاء على حياتها ؟ اعتقدت أن ذلك كافٍ وكنت على صواب ؛ فقد شنقت فيرا كلايثورن نفسها أمام ناظرى حيث كنت واقفا فى ظل خزانة الملابس . والآن ، حان وقت مسرح الجريمة الأخيرة . تقدمت للأمام والتقطت المقعد ووضعته بجوار الجدار وبحثت عن المسدس ووجدته بأعلى الدرج حيث أسقطته الفتاة . وكنت حريصاً على إبقاء بصمات أصابعها عليه . والآن ؟

سوف أنتهى من كتابتى لهذه الوثيقة وسأضعها فى زجاجة وأغلقها ثم ألقى بها فى البحر .

لِمَ ؟

نعم لِمَ ؟

لقد كان طموحى أن أبتكر لغز جريمة قتل لا يتمكن أحد من حلها . ولكن ما من فنان ، كما أدرك الآن ، يمكن أن يرضيه الفن وحده ؛ فهناك تعطش طبيعى للشهرة لا يمكن إنكاره .

كانت لدى - دعونى أعترف بذلك بكل إذلال - أمنية بشرية تثير الشفقة وهى أن يعرف أحد كم كنت ماهراً .

كنت قد افترضت فى كل ذلك أن لغز الجزيرة الهندية سوف يظل دون حل . وكان من الممكن بالطبع أن تكون الشرطة أكثر براعة منى . فهناك مفاتيح لحل اللغز على كل حال . أولا : أن الشرطة تدرك تمامًا أن إدوارد سيتون كان مذنباً وهم يعلمون لذلك أن أحد الأشخاص العشرة الموجودين على متن الجزيرة لم يكن قاتلاً بأى معنى للكلمة وبالتالى - وبشكل متناقض - فإن ذلك الشخص يجب من الناحية المنطقية أن يكون القاتل . والمفتاح الثانى يكمن فى السطر السابع من الأنشودة ؛ فقد ارتبطت وفاة أرمسترونج بـ " سمكة حمراء" ابتلعها أو تمخضت عن ابتلاعها له ! أى أنه فى ذلك الوقت من الأمر هناك إشارة واضحة إلى حدوث خدعة ما . وأن أرمسترونج قد خدع بها وأرسل ليلقى حتفه . ربما يكون هذا بداية خط من البحث لأنه فى تلك المرحلة هناك أربعة أشخاص ومن بين هؤلاء الأربعة كنت أنا بشكل واضح الشخص الوحيد الذى يرجح أن يوحى إليه بكسب ثقته .

أما المفتاح الثالث فهو رمزى . وهو الطريقة التى تسببت فيها وفاتى بإحداث علامة على الجبهة ، والتى تشبه علامة كاين (وهو قابيل ابن آدم الذى قتل أخاه)

لم يبق كما أعتقد سوى القليل لقوله .

بعد أن ألقى بالزجاجة وبها الرسالة فى البحر سوف أعود إلى غرفتى وأرقد فى فراشى وألصق بنظارتى ما يبدو وكأنه خيط طويل أسود من نوع جيد ولكنه خيط مطاطى

وسوف أجعل كل وزن جسدى على النظارة . وسألف الخيط حول مقبض الباب وألصقه بالمسدس ولكن ليس بشكل متين وأعتقد أن ما سيحدث هو كالتالى :

ستضغط يدى ، التى لففتها بمنديل ، على الزناد وستسقط يدى إلى جانبى . بينما سيقوم الخيط المطاطى الذى يشد المسدس بالالتفاف على الباب ومع ارتطامه بمقبض الباب سوف ينفصل عن الخيط ويسقط وسوف ينحل الخيط ويتدلى ببراءة من نظارتى التى يستند إليها جسدى . لن يثير المنديل الساقط على الأرض أية تعليقات من أى نوع . وسوف يجدوننى راقدا بنظام فى فراشى وقد أطلق الرصاص على جبهتى وفقا لما سجله رفاقى الضحايا . لا يمكن تسجيل أوقات الوفيات بأية دقة فى الوقت الذى سيتم فيه فحص أجسادنا .

وعندما ينخفض منسوب البحر سوف تأتى القوارب بالرجال من البلدة الرئيسية إلى الجزيرة وسوف يجدون عشر جثث ومشكلة ليس لها حل على الجزيرة الهندية .

توقيع

جاستيس وارجريف .